سورة التوبة

مدنية إلا الآيتين الأخيرتين

فمكيتان وآياتها مائة وتسع وعشرون

تمهيد لا بد منه :

لهذه السورة عدة أسماء وهي :

براءة ، التوبة، المقشقشة ، المبعثرة، المشردة ، المخزية ، الفاضحة. المثيرة ، الحافرة ، المدمدمة ، سورة العذاب ، المنكلة ، البحوث بفتح الباء وكلها ترجع الى معنى واحدة ففيها توبه على المؤمنين . والتبرئة من النفاق، والبحث عن حال المنافقين وإثارة حالهم والحفر عنها أي البحث. وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ، ويشردهم ويدمدم عليهم أي يهلكهم .

ولم تبدأ بالبسملة لأسباب خمسة ذكرها القرطبي في تفسيره الكبير ولا مجال لايرادها ، وقال الجلال : لم تكتب فيها البسملة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم ، وأخرج في معناه عن علي أنّ البسملة أمان ، وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف . وعن حذيفة : إنكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب .

وروى البخاري عن البراء : أنها آخر سورة نزلت .

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾

اللغـــة :

(فسيحوا) السياحة : السير ، يقال ساح في الأرض يسيح سياحة وسيوحاً وسيحاناً ، ومنه سيح الماء في الأرض ، وسيح الخيل ، ومنه قول طرفة بن العبد :

لو خفت هــذا منك ما نلتني   حتى ترى خيلاً أمامي تسيح

الاعراب :

(براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) براءة خبر لمبتدأ محذوف أي هــذه براءة ومن الله صفة لبراءة فهي لابتداء الغاية متعلقة بمحذوف صفة لبراءة وليست متعلقــة بالبراءة كما في قولك : برئت من الذنب والدين ، والمعنى هذه براءة واصلة من الله

ورسوله ، والى الذين متعلق بمتعلق من أي واصلة الى الذين ؛ ويجوز أن تكون براءة مبتدأ وساغ الابتداء بها لتخصيصها بالصفة والى الذين خبرها كما تقول : رجل من تميم في الدار ؛ ومن المشركين حال ، قال المفسرون : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان المنافقون يرجفون الأراجيف ، وجعل المشركون ينقضون عهودهم . وذلك قوله تعالى « وإما تخافن من قوم خيانة » الآية • ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمر به ونبذ لهم عهودهم ، قال الزجاج : أي قد بريء الله ورسوله من وفاء عهودهم إذا نكثوا، وسيأتي في باب الفوائد ما يرويه التاريخ • (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) الفاء الفصيحة وجملة سيحوا مقول قول محذوف أي فقولوا أيها المسلمون للمشركين سيحوا وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بسيحوا وأربعة أشهر ظرف زمان متعلق بسيحوا والمراد بالأشهر الأربعة : شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل : هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر • (واعلموا انكم غير معجزي الله) الواو حرف عطف واعلموا فعل أمر والواو فاعل وان وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا وأن واسمها وغير معجزي خبرها والله مضاف اليه • (وأن الله مخزي الكافرين) وأن عطف على أنكم والله اسمها ومخزي الكافرين خبرها • (وأذانٌ من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر) ارتفاع أذان كارتفاع براءة على الوجهين والجملة معطوفة على مثلها ، والأذان الإعلام بمعنى الإيذان ، ومن الله صفته أو متعلق به وإلى الناس الخبر ويوم الحج الأكبر ظرف متعلق بما تعلق به الى الناس • (أن الله بريء من المشركين ورسولُه) بفتح همزة أن وفيه وجهان : أحدهما خبر أذان والثاني هو صفة أي وأذان كائن بالبراءة ، وقيل التقدير وإعلام من الله بالبراءة ، فالباء متعلقة

بنفس المصدر وأن واسمها وخبرها ومن المشركين جار ومجرور متعلقان ببريء ، ورسوله فيه أوجه : أحدها أنه مبتدأ والخبر محذوف أي ورسوله بريء منهم وإنما حذف لدلالة الأول عليه وهذا أصح الأوجه ، وقيل : هو معطوف على محل اسم أن أو معطوف على الضمير المستتر في الخبر . وسيأتي مافي هـذه الآية من أبحاث تتعلق بالنحو في باب الفوائد . (فإن تبتم فهو خير لكم) الفاء عاطفة أو استئنافية وإن شرطية وتبتم فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة وهو مبتدأ وخير خبره ولكم جار ومجرور متعلقان بخير . (وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله) وإن توليتم عطف على إن تبتم وأنكم أن واسمها وقد سدت مسد مفعولي اعلموا وغير خبر أن ومعجزي الله مضاف إليه . (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) الواو عاطفة وبشر فعل أمر وفاعل مستتر والذين مفعول به وجملة كفروا صلة وبعذاب جار ومجرور متعلقان ببشر وأليم نعت .

الفوائد :

١ ـ ما يقوله التاريخ في معاهدة الحديبية :

عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم الحديبية ، على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش ، ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالوا منهم وأعانتهم قريش بالسلاح ، فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشد :

لاهم إني ناشد محمـــداً حلف أبينا وأبيه الأتلـدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكـدا
هم بيّتونا بالحطيم هجّدا وقتلونا ركّعاً وسجـدا

فقال عليه الصلاة والسلام : لا نصرت إن لم أنصركم ، وتجهز الى مكة . ففتحهـا سنة ثمان من الهجرة ، فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحج فقيل له : المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة . فقال لا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك ، فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقيم للناس الحج ، وبعث معه أربعين آية من صدر براءة ليقرأها على أهل الموسم ، ثم بعث بعده علياً على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة ، وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة : أن قد برئت ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل شرك، ولا يطوف بالبيت عريان،فرجع أبو بكر فقال : يارسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء فقال : لا ، ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي ، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنك معي على الحوض ؟ فقـال : بلى يا رسول الله ، فسار أبو بكر أميراً على الحاج ، وعلي بن أبي طالب يؤذن ببراءة ، فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم، وأقام للناس الحج ، والعرب في تلك السنة على معاهدهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج ، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة . وقال يزيد بن تبيع : سألنا علياً بأي شيء بعثت في الحجة ؟ قال : بعثت بأربع : لا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين النبي عهد فهو

إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر . ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في الحج ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع .

سبب وضع علم النحو :

جيء الى عمر بن الخطاب برجل يقرأ : « إن الله بريء من المشركين ورسوله » بالجر ، فسأله ، فقال : هكذا قرأت في المدينة ، فقال عمر : ليس هكذا ، إنما هي ورسولُه ، بضم اللام ، فإن الله لا يبرأ من رسوله ثم أمر أن لا يقرأ القرآن إلا عالم بالعربية ، ودعا بأبي الأسود الدؤلي فأمره أن يضع النحو . فمقتضى هذه الرواية أن هذا العلم لم يكن معروفاً قبل أبي الأسود ، وأن كلام الناس قبله إنما كان بمجرد الفطرة وهو المعهود .

هذا وقد اشتهر أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من وضع علم النحو قالوا : انه سمع ابنته يوماً تلحن فذهب الى علي بن أبي طالب ، فقال له : فشا اللحن في أبنائنا وأخشى أن تضيع اللغة فقال له الامام : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كلّه ثلاثة : اسم وفعل وحرف ، فالاسم كذا والفعل كذا والحرف كذا ، والأسماء ثلاثة : ظاهر ومضمر ومبهم ، والفاعل مرفوع أبداً ، والمفعول منصوب أبداً ، والمضاف مجرور أبداً ، فافهم وقس ، وما عنّ لك من الزيادة فاضممه .

ولكن قال السيوطي في المزهر : إن العروض والنحو كانا قديمين وأتت عليهما الأيام فقلّا في أيدي الناس ، فجدّدهما الخليل وأبو الأسود ، واستدل على قدم العروض بما بسطه هناك ، وعلى قدم النحو

بما منه : كتابة المصحف على الوجه الذي يعلله النحاة في ذوات الواو والياء والهمز والمدّ والقصر ، فكتبوا ذوات الياء بالياء وذوات الواو بالألف .

ونحن نؤيد هذا الرأي الطريف للسيوطي .. مستدلين بما يلي :

١ً — تبيين علي بن أبي طالب لأبي الأسود جملاً من القواعد الاصطلاحية السابقة ، إذ كون ذلك ألهمه الإمام خاصة بعيد ، ويبعده أيضاً قوله لأبي الأسود : وما عنّ لك من الزيادة فاضممه إليه ، أي مما كان كهذه الضوابط ، فهذا صريح أو كالصريح في أن هذا العلم كان معروفاً بينهم أو بين أفراد منهم لا مجرد صحة النطق سليقة .

٢ً — قول عمر بن الخطاب : « لا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة العربية » فإن المتبادر منه قواعدها وأصولها التي بها يعرف وجوه الكلام بمعونة المقام ، إذ لو كان المراد مجرد المتكلمين بالصواب لزم منعَ كل عجمي منه ، ولم يكن وجه للتخصيص بالعالم باللغة بالنظر الى العرب إذ القوم جميعاً أعراب معتدلو الألسنة بالسليقة ، وتجويزه القرآن لمن كان عارفاً دون غيره صريح في أن منهم عارفين باللغة ومنهم جاهلين بها ، فيلزم أن يكون معرفة العارفين قدراً زائداً على ما عند غيرهم ، وليس إلا القواعد والضوابط .

٣ً — إنه حيث كان علم العروض واصطلاحاته معلوماً لدى بعض العرب كما صرح به الوليد بن المغيرة إذ قال في القرآن لما قيل انه شعر : لقد عرضته على هزجه ورجزه فلم أره يشبه شيئاً من ذلك ، والشعر لم يكن إلا لأفراد من العرب ، فلأن تكون قواعد العربية التي هي لسانهم جميعاً معلومة عند البعض أولى .

إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

اللغة :

(المرصد) اسم مكان للموضع الذي يقعد فيه العدو أو يمر به أو يجتازه فهو كممر ومجتاز ، وهو من رصدت الشيء إذا ترقبته .

الاعراب :

(إلا الذين عاهدتم من المشركين) في هذا الاستثناء وجهان : أحدهما أنه منقطع أي لكن الذين عاهدتم فإن حكمهم كذا وكذا فالذين مبتدأ خبره جملة فأتموا ، والثاني أنه متصل فهو مستثنى من المشركين في قوله تعالى « براءة من الله ورسوله » ــ الى ــ « الذين عاهدتم من المشركين » وهم بنو ضمرة حي من كنانة ، أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بإتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر ،

وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد ، والمعنى على كل حال .
لا تجروا البريء مجرى المذنب والوافي مجرى الغادر ، وجملة عاهدتم
صلة ومن المشركين حال • (ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم
أحداً) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ولم حرف نفي وقلب وجزم
وينقصوكم مجزوم بلم وشيئاً إما مفعول ثان لنقص لأنه يتعدى لواحد
ولاثنين وإما مصدر مفعول مطلق أي شيئاً من النقصان أو لا قليلاً
ولا كثيراً من النقصان ، ولم يظاهروا عطف على لم ينقصوكم وعليكم
جار ومجرور متعلقان بيظاهروا وأحداً مفعول به أي لم يعاونوا عليكم
عدواً كما عدت بنو بكر على خزاعة وقد تقدمت قصتها • (فأتموا إليهم
عهدهم الى مدتهم إن الله يحب المتقين) الفاء عاطفة أتموا فعل أمر
والواو فاعل وإليهم جار ومجرور متعلقان بأتموا وعهدهم مفعول به
وإلى مدتهم بدل من إليهم وإن واسمها وجملة يحب المتقين خبرها •
(فإذا انسلخ الأشهر الحرم) الفاء عاطفة أو استئنافية وإذا ظرف مستقبل
متضمن معنى الشرط وجملة انسلخ مضافة للظرف والأشهر فاعل
والحرم صفة وقد تقدم أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وهي التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا • (فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم) الفاء رابطة واقتلوا المشركين فعل أمر وفاعل ومفعول به
وحيث ظرف متعلق باقتلوا وجملة وجدتموهم مضافة للظرف •
(وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) وخذوهم عطف على
اقتلوا أي واسروهم واحصروهم عطف أيضاً أي قيدوهم وامنعوهم
من التجوال في البلاد ، واقعدوا عطف أيضاً ولهم متعلقان باقعدوا وكل
مرصد نصب على الظرف كقوله : « لأقعدن لهم صراطك المستقيم » وهو
اختيار الزجاج واختار بعضهم أن يكون منصوباً بنزع الخافض .
والخافض المقدر هو « على » أو « الباء الظرفية » أو « في » ويجوز

أن يعرب مفعولاً مطلقاً كأنه قيل وارصدوهم كل مرصد • وقد خطّأ أبو علي الفارسي الزجاج في جعله ظرفاً • (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) الفاء استئنافية وإن شرطية وتابوا فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط وأقاموا الصلاة عطف على تابوا وكذلك قوله : وآتوا الزكاة ، فخلوا الفاء رابطة وخلوا فعل أمر وفاعل وسبيلهم مفعول به • (إن الله غفور رحيم) سبق إعرابها •

وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾

اللغـــة :

(الإلّ) اختلف اللغويون والمفسرون في هذه الكلمة اختلافاً شديداً . قال في أساس البلاغة : « لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة » أي قرابة ، وفي القاموس وشروحه : الإلّ العهد والجار والأصل الجيد والعداوة والحقد ، وقال أبو عبيدة : إن المراد به العهد ، وقال الفراء : إن المراد به القرابة ، وقـال آخرون : إن الإل هو الجؤار وهو رفع الصوت عند التحالف ، وذلك أنهـم كانوا إذا تحالفوا جأروا بذلك جؤاراً ، وقيل هو من أل البرق إذ لمع ، ويجمع الإل في القلة على آلّ ، والأصل أألل بزنة أفلُس فأبدلت الهمزة الثانية ألفاً لكونها بعد أخرى مفتوحة وأدغمت اللام في اللام ، وأنشد لحسان بن ثابت :

لعمـرك إن إلّك من قريش كإلّ السقب من رأل النعـام

وهذا صريح في أن معناه : القرابة ، والسقب خوار الناقة ، والرأل ولد النعام ، ومعنى البيت : وحياتك إن قرابتك من قريش بعيـدة أو معدومة كقرابة ولد الناقة من ولد النعام . وقال الزجاج : « الإل عندي على ما توجبه اللغة يدور على معنى الحدة ، ومنه الإلة للحربة ، ومنه أذن مؤللة أي محددة ، ومنه قول طرفـة بن العبد يصف أذني ناقته بالحدة والانتصاب :

مؤللتان تعرف العتق فيهمـا كسامعتي شاة بحومـل مفرد

الاعراب :

(وإن أحد من المشركين استجارك) الواو استئنافية وإن شرطية وأحد مرتفع بفعل الشرط مضمراً يفسره الظاهر تقديره : وإن استجارك

أحد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لأن الشرط يقتضي الفعل وإن من عوامل الفعل لا تدخل على غيره ، والمعنى وإن جاءك أحد من المشركين لا عهد بينك وبينه فاستأمنك فأمنه ، ومن المشركين صفة وجملة استجارك مفسرة (فأجره حتى يسمع كلام الله) الفاء رابطة وأجره فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وحتى حرف غاية وجر ويسمع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والجار والمجرور متعلقان بأجره وكلام الله مفعول به • (ثم أبلغه مأمنه) ثم حرف عطف وأبلغه فعل أمر ومفعول به أول ومأمنه مفعول به ثان • (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) ذلك مبتدأ أي ذلك الأمر يعني الأمر بالإجارة وإبلاغ المأمن . وبأنهم خبر وقوم خبر إن وجملة لا يعلمون صفة • (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) هذا تركيب تجوز فيه أعاريب عديدة متساوية في الأرجحة : فكيف اسم استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد خبر مقدم ليكون وعهد اسم يكون مؤخر وللمشركين حال ويجوز أن يكون الخبر للمشركين وكيف حال . ويجوز أن يكون قوله عند اللههو الخبر وكيف حال أيضاً من العهد أما في الوجهين السابقين فتكون عند ظرفاً للعهد وعند رسوله عطف على عند الله • (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) تقدم القول في مثل هذا الاستثناء وأنه يجوز فيه الانقطاع والاتصال • (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين) الفاء استئنافية وما مصدرية ظرفية وهي في محل نصب على الظرف أي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم ويجوز أن تكون شرطية وحينئذ ففي محلها وجهان أولهما : النصب على الظرفية الزمانية والتقدير أي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، ونظره أبو البقاء بقوله تعالى : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها » والثاني أنها في محل رفع مبتدأ وفي الخبر القول المشهور في خبر أداة الشرط ، واستقاموا فعل ماض في

محل جزم فعل الشرط إن اعتبرت شرطية والفاء رابطة على كل حال واستقيموا فعل أمر وفاعل . هذا وقد أجاز ابن مالك في ما المصدرية الزمانية أن تكون شرطية جازمة في وقت واحد قال أبو البقاء ولا يجوز أن تكون نافية لفساد المعنى إذ يصير المعنى استقيموا لهم لأنهم لم يستقيموا لكم وذلك باطل وإن الله إن واسمها وجملة يحب المتقين خبرها • (كيف ؟ وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة) كيف تكرار لما تقدم لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوماً أي فهو حال أو خبر كان المحذوفة وقد ورد هذا الحذف في أشعارهم ، قال كعب الغنوي يرثي أخاه :

وخبر تماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب

أي كيف مات أخي فيها ؛ والقليب البئر لأنه قلب ترابه من بطن الأرض الى ظهرها • وإن الواو للحال وإن شرطية ويظهروا فعل الشرط وعليكم جار ومجرور متعلقان به ولا يرقبوا جواب الشرط وفيكم متعلقان بيرقبوا وإلاً مفعول به وذمة عطف عليه • (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون) جملة مستأنفة مسوقة لوصف حالهم من مغايرة ظاهرهم لباطنهم ، بأفواههم جار ومجرور متعلقان بيرضونكم وتأبى قلوبهم عطف عليه أي أن كلامهم مزوق مزخرف قد يروق سامعه ولكنه لا ينطوي على أي صدق لأن الضغن الساكن في قلوبهم يمنعهم من تحقيق كلامهم المعسول ، وأكثرهم مبتدأ وفاسقون خبر أي أنهم خلعاء فجرة لا يأبهون لمعرة ولا يعبئون بما يقال فيهم من سيء الأحدوثة • (اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً) أي استبدلوا بآيات الله ثمناً قليلاً وهو انسياقهم مع الأهواء وانجرارهم مع الشهوات والآثام ، وثمناً مفعول اشتروا وقليلاً صفة • (فصدوا عن سبيله إنهم

ساء ما كانوا يعملون) يجوز في ساء أن يكون على بابه من التصرف والتعدي فتكون ما فاعلاً والمفعول به محذوف أي ساءهم الذي كانوا يعملونه أو عملهم إذا جعلت ما مصدرية، ويجوز أن يكون جارياً مجرى بئس فيحول الى فعل بالضم ويمتنع تصرفه ويصير للذم ويكون المخصوص بالذم محذوفاً وقد سبق تقرير ذلك . (لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة) تقدم اعراب نظيرها وكررها زيادة في تقبيح حالهم واستهجان مآلهم . (وأولئك هم المعتدون) تقدم أيضاً ويجوز أن يكون هم ضمير فصل أو مبتدأ ثانياً .

فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾

الاعراب :

(فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) الفاء استئنافية وإن شرطية وتابوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة والجملتان عطف على تابوا . (فإخوانكم في الدين) الفاء رابطة وإخوانكم خبر لمبتدأ محذوف أي فهم إخوانكم وفي الدين حال والجملة الاسمية في محل جزم على أنها جواب الشرط (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) الواو اعتراضية والجملة معترضة كأنه قيل : وإن من

تأمل بتفصيلها فهو العالم بحقيقتها ولقوم جار ومجرور متعلقان بنفصل وجملة يعلمون صفة (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم) الواو عاطفة ومن بعد عهدهم حال وطعنوا في دينكم عطف أيضاً أي ثلبوه وعابوه والجار والمجرور متعلقان بطعنوا .(فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) الفاء رابطة وقاتلوا فعل أمر وفاعل وأئمة الكفر مفعول به ، انهم ان واسمها ولا نافية للجنس وأيمان اسمها ولهم خبرها والجملة خبر انهم ، ولعل واسمها وجملة ينتهون خبرها .

أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

الاعراب :

(ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم) ألا حرف تحضيض وستأتي أحرف التحضيض في باب الفوائد . وتقاتلون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وقوماً مفعول به وجملة نكثوا أيمانهم صفة

قوماً ويجوز أن تكون الهمزة للاستفهام ولا نافية ودخلت الهمزة عليها تقريراً لنفي المقاتلة والحض عليها من جهة أخرى (وهموا باخراج الرسول) عطف على نكثوا وبإخراج متعلقان بهموا وقد تقدم أنهم هموا بأحد أمور ثلاثة : قتله وحبسه وإخراجه (وهم بدءوكم أول مرة) الواو عاطفة وهم مبتدأ وجملة بدءوكم خبر وأول مرة نصب على الظرف متعلق بيدءوكم والبادىء أظلم • (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) الهمزة للاستفهام ومعناها النهي أي لاتخشوهم فالله الفاء الفصيحة والله مبتدأ وأحق خبر وان تخشوه المصدر المؤول بدل اشتمال من الله أي خشية الله أحق وإن شرطية وكنتم فعل الشرط ومؤمنين خبر كنتم وجواب الشرط محذوف دلت عليه الفاء الفصيحة • (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) قاتلوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به ويعذبهم جواب الطلب جزم به وهو واحد من خمسة أجوبة ستأتي وهي : (ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم) وجميعها معطوفة على يعذبهم (ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) الواو استئنافية ويتوب جملة مستأنفة ولم ينسقها على الأجوبة المتقدمة لأن توبة الله عن من يشاء ليست جزاء على قتال الكفار •

الفوائد :

١ ـ حروف التحضيض هي : لولا ولوما وهلا وألا • قال الله تعالى : « لولا أخرتني إلى أجل قريب » وقال : « لوما تأتينا بالملائكة » وقال عنترة :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ... إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

والتحضيض هو الحث على الشيء ، ويقال حضضته على فعله إذا حثثته عليه ، واذا وليهنّ المستقبل كنّ تحضيضاً واذا وليهنّ الماضي كن لوماً وتوبيخاً فيما تركه المخاطب ، وقد جرت مجرى حروف الشرط في اقتضائها الأفعال فلا يقع بعدها مبتدأ ولا غيره من الأسماء فإن وقع بعدها اسم ، كان في نية التأخير نحو قولك : هلا زيداً ضربت والمراد هلا ضربت زيداً. أو على تقدير فعل محذوف نحو قولك لفاعل الإكرام: هلا زيداً . أي هلا أكرمت زيداً قال الشاعر وهو جرير :

تعـدون عقر النيب أفضـل مجدكـم
بني ضوطرى لـولا الكمي المقنعـا

فأضمر فعلاً نصب الكمي المقنعا والمعنى: إن هؤلاء بني ضوطرى والضوطرى الضخم الذي لا غناء عنده ، يشون بالإطعام والضيافة ويجعلون الكرم أكبر مجدهم ، فالناصب للكمي هو الفعل المراد بعد لولا وتقديره تلقون أو تبارزون أو نحو ذلك .

٢ ـ يجزم الفعل المضارع إذا وقع جواباً لأمر أو نهي أو استفهام أو تمنّ أو عرض أو حض وذلك بأن مضمـرة نحو قولك أكرمني أكرمك ، ولا تفعل يكن خيراً لك ، وألا تأتيني أحدثْك ، وأين بيتك أزرْك ، وألا ماء أشربْه ، وليته عندنا يحدثْنا ، قال الخليل : إن هذه الأوائل كلها فيها معنى « إن » فلذلك انجزم الجواب ، وقال النحويون إنه لا يجوز أن تقول : لا تدن من الأسد يأكلك لأن التقدير إن لا تدن من الأسد يأكلك ، وهـذا محال لأن تباعـده لا يكون سبباً لأكله ، وللنحاة هنا كلام طويل يرجع اليه في المطولات .

٣ ــ أفاض الشعراء في معنى قوله تعالى « ويذهب غيظ قلوبهم » لأن العرب قوم جبلوا على الحمية والأنفة . فرغبتهم في إدراك الثأر وقتل الأعداء هي اللائقــة بطباعهــم . وقد رمق سماء هــذا المعنى أبو تمام فقال :

إن الأسود أسود الغاب همتها   يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾

اللغــــة :

(وليجة) فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل ، وكل شيء أدخلته في شيء وليس منه فهو وليجة ، ويكون للمفرد وغيره بلفظ واحد ، وقد تجمع على ولائج ، ووليجة الرجل من يداخله في باطن أموره ، وفي المصباح : ولج الشيء في غيره يلج من باب وعــد ولوجاً دخــل وأولجته أيلاجاً أدخلته ، والوليجة : البطانة .

الاعراب :

(أم حسبتم أن تتركوا) أم منقطعة وسيأتي حكمها . وحسبتم فعل وفاعل وأن ومافي حيزها سدت مسد مفعولي حسبتم والمعنى : إنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) الواو للحال ولما حرف جازم تفيد التوقع ويعلم مجزوم بها والله فاعل والذين مفعول به وجملة جاهدوا صلة ومنكم حال. (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) الواو عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم ويتخذوا مضارع مجزوم بلم ومن دون الله متعلقان بيتخذوا ولا رسوله عطف على الله ووليجة مفعول به . (والله خبير بما تعملون) تقدم إعرابها كثيراً . (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) ما نافية وكان فعل ماض ناقص وللمشركين خبر كان المقدم وأن وما في حيزها اسمها المؤخر . (شاهدين على أنفسهم بالكفر) شاهدين حال من الواو في يعمروا وعلى أنفسهم جار ومجرور متعلقان بشاهدين وكذلك قوله بالكفر أي ما صح ولا استقام في العرف والطبع أن يجمعوا بين عمارة المساجد والكفر وهما متناقضان . (أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) أولئك مبتدأ وجملة حبطت أعمالهم خبر وفي النار جار ومجرور متعلقان بخالدون وهم مبتدأ وخالدون خبر .

الفوائد :

تقع « أم » على أربعة أوجه :

١ ـ متصلة أي لأن ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن

الآخر وتسمى معادلة لمعادلتها للهمزة في إفادة التسوية إن كانت الهمزة التي قبلها للتسوية . نحو قوله تعالى في سورة المنافقون: « سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم » أو كانت لطلب التعيين نحو : أفي الدار زيد أم عمرو .

٢ ـ منقطعة وهي مسبوقة بالخبر المحض نحو قوله تعالى : « تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه » ومسبوقة بالهمزة التي تفيد معنى آخر غير الاستفهام كالإنكار مثل : « ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها » فهي بمثابة النفي ، ومعنى « أم » المنقطعة التي لا يفارقها الإضراب .

٣ ـ أن تقع زائدة ذكره أبو زيد وقال في قوله تعالى : « أفلا تبصرون أم أنا خير » إن التقدير أفلا تبصرون أنا بخير .

٤ ـ أن تكون للتعريف في لسان حمير وطيء .

أمثلة شعرية لأم :

١ ـ وما أدري وسوف أخال أدري   أقوم آل حصن أم نساء

فهنا وقعت متصلة وتقدمت عليها همزة الاستفهام وهي لغير التسوية .

٢ ـ ولست أبالي بعد فقدي مالكاً   أموتي ناء أم هو الآن واقع

فهنا وقعت متصلة بعد همزة التسوية .

٣ ـ احاد أم سداس في أحاد   لييلتنا المنوطة بالتناد

يحتمل أن تكون أم متصلة ومنقطعة .

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ * أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾

الاعراب :

(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة) إنما كافة ومكفوفة ويعمر مساجد الله فعل مضارع ومفعول به مقدم والمراد بعمارتها رمّ ما استرمّ منها ، وتنظيفها وتنويرها وتعظيمها وتأثيثها بالرياش الفاخر المقتنى ، ومن اسم موصول فاعل يعمر وجملة آمن صلة وما بعده عطف عليه وإعرابه ظاهر .
(ولم يخش إلا الله) الواو عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم ويخش

مجزوم بلم والفاعل مستتر يعود على من آمن وإلا أداة حصر ولفظ الجلالة مفعول به • (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتـدين) الفاء الفصيحة وعسى فعل ماض من أفعال الرجاء وأولئك اسمها وأن يكونوا خبرها ومن المهتـدين خبر يكونوا ، أي فحـال هؤلاء الموصوفين بالصفات الأربع مرجوة والعاقبة عنـد الله معلومة • (أجعلتم سقاية الحاج وعمـارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر) جملة مستأنفة مسوقة لخطاب المشركين على طريق الالتفات عن الغيبة في قوله « ما كان للمشركين أن يعمـروا مساجد الله » والهمـزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي وجعلتم سقاية الحاج فعل وفاعل ومفعول به أول وعمارة المسجد الحرام عطف على سقاية الحاج والكاف اسم بمعنى مثل مفعول به ثان ومن مضاف اليه وجملة آمن صلة ولا بد من حذف مضاف إما من الأول وإما من الثاني ليتصادق المجعولان والتقدير : أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن أو أجعلتم السقاية والعمارة كإيمان من آمن أو كعمل من آمن • (وجـاهـد في سبيل الله) عطف على آمن • (لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) استئناف مؤكد لإبطال المساواة أي لا يستوي الفريقان : والله مبتدأ وجملة لا يهدي القوم الظالمين خبر ، وقد أورد التعليل لنفي المساواة في المعنى • (الذين آمنوا وهاجروا وجاهـدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) كلام مستأنف مسوق لتقرير حالة الموصوفين بهذه الأوصاف الثلاثة المذكورة، والذين مبتدأ وآمنوا صلة وما بعده عطف عليه وأعظم خبر ودرجة تمييز وعند الله الظرف حال • (وأولئك هم الفائزون) مبتدأ وخبر وهم ضمير فصل أومبتدأ ثان وقد تقدم نظيره • (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات) يبشرهم ربهم فعل مضارع ومفعول به وفاعل وبرحمة جار ومجرور

متعلقان بيبشرهم ومنه صفة وبرضوان وجنات معطوفان على رحمة • (لهم فيها نعيم مقيم) لهم خبر مقدم وفيها حال ونعيم مبتدأ مؤخر ومقيم صفة (خالدين فيها أبداً) خالدين حال مقدرة وفيها متعلقان بخالدين وأبداً ظرف متعلق بخالدين أيضاً • (إن الله عنده أجر عظيم) إن واسمها والظرف خبر مقدم وأجر مبتدأ مؤخر وعظيم صفة والجملة الاسمية خبر ان •

البلاغـة :

في هذه الآيات فنون من البلاغة نوردها فيما يلي :

أولاً ـ التشبيه الصناعي وأغراضه :

١ ـ التشبيه الذي خرج به الكلام مخرج الإنكار في قوله تعالى : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة البيت الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر » فهذا إنكار على من جعل حرمة الجهـاد كحرمة من آمن بالله واليوم الآخر وفي ذلك أوفى دلالة على تعظيم حال المؤمن بالإيمان وأنه لا يساوى به مخلوق ليس عـلى صفته وهو أحـد أغراض التشبيه الصناعي •

٢ ـ اخراج الأغمض الى الأظهر بالتشبيه والى ما تقع عليه الحاسة كقوله تعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجـده شيئاً » وسيأتي مزيد من الكلام عـلى هذه الآية •

٣ ـ ومنها إخراج ما لم تجر به العادة الى ما جرت به العادة كقوله تعالى : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » •

٤ ـ ومنها إخراج مالا يعلم بالبديهة الى ما يعلم بالبديهة كقوله تعالى : « وجنة عرضها السماوات والأرض » .

٥ ـ منها إخراج مالا قوة له في الصفة الى ما له قوة في الصفة كقوله تعالى : « وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام » .

٦ ـ ومنها بيان إمكان المشبه وذلك حين يسند اليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له كقول البحتري :

دانٍ الى أيد العفاة وشاسع عن كل نِدّ في الندى وضريب
كالبدر أفرط في العلو وضوءه للعصبة السارين جد قريب

فقد وصف البحتري ممدوحه في البيت الأول بأنه قريب للمحتاجين، بعيد المنزلة ، بينه وبين نظرائه في الكرم بون شاسع ، ولكن البحتري حينما أحس بأنه وصف ممدوحه بوصفين متضادين هما : القرب والبعد . أراد أن يبين لك أن ذلك ممكن وأن ليس في الأمر تناقض ، فشبه ممدوحه بالبدر الذي هو في السماء ولكن ضوءه قريب جداً للسائرين بالليل .

٧ ـ ومنها بيان حاله وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف كقول النابغة :

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فقد شبه النابغة ممدوحه بالشمس وشبه غيره من الملوك بالكواكب ، لأن سطوة الممدوح تغض من سطوة كل ملك كما تخفي الشمس الكواكب ، فهو يريد أن يبين حال الممدوح وحال غيره من الملوك .

٨ ـ ومنها تقرير حاله وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية ، وكان التشبيه يبين مقدار هذه الصفة ، كقوله تعالى : « والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه » فقد تحدثت الآية في شأن من يعبدون الأوثان وأنهم إذا دعوا آلهتهم لا يستجيبون لهم ، ولا يرجع اليهم هذا الدعاء بفائدة ، وقد أراد الله تعالى أن يقرر هذه الحال ويثبتها في الأذهان ، فشبه هؤلاء الوثنيين بمن يبسط كفيه الى الماء ليشرب فلا يصل الماء الى فمه بالبداهة ، لأنه يخرج من خلال أصابعه ما دامت كفاه مبسوطتين ، ويأتي هذا الغرض حينما يكون المشبه أمراً معنوياً لأن النفس لا تجزم بالمعنويات جزمها بالحسيات فهي في حاجة دائمة الى الاقناع .

٩ ـ تزيين المشبه كقول أبي الحسن الأنباري في مصلوب :

مددت يديك نحوهم احتفاء كمدهما إليهم بالهبات

وهذا البيت من قصيدة نالت شهرة بعيدة في الأدب العربي لا لشيء إلا لأنها حسنت ما أجمع الناس على قبحه والاشمئزاز منه وهو الصلب ، فهو يشبه مد ذراعي المصلوب على الخشبة والناس حوله بمدّ ذراعيه بالعطاء للسائلين أيام حياته ، والغرض من هذا التشبيه التزيين ، وأكثر ما يكون هذا النوع في المديح والرثاء والفخر ووصف ما تميل اليه النفوس .

١٠ ـ تقبيح المشبه كقول أحد الأعراب في ذم امرأته :

وتفتح ـ لاكانت ـ فماً لو رأيته

توهمته باباً من النار يفتح

فهو يدعو على امرأته بالحرمان من الوجود فيقول لا كانت ويشبه فمها حينما تفتحه بباب من أبواب جهنم ، والغرض من هذا التشبيه التقبيح ، وأكثر ما يستعمل في الهجاء ووصف ما تنفر منه النفوس ، ومنه قول المتنبي :

وإذا أشار محدثاً فكأنــه قرد يقهقــه أو عجوز تلطم

هذا وسيأتي المزيد من بحث التشبيه فيما يأتي .

ثانياً ــ اللف والنشر :

في قوله تعالى : « يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم » بعد أن وصف المؤمنين بثلاث صفات وهي : الايمان والهجرة والجهــاد بالنفس والمال ، فبدأ بالرحمــة في مقابلة الايمان لتوقفها عليه وثنى بالرضوان الذي هو نهاية الاحسان في مقابلة الجهاد الذي فيه بذل الأنفس والأموال ، ثم ثلث بالجنات في مقابلة الهجرة وترك الأوطان ، إشارة الى أنهم لما آثروا تركها بدلهم داراً عظيمة دائمة وهي الجنات وهذا فنّ طريف عرّفوه : بأنه ذكر متعدد على وجــه التفصيل أو الاجمال ، ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين ، ثقة بأن السامع يميز ما لكل واحد منها ثم يرده الى ما هو له ، أما قسم التفصيل فهو ضربان :

آ ــ أن يكون النشر على ترتيب اللف ، بأن يكون الأول من المتعدد في النشر للأول من المتعدد في اللف والثاني للثاني وهكذا الى الآخر . قال أحدهم :

ومقرطق يغني النديم بوجهه عن كأسه الملأى وعن إبريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها في مقلتيه ووجنتيه وريقه

وكالآية التي نحن بصددها •

ب ــ أن يكون النشر على غير ترتيب اللف كقول أبي فراس :

وشادن قال لي لما رأى سقمي
وضعف جسمي والدمع الذي انسجما
أخذت دمعك من خدي وجسمك من
خصري وسقمك من طرفي الذي سقما

وأما قسم الإجمال فهو أن تلف الشيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بأحدهما ومتعلق بآخر من غير تعيين كقوله تعالى : « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » فذكر الفريقين على طريق الإجمال دون التفصيل ثم ذكر ما لكل منهما ، فالمتعدد المذكور اجمالاً هو الفريقان أو قولهما ، والأصل : قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، فلف بينهما لعدم الالتباس وللثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله •

ثالثاً : تنكير المبشر به وهو قوله : « يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات » لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف •

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

اللغـــة :

(العشيرة) هي الأهــل الأدنون ، وقيل هم أهل الرجل الذين يتكثر بهم سواء بلغوا العشرة أم فوقها ، وقيل : هي الجماعة المجتمعة بنسب أو عقد أو وداد كعقد العشرة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقــدم اعرابه . (لا تتخــذوا آباءكم وإخوانكم أولياء) لا ناهية وتتخذوا مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل وآباءكم مفعول به وإخوانكم عطف عليه وأولياء مفعول به ثان والجملة استئنافية مسوقة للرد على ما قالوه بعد ما أمر الله تعالى بالتبري

من المشركين ، فقد قالوا : كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه ، فرد الله عليهم بذلك ، أي أن مقاطعة الرجل أهله في الدين واجبة فالمؤمن لا يوالي الكافر وإن كان أباه وأخاه وابنه • (ان استحبّوا الكفر على الايمان) إن شرطية واستحبوا فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط والكفر مفعول استحبوا وعلى الايمان جار ومجرور متعلقان باستحبوا المتضمن معنى اختاروا • (ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ ويتولهم فعل الشرط وقد روعي فيه اللفظ فأفرد ، ومنكم حال والفاء رابطة وأولئك مبتدأ وهم ضمير فصل أو ضمير مبتدأ والظالمون خبر أولئك أو هم والجملة خبر أولئك وقد روعي فيه جانب المعنى لمن • (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) إن شرطية وكان واسمها وما بعده عطف عليه وأحب خبر كان واليكم حال ومن الله جار ومجرور متعلقان بأحب ورسوله وجهاد في سبيله عطف على الله أي من الهجرة إليهما • (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) الفاء رابطة وتربصوا فعل أمر وفاعل وحتى حرف غاية وجر ويأتي منصوب بأن مضمرة بعد حتى والله فاعل وبأمره جار ومجرور متعلقان بيأتي والله مبتدأ وجملة لا يهدي القوم الفاسقين خبر ومعنى الأمر هنا التهديد ومفعوله محذوف ، أي انتظروا عقوبة عاجلة أو آجلة ، وهذه الآية من أشد الآيات تهديداً وإرعاداً وإبراقاً وردعاً لكل من تسول له نفسه إيثار الفانية على الباقية ومراعاة جانب الأهل والعشيرة وترك جانب الله •

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٧)

اللغـــة :

(المواطن) جمع موطن والمواطن مثل الوطن ، وفي المصباح : « الوطن مكان الانسان ومقره ، والجمع أوطان مثل سبب وأسباب ، والموطن مثل الوطن والجمع مواطن كمسجد ومساجد ، والموطن أيضاً: المشهد من مشاهد الحرب » وعبارة الزمخشري : « مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال :

وكم موطن لولاي طحت كمـــا هوى

بأجرامـــــه من قلـــة النيق منهوي

أي كثير من مواطن الحرب لولاي موجود لطحت بكسر الطاء وضمها ، من باع وقال أي هلكت فيها كما هوى منهوٍ أي ساقط من قلة النيق أي من رأس الجبل . ومـذهب سيبويه أن لولا حرف جر إذا وليها ضمير نصب ومذهب الأخفش أنه وضع ضمير النصب موضع ضمير الرفع على الابتداء ، أما المبرد فقد أنكر وروده وهو محجوج بهـذا

البيت وغيره ، وأراد الله تعالى بالمواطن الكثيرة الأماكن التي وقعت فيها وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة • وفي القاموس : الموطن : الوطن والمشهد من مشاهد الحرب ، فلا حاجة عندئذ لتقدير مضاف كما ذهب بعضهم ، والفعل منه وطن يطن من باب ضرب وطناً وأوطن إيطاناً بالبلد أقام به ، واستوطن البلد : اتخذه وطناً •

(حنين) هو واد بين مكة والطائف ، أي يوم قتالكم فيه هوازن وذلك في شوال سنة ثمان فهي عقيب الفتح وستأتي الإشارة الى هذه الوقعة في باب الفوائد •

(رحبت) في المختار : الرحب بالضم السعة يقال منه : فلان رحيب الصدر ، والرحب بالفتح الواسع وبابه ظرف وقرب ، والمصدر رحابة كظرافة ورحب كقرب اهـ •

الاعراب :

(لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) جملة مستأنفة مسوقة لتذكير المؤمنين بآلائه عليهم واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق ونصركم الله فعل ومفعول به وفاعل وفي مواطن جار ومجرور متعلقان بنصركم وكثيرة صفة • (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) الواو عاطفة ويوم ظرف معطوف على قوله مواطن ، ولا مانع من عطف الظرفين المكاني والزماني أحدهما على الآخر كعطف أحد المفعولين على الآخر والفعل واحد ، إذ يجوز أن تقول : ضرب زيد عمراً في المسجد ويوم الجمعة ، كما تقول ضربت زيداً وعمراً ولا يحتاج الى إضمار فعل جديد غير الأول هذا مع أنه لا بد من تغاير الفعلين الواقعين بالمفعولين في

الحقيقة . فإنك إذا قلت : اضرب زيداً اليوم وعمراً غداً لم يشك في أن الضربين متغايران بتغاير الظرفين ، ومع ذلك الفعل واحد في الصناعة ، فعلى هذا يجوز في الآية بقاء كل واحد من الظرفين على حاله غير مؤول الى الآخر ، على أن الزمخشري وغيره يوجبون تعدد الفعل وتقدير ناصب لظرف الزمان غير الفعل الأول وإن كانا جميعاً زمانين لعلة أن كثرتهم لم تكن ثابتة في جميع المواطن ولذلك قدر الزمخشري محذوفاً قال : « فإن قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن ؟ قلت : معناه وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين . ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين ومقدم الحاج ، على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوباً بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك أن : إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيراً في جميعها ، فبقي أن يكون ناصبه فعلاً خاصاً به » . وإذ ظرف لما مضى منصوب على البدلية من يوم حنين كما تقدم أو منصوب بإضمار اذكر وجملة أعجبتكم مضافة للظرف وأنفسكم فاعل . ومنع بعضهم إبدال إذ من يوم حنين بل هو منصوب بفعل مقدر أي اذكروا إذ أعجبتكم كثرتكم . (فلم تغن عنكم شيئاً) الفاء عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم وتغن مضارع مجزوم بلم وشيئاً مفعول مطلق أو مفعول به . (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) وضاقت عطف على ماتقدم عليكم جار ومجرور متعلقان بضاقت والأرض فاعل والباء حرف جر بمعنى مع وما مصدرية أي مع رحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال أي ملتبسة برحبها كقولك : دخلت عليه بثياب السفر ، أي ملتبسا بها تعني مع ثياب السفر . (ثم وليتم مدبرين) عطف على ماتقدم ومدبرين حال من التاء في وليتم . (ثم أنزل الله سكينته على

رسوله وعلى المؤمنين) ثم حرف عطف وتراخ وأنزل الله فعل وفاعله وسكينته مفعول به وعلى رسوله جار ومجرور متعلقان بأنزل وعلى المؤمنين عطف على رسوله • (وأنزل جنوداً لم تروها) وأنزل جنوداً عطف على ما تقدم وجملة لم تروها صفة لجنوداً • (وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) عطف أيضاً وذلك مبتدأ وجزاء الكافرين خبره (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) عطف على ما تقدم مقترن بالتراخي ومن بعد ذلك حال وعلى من يشاء متعلقان بيتوب والله مبتدأ وغفور رحيم خبراه •

الفوائد :

استفاضت السير في الروايات لهذه الوقعة ويؤخذ منها أن المسلمين كانوا اثني عشر ألفاً الذين حضروا فتح مكة منضماً اليهم ألفان من الطلقاء عندما التقوا مع هوازن وثقيف فيمن ضامّهم من امداد سائر العرب فكانوا الجم الغفير ، فلما التقوا قال رجل من المسلمين : لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا اقتتالاً شديداً ، وأدركت المسلمين نشوة الإعجاب بالكثرة ، وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود ، فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت ، في مركزه لايتحلحل ، ليس معه إلا عمه العباس آخذاً بلجام دابته وأبو سفيان ابن الحارث ابن عمه ، روى أبو جعفر بن جرير بسنده عن عبد الرحمن عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال : لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة ، فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة

البيضاء فإذا هو رسول الله ، قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا : شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا وركبنا أكتافنا . وهناك روايات كثيرة تختلف في سردها وتتفق في معناها على أن ذلك الموقف كان شهادة صدق على تناهي شجاعة النبي ورباطة جأشه ، وأن الرجال تكثر بالنصر وتقل بالخذلان .

٢ ـ قال الصفاقسي : ظاهر كلام الزمخشري أولاً منع عطف الزمان على المكان ، ولم أر من نص عليه وفيه نظر ، وأما وجوب إضمار الفعل فهو مبني على اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في متعلقات الفعل وهو ممنوع ، وقد أشار الى منعه ابن الحاجب في مختصره في الأصول . والتحقيق والتدقيق إن قوله يوم حنين ، إن جعلته عطفاً على مواطن فالواو قائم مقام حرف الجر وهو « في » فكأنه قال : لقد نصركم الله في مواطن كثيرة في يوم حنين ، وهذا المعنى باطل لأنه يعين مكان النصرة وزمانها . ولا شك أنه ليس زمان النصرة في المواطن الكثيرة يوم حنين سواء أجعلت « إذ أعجبتكم » بدلاً أم لا وأما اذا عطفت «ويوم حنين» على محل « في مواطن » كما هو الظاهر فحرف العطف قائم مقام « نصركم » العامل « في مواطن » فكأنه قال : لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين خاصة وحينئذ جاز أن يكون « إذ أعجبتكم » بدلاً من يوم ، وهذا كما تقول : رأيت مراراً في مصر وليلة العيد إذ أفاض الناس من عرفة . هذا هو الصدق الحق الذي لا غطاء على وجهه المنير فلا تخش من قعقعة سلاح الزمخشري فإنها جعجعة من غير طحن ولكن لكل جواد كبوة .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن

شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾

اللغـــة :

(نجس) في القاموس : « النجس بالفتح وبالكسر وبالتحريك ككتف وعضد ضد الطاهر ، وقد نجس كسمع وكرم وأنجسه ونجّسه فتنجّس ، وداء ناجس ونجيس ككريم إذا كان لا يبرأ منه وتنجس فعل فعلاً يخرج به عن النجاسة ، والتنجيس اسم شيء من القذر أو عظام الموتى أو خرقة الحائض كان يعلق على من يخاف عليه من ولوع الجن به والمعوّذ منجّس » وجاء في شرح التاج على القاموس تعليقاً على قوله المعوذ منجس: « قال ثعلب قلت لابن الاعرابي: لم قيل للمعوذ منجّس وهو مأخوذ من النجاسة ؟ فقال : إن للعرب أفعالاً تخالف معانيها ألفاظها يقال فلان يتنجّس إذا فعل فعلاً يخرج به عن النجاسة » وفي سجعات الاساس : « إذا جاء القدر لم يغن المنجم ولا المنجس ، ولا الفيلسوف ولا المهندس » ، وعن الحسن في رجل تزوج امرأة كان قد زنى بها هو أنجسها فهو أحق بها .

(عيلة) فقر ، وفي المصباح : العيلة بالفتح الفقر وهي مصدر عال يعيل من باب سار فهو عائل والجمع عالة وهو في تقدير فعلة مثل كافر

وكفرة . وعيلان بالفتح اسم رجل ومنه قيس بن عيلان قال بعضهم : ليس في كلام العرب عيلان بالعين المهلمة إلا هذا ، وفي المختار : وعيال الرجل من يعولهم وواحد العيال عيل والجمع عيائل كجيائد ، وأعال الرجل كثرت عياله فهو معيل والمرأة معيلة ، قال الأخفش أي صار ذا عيــال » .

(الجزية) سميت جزية لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه أو لأنهم يجزون بها من منّ عليهم بالإعفاء من القتل ، ومن غريب أمر الجيم والزاي أنهما إذا وقعتا فاء وعيناً للكلمة دلتا على معنى الأخذ والشدة ، فجزأت الشيء تجزئة ، وشيء مجزأ أي مبعض ، وذلك لا يتأتى إلا بالقوة والشدة ، وبعـير مجزيء قوي سمين لأنه يجزيء الراكب والحامل ، وجزر لهم الجزّار نحر لهم جَزوراً وهم نحّارون للجزر ، وأخذ الجازر جُزارته وهي حقه وإياكم وهـذه المجازر ، ومنه الجزر والمدّ ، والجزيرة والجزائر ويقال جزيرة العرب لأرضها ومحلتها لأن بحر فارس وبحر الحبش ودجلة والفرات قد أحدقت بها ، وجزّ الشعر والزرع والنخيل ، وهذا زمن الجزاز ، ويقال : جزّوا ضأنهم وحلقوا معزهم ، وجزع الوادي قطعه عرضاً قال أبو تمام :

إليك جزعنا مغرب الملك كلما قطعنا ملاً صلت عليك سباسبه

وهم بجزع الوادي وهو منعطفـه ، وتجزّع الشيء : تقطّـع وتفرق ، قال الراعي :

ومن فارس لم يحـرم السيف خطّـه
إذا رمحـه في الدارعـين تجزّعـا

ومنه الجزع الظفاري لأن لونه قد يجزّع الى بياض وسواد ، قال امرؤ القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقّب

وجزف كذا اتباعه منه جزافاً وبالجزاف ، وجازفه في البيع مجازفة وجزافاً ، وحطب جزل قاس يابس . وأنشد ثعلب :

فويهــا لــقدرك ويها لهــا إذا اختير في المحل جزل الحطب

وقال :

فأصبحت أنى تأتها تستجر بها تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا

وضرب الصيد فجزله جزلتين أي قطعتين ، ومن المجــاز رجل جزل : ذو عقل ورأي وقد جزُل وما أبين الجزالة فيه ، وهو جزَْل العَطاء ، وإن فعلت كذا فلك الذكر الجميل والثواب الجزيل ، وامرأة جزْلة ذات أرداف ، وجزمت ما بيني وبينه قطعته ، وجزم اليمين قطعها البتة ، وجزم على كذا عزم عليه ، وتقول هذا حكم جزم وقضاء حتم . فإذا رجعنــا لجزى رأينا عجباً من هــذه المادة تقول يجزيك الله عني ويجازيك قال لبيد :

وإذا جوزيت قرضاً فاجــزه إنما يجزى الفتى ليس الجمل

وقال الحطيئة :

من يفعل الخير لايعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها (إنما المشركون نجس) إنما كافة ومكفوفة والمشركون نجس مبتدأ وخبر أي ذوو نجس لأن معهم

الشرك الذي هو بمنزلة النجس ، أو لأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فلا تنفك تلابسهم ، أو جعلوا كأنهم النجاسة عينها مبالغة في وصفهم بها ، والنجس مصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع ، أو هو مجاز عن خبث الباطن وفساد العقيدة . (فلا يقربوا المسجد الحرام) الفاء الفصيحة ولا ناهية ويقربوا مضارع مجزوم بها والواو فاعل والمسجد مفعول به والحرام صفة . (بعد عامهم هذا) الظرف متعلق بيقربوا وعامهم مضاف إليه وهذا نعت لعامهم أو بدل منه وهو العام التاسع للهجرة . وفي هذا الحكم مسائل فقهية يرجع اليها في المظانّ المطولة . (وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء) الواو عاطفة وإن شرطية وخفتم فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط وعيلة مفعول به ، فسوف الفاء رابطة وسوف حرف استقبال ويغنيكم الله فعل مضارع ومفعول به وفاعل والجملة في محل جزم جواب الشرط ومن فضله جار ومجرور متعلقان بيغنيكم وإن شرطية وشاء فعلها والجواب محذوف دل عليه ما قبله أي فسوف يغنيكم . (إن الله عليم حكيم) ان واسمها وخبراها . (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) جملة مستأنفة مسوقة للأمر بغزو المشركين ، وقاتلوا فعل أمر وفاعل والذين مفعول به وجملة يؤمنون صلة وبالله متعلقان بيؤمنون ولا باليوم الآخر عطف على بالله . (ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله) عطف على ما تقدم وما مفعول يحرمون وجملة حرم الله ورسوله صلة . (ولا يدينون دين الحق) الواو عاطفة ودين الحق يجوز أن يكون مصدر يدينون فهو مفعول مطلق ، ويجوز أن يكون مفعولاً به مع تضمين يدينون معنى يعتقدون . ويجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض أي بدين الحق ولعله أظهر . (من الذين أوتوا الكتاب) حال من الضمير في يدينون أو من الذين الأولى مع مافي حيزها وجملة أوتوا الكتاب صلة والكتاب مفعول به

ثان • (حتى يعطوا الجزية عن يد) حتى حرف غايــــة وجر ويعطوا منصوب بأن مضمرة بعد حتى والجزية مفعول به وعن يد حال وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغة (وهم صاغرون) حال ثانية وهم مبتدأ وصاغرون خبر •

البلاغــة :

في قوله تعالى « عن يد » كناية عن الانقياد ؛ يقال : أعطى فلان بيده إذا سلم وانقاد ، لأن من أبى وامتنع لم يعط يده ، بخلاف المطيع المنقاد كأنه قيل : قاتلوهم حتى يعطوا الجزية عن طيب نفس وانقياد دون أن يكرهوا عليها ثم إن المراد بها إما يد المعطي وإما الآخذ ومعناه على إرادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد مؤاتية غير ممتنعة لأن من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ، ألا ترى الى قولهم : نزع يده عن الطاعة كما يقال : خلع ربقة الطاعة عن عنقه ، وأما يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية ، أو عن إنعام عليهم لأن قبول الجزية منهم وترك أرواحهم نعمــة عظيمة عليهم ؛ هذا وقد تقدمت مباحث الكناية وسيرد الكثير منها في حينه •

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا

مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾

اللغـــة :

(يضاهئون) في المصباح : ضاهأه مضاهأة مهموز عارضه وباراه، ويجوز التخفيف فيقال: ضاهيته مضاهاة وهي مشاكلة الشيء بالشيء .

(يؤفكون) يصرفون .

(أحبارهم) في المختار : الحبر الذي يكتب به وموضعه المحبرة بالكسر ، والحبر أيضاً الأثر وفي الحديث : يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره ، قال الفراء : أي هيئته ولونه . وقال الأصمعي : الجمال والبهاء وأثر النعمة وتحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه . والحبر بالفتح الحبور وهو السرور ، وحبره أي سره ، وبابه نصر ، وحبرة أيضاً بالفتح ومنه قوله تعالى : « فهم في روضة يحبرون » أي يسرون وينعمون ويكرمون ، والحبر بالفتح والكسر واحد أحبار اليهود والكسر أفصح لأنه يجمع على أفعال دون فعول ، وقال الفراء : هو بالكسر ، وقال أبو عبيدة : هو بالفتح . وقال الأصمعي : لا أدري أنه بالفتح أو بالكسر ، وقال : الحبر بالكسر منسوب الى الحبر الذي يكتب به لأنه كان صاحب كتب والحبرة كالعنبة برد يماني والجمع حبر كعنب وحبرات بفتح الباء . وفي المنجد : الحبر والحبر بالفتح

والكسر : العالم الصالح ، السرور والنعمة ، رئيس من رؤساء الدين ، الحبر الأعظم : خلف السيد المسيح على الأرض ، رئيس الكهنة عند اليهود ، والجمع أحبار وحبور .

(رهبانهم) جمع راهب وهو من اعتزل الناس الى دير طلباً للعبادة والمؤنث راهبة وجمعها راهبات ورواهب .

الاعراب :

(وقالت اليهود عزير ابن الله) الواو استئنافية وقالت اليهود فعل وفاعل وعزير مبتدأ وابن الله خبر ولذلك أثبتت ألف ابن لأنها تحذف إذا وقعت ابن صفة أو بدلاً بين علمين ، ونوّن عزير لأنه عربي فلم يبق فيه إلا علة واحدة وهي العلمية وقرىء بمنع الصرف باعتباره أعجمياً ، وقرىء قوله تعالى : « وقالت اليهود عزير ابن الله » على وجهين : بتنوين عزير لأن ابناً خبر عن عزير فجرى مجرى قولك زيد ابن عمرو ، والقراءة الأخرى بمنع التنوين وهي على وجهين : أحدهما أن يكون عزير خبراً لمبتدأ محذوف وابن وصفاً له فحذف التنوين من عزير لأن ابناً وصف له فكأنهم قالوا : هو عزير بن الله والوجه الآخر أن يكون جعل ابناً خبراً عن عزير وحذف التنوين لالتقاء الساكنين .

(وقالت النصارى المسيح ابن الله) جملة مماثلة معطوفة على سابقتها وجملة المبتدأ والخبر مقول القول . (ذلك قولهم بأفواههم) ذلك مبتدأ وقولهم خبر وبأفواههم حال وسيرد في باب البلاغة سر ذكر الأفواه . (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) الجملة حالية وقول مفعول به والذين مضاف إليه وجملة كفروا صلة ومن قبل

حال • (قاتلهم الله أنى يؤفكون) قاتلهم الله فعل ومفعول به وفاعل والجملة دعائية لا محل لها وأنى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب حال مقدم ويؤفكون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل أي كيف يصرفون عن الحق • (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم) اتخذوا فعل وفاعل وأحبارهم مفعول به ورهبانهم عطف على أحبارهم وأرباباً مفعول به ثان ومن دون الله صفة لأرباباً والمسيح عطف على أحبارهم والمفعول الثاني بالنسبة إليه محذوف أي رباً وابن صفة للمسيح أو بدل منه وثبتت الألف فيه لأنه صفة بين علمين والمسيح لقب واللقب من أقسام العلم (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً) الواو للحال وما نافية وأمروا فعل ماضي مبني للمجهول والواو نائب فاعل وإلا أداة حصر واللام للتعليل ويعبدوا منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وواحداً صفة إلهاً • (لا إله إلا هو) الجملة صفة ثانية لإلهاً وقد تقدم القول مفصلاً في اعراب « لا إله إلا الله » • (سبحانه عما يشركون) سبحان مفعول مطلق والهاء مضاف إليه وهو مصدر بمعنى التنزيه لله عن الإشراك به وعما متعلقان بسبحانه وجملة يشركون صلة ما • (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم) جملة يريدون حالية لتمثيل حالهم في محاولتهم أن يبطلوا نبوة محمد بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم وسيأتي بحث ذلك في باب البلاغة وأن وما في حيزها مفعول يريدون ونور الله مفعول به وبأفواههم جار ومجرور متعلقان بيطفئوا • (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) ويأبى الله عطف على يريدون وإلا أداة حصر لأن الكلام على تقدير النفي لأن يأبى تجري مجرى لم يرد وأن وما في حيزها مفعول يأبى ولو الواو حالية ولو شرطية جوابها محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره لأتمه ولم يبال بكراهتهم والجملة

حالية والمعنى لا يريد الله إلا إتمام نوره ولو كرهوه وقد قيل : كيف دخلت « إلا » الاستثنائية على يأبى ولا يجوز كرهت أو أبغضت إلا زيداً ، وقال الفراء : إنما دخلت لأن في الكلام طرفاً من الجحد ، وقال الزجاج : إن العرب تحذف مع أبى والتقدير ويأبى الله كل شيء إلا أن يتم نوره ، وقال علي بن سليمان : إنما جاز هذا في أبى لأنها منع أو امتناع فضارعت النفي ، قال النحاس : وهذا أحسن كما قال الشاعر:

وهل لي أم غـيرها إن تركتها أبى الله إلا أن أكون لهـا ابناً

البلاغـة :

في قوله تعالى : «ذلك قولهم بأفواههم» إيهام بأن القول لا يكون إلا بالفم فما معنى ذكر أفواههم ؟ ولكن السر كامن في الأفواه وهو أن ما تندبه لايكون إلا مجرد قول لا يؤبه له ولا يعضده برهان ولا تنهض به حجة فما هو إلا لفظ فارغ وهراء لا طائل تحته كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم لا تنطوي على معان ومالا معنى له لا يعدو الشفتين .

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ

اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾

اللغة :

(يكنزون) يجمعون ويدفنون ، وفي المصباح : كنزت المال كنزاً من باب ضرب جمعته وادخرته ، وكنزت التمر في وعائه كنزاً أيضاً ، وهذا زمن الكناز قال ابن السكيت : لم يسمع إلا بالفتح ، وحكى الأزهري : كنزت التمر كَنازاً وكِنازاً بالفتح والكسر ، والكنز المال المدفون معروف تسمية بالمصدر والجمع كنوز مثل فلس وفلوس ، واكتنز الشيء اكتنازاً اجتمع وامتلأ ، وفي الأساس : وإنه لكنيز اللحم مكتنزه : صلبه ، وناقة كناز اللحم ، ومن المجاز : معه كنز من كنوز العلم وقال زهير :

عظيمين في عليا معـد وغيرها ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم

وهذا كتاب مكتنز بالفوائد .

(الذهب) معروف وهو يذكر ويؤنث ، وله أسماء عديدة وهي : نضر ، نضار ، نضير ، زبرج ، زخرف ، عسجد ، عقيان .

الاعراب :

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) الجملة مستأنفة

وهو مبتدأ والذي خبره وجملة أرسل رسوله صلة وبالهدى أي بالقرآن متعلق بأرسل ودين الحق عطف على الهدى • (ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) اللام للتعليل ويظهر منصوب بأن مضمرة والهاء مفعول به يعود على الرسول ، وعلى الدين جار ومجرور متعلقان بيظهره وكله تأكيد للدين والواو حالية ولو شرطية وصلية وكره المشركون فعل وفاعل والمفعول به محذوف أي ذلك • (يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها • (إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل) إن واسمها ومن الأحبار صفة لكثيراً والرهبان عطف على الأحبار وليأكلون اللام المزحلقة ، وجملة يأكلون خبر إن وأموال الناس مفعول به بالباطل حال وسيأتي تحقيق الأكل في باب البلاغة • (ويصدون عن سبيل الله) عطف على يأكلون • (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) الواو استئنافية والذين مبتدأ وجملة يكنزون صلة والذهب مفعول يكنزون والفضة عطف على الذهب ولا ينفقونها عطف على يكنزون وفي سبيل الله تعلقان بينفقونها • (فبشرهم بعذاب أليم) الفاء رابطة لما في الشرط من معنى العموم ورائحة الشرط وبشرهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وبعذاب جار ومجرور متعلقان ببشرهم وأليم صفة وجملة بشرهم خبر ، والأحسن أن يكون الذين منصوباً بتقدير بشر الذين يكنزون (يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) الظرف متعلق بقوله بعذاب أليم وقيل بمحذوف يدل عليه عذاب أي يعذبون يوم يحمى أو بمحذوف تقديره اذكر وجملة يحمى مضافة للظرف ويحمى يحتمل أن يكون من حميت وأحميت ثلاثياً ورباعياً يقال حميت الحديدة وأحميتها أي أوقدت عليها لتحمى ونائب الفاعل المحذوف هو النار تقديره يوم تحمى النار عليها ، فلما

حذف نائب الفاعل ذهبت علامة التأنيث لذهابه كقولهم رفعت القصة الى الأمير ثم تقولُ رفع الى الأمير ، وعليها في محل رفع نائب فاعل كما تقدم وفي نار جهنم متعلق بيحمى ، فتكوى الفاء عاطفة وتكوى عطف على تحمى وبها متعلقان بتكوى وجباههم نائب فاعل وجنوبهم وظهورهم عطف على جباههم وسيأتي سر تخصيص هذه الأعضاء في باب البلاغة .
(هذا ماكنزتم لأنفسكم) الجملة مقول القول محذوف أي يقال لهم ، وهذا مبتدأ وما خبره وجملة كنزتم صلة ولأنفسكم متعلقان بكنزتم .
(فذوقوا ماكنتم تكنزون) الفاء الفصيحة وذوقوا فعل أمر وفاعل وما مفعول به وجملة كنتم تكنزون صلة وجملة تكنزون خبر كنتم .

البلاغة :

في هذه الآيات فنون عديدة من أفانين البلاغة نجملها فيما يلي :

١ ــ الاستعارة في أكل الأموال إذ هي مما لا يؤكل ولكن الأكل استعير للأخذ ومعنى أكلهم بالباطل ، أنهم كانوا يأخذون الرشا في الأحكام .

٢ ــ أفرد الضمير في قوله « ينفقونها » مع أنه ذكر شيئين وهما الذهب والفضة ذهاباً بالضمير الى المعنى دون اللفظ لأن كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة .

٣ ــ خصص الجباه والوجوه والظهور لأنهم كانوا يتوخون من جمع الأموال واكتنازها الأغراض الدنيوية التي يرفعون بها جباههم ويصونون ماء وجوههم ، يحتفل بهم الناس لدى رؤيتهم إياهم ويطرحون مناعم الثياب على ظهورهم ، وهذه أسرار انفرد بها القرآن العزيز .

الفوائد :

روى التاريخ أن أبا ذر قال : نزلت هذه الآيات في أهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول أن أهل الكتاب موصوفون بالحرص على أخذ المال من أي وجه ، ثم ذكر الله بعد ذلك وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء أكان من أهل الكتاب أم من المسلمين. روى مسلم عن زيد بن وهب قال : مررت بالربذة فإذا أبو ذرّ فقلت له : ما أنزلك هذا المنزل ؟ قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » فقال معاوية : نزلت في أهل الكتاب، وقلت أنا : نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذلك كلام ، فكتب الى عثمان يشكوني فكتب إلي أن أقدم المدينة ، فقدمتها فازدحم علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان فقال : إن شئت تنحيت فكنت قريباً منا فهذا هو الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمروا عليّ عبداً حبشياً لسمعت وأطعت .

حديث هام عن الذهب والفضة :

وروى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تباً للذهب تباً للفضة ، قالها ثلاثاً ، فقالوا له : أيّ مال نتخذ ؟ قال : لساناً ذاكراً وقلباً خاشعاً وزوجة تعين أحدكم على دينه . هذا وقد اختلف العلماء في حد رأس المال فقال علي : أربعة آلاف فما دونها نفقة ، فما زاد فهو كنز ، وردوا عليه بأن هذا معقول قبل أن تفرض الزكاة وهناك كلام طويل يرجع إليه في المطولات وليس هو من غرض هذا الكتاب .

إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

اللغــة :

(النسيء) مصدر نسأه إذا أخره ، يقال : نسأه نسئاً ونسيئاً ونساءً كقولك مسّه مسّاً ومساساً ومسيساً ، وقيل هو فعيل بمعنى مفعول من نسأه إذا أخره فهو منسوء . ثم حوّل مفعول إلى فعيل كما حوّل مقتول الى قتيل ، وفي المختار : والنسيئة كالفعيلة التأخير . وكذا النساء بالفتح والمد التأخير والنسيء في الآية فعيل بمعنى مفعول من قولك نسأه من باب قطع أي أخره فهو منسوء فحوّل منسوء الى نسيء كما حول مقتول الى قتيل والمراد به هنا تأخير حرمة المحرم الى صفر وسيأتي في باب الفوائد تفصيل ذلك .

الاعراب :

(إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً) إن واسمها والشهور مضاف إليه وعند الله ظرف متعلق بمحذوف حال أي في حكمه واثنا

خبر إن مرفوع بالألف لأنه مثنى وعشر جزء عددي مبني على الفتح وشهراً تمييز وهي الشهور القمرية المعروفة . (في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض) في كتاب الله صفة لاثني عشر ويوم ظرف متعلق بمحذوف أو بكتاب الله إن جعل مصدراً والمعنى : إن هذا أمر ثابت في نفس الأمر منذ خلق الله الكائنات وقيل يوم خلق بدل من قوله عند الله والتقدير ان عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، وفائدة الإبدالين تقرير الكلام في الأذهان ، وجملة خلق مضاف اليها الظرف . (منها أربعة حرم) منها خبر مقدم وأربعة مبتدأ مؤخر وحرم صفة والجملة صفة ثانية لاثني عشر شهراً وهي ثلاثة سرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وواحد فرد وهو رجب . (ذلك الدين القيم) ذلك مبتدأ والدين خبر والقيم صفة . (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) الفاء الفصيحة ولا الناهية وتظلموا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل وفيهن متعلقان بتظلموا وأنفسكم مفعول به . (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) الواو عاطفة وقاتلوا فعل أمر والواو فاعل والمشركين مفعول به وكافة حال من الفاعل أو المفعول وهي في الأصل مصدر معناه جميعاً ولا يثنى ولا يجمع ولا تدخله أل ولا يتصرف فيه بغير الحال ، هذا ما قرره النحاة بشأن كافة ، ولكن صحح الشهاب الخفاجي أن يقال جاءت الكافة ، وأطال البحث فيه في شرح الشفاء . وقال شارح اللباب : إنه أستعمل مجروراً واستدل له بقول عمر بن الخطاب : « على كافة بيت مال المسلمين » ، وقال ابراهيم الكوراني : من قال من النحاة : إن كافة لا تخرج عن النصب فحكمه ناشىء عن استقراء ناقص، واستعملها الزمخشري مجرورة بالكاف في خطبة كتابه « المفصل » فقال : « محيط بكافة الأبواب » كما استعملها في غير الأناسي . كما الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف أو هي حرف جر وما مصدرية مؤولة

مع مافي حيزها بمصدر صفة لمصدر محذوف أي قتالاً كقتالكم وقد تقدمت له نظائر فجدد به عهداً • (واعلموا أن الله مع المتقين) أن ومافي حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا وأن واسمها ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر • (إنما النسيء زيادة في الكفر) إنما كافة ومكفوفة والنسيء مبتدأ وزيادة خبر وفي الكفر متعلق بزيادة • (يضل به الذين كفروا) فعل وفاعل وبه متعلقان به والذين كفروا فاعله وقرىء يضل به الذين كفروا بالبناء للمجهول والجملة خبر ثان للنسيء • (يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً) الجملة تفسيرية للضلال فلا محل لها ويجوز أن تعرب حالية وعاماً ظرف متعلق بيحلونه • (ليواطئوا عدة ما حرم الله) اللام للتعليل وهي مع مجرورها المؤول متعلقة بيحرمونه أو بيحلونه حسب قانون التنازع وعدة مفعوله وما موصول مضاف إليه وجملة حرم الله صلة • (فيحلوا ما حرم الله) عطف على ليواطئوا وما مفعول يحلوا • (زين لهم سوء أعمالهم) الجملة حالية من الفاعل أي مزينين أو استئنافية ولعله أولى ، ولهم متعلقان بزين وسوء أعمالهم فاعل • (والله لا يهدي القوم الكافرين) مبتدأ وجملة لا يهدي خبر •

الفوائد :

ما يقوله التاريخ عن النسيء :

روى التاريخ أن العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الأشهر الحرم وتعظيمها وكانت عامة معايش العرب من الصيد والغارة وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية وربما وقعت حروب في بعض الأشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم الى الأشهر الحلال فنسئوا يعني : أخروا تحريم شهر الى شهر آخر فنزلت •

وقـال المبرد في كامله : « نسأ الله في أجلك ، ونسأ الله أجلك ، وأنسأ الله أجلك ، والنسيء من هذا ومعناه تأخير شهر عن شهر ، وكانت النسأة من بني مدلج بن كنانة فأنزل الله عز وجل « إنما النسيء زيادة في الكفر » لأنهم كانوا يؤخرون الشهور فيحرمون غير الحرام ويحلون غير الحلال لما يقدرونه من حروبهم وتصرفهم فاستوت الشهور لما جاء الاسلام » .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

اللغــة :

(اثاقلتم) أصلة تثاقلتم فأبدلت التاء ثاء ثم أدغمت في الثاء ثم اجتلبت همزة الوصل توصلاً للنطق بالساكن وأنشد الكسائي :

تولي الضجيع إذا ما اشتاقهــا خصراً
عذب المـــذاق إذا ما اتّابع القبـــل

(الغار) الكهف ويجمع على أغوار وغيران ، وألفه منقلبة عن واو وغار حراء نقب في جبل ثور عن يمين مكة على مسيرة ساعة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها . (مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض) ما اسم استفهام مبتدأ ولكم خبر وإذا طرف مستقبل متعلق باثاقلتم وقيل فعل ماض مبني للمجهول ولكم جار ومجرور متعلقان به وانفروا فعل أمر وفاعل والجملة مقول القول وفي سبيل الله متعلقان بانفروا وجملة اثاقلتم حال وإلى الأرض متعلقان باثاقلتم ، والمعنى : أي شيء لكم من الأعذار حالة كونكم متثاقلين في وقت قول الرسول لكم انفروا أي اخرجوا الى الجهاد في سبيل الله وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة تسع بعد رجوعهم من الطائف وقد استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وتكالب العدو فشق عليهم . (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) الاستفهــام للانكار والتوبيخ المقترنين بالتعجب ورضيتم فعل وفاعل وبالحياة جار ومجرور متعلقان برضيتم والدنيا صفة ومن الآخرة متعلقان بمحذوف حال أي بديلاً

من الآخرة. (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) الفاء الفصيحة وما نافية ومتاع مبتدأ والحياة مضاف إليه والدنيا صفة وفي الآخرة متعلقان بمحذوف حال أي محسوباً في جنب الآخرة وإلا أداة حصر وقليل خبر متاع ويجوز تعليق في الآخرة بقليل وقد سمى الشهاب « في » الداخلة على الآخرة قياسية أي بالقياس الى الآخرة ولعمري ليس ببعيد . (إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم) إن شرطية ولا نافية وتنفروا فعل الشرط ويعذبكم جوابه وعذاباً مفعول مطلق وأليماً صفة ويستبدل عطف على يعذبكم وقوماً مفعول به وغيركم صفة لـ « قوماً » . (ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير) ولا تضروه عطف على يستبدل والواو فاعل والهاء مفعول به وشيئاً مفعول مطلق أي شيئاً من الضرر والله مبتدأ وقدير خبره وعلى كل متعلقان بقدير . (إلا تنصروه فقد نصره الله) إن شرطية ولا نافية وقد أدغمتا كما تقدم وتنصروه فعل الشرط والفاء رابطة وجملة قد نصره الله جواب الشرط وقد علله الزمخشري تعليلاً حسناً إذ قال : « فإن قلت كيف يكون قد نصره الله جواباً للشرط قلت فيه وجهان أحدهما إلا تنصروه في المستقبل فسينصر من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل بقوله قد نصره الله على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت ، والثاني أنه أوجب له النصرة وجعله منصوراً في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده ، واتفق المفسرون على أن الجواب محذوف لأن غزوة تبوك في التاسعة ، وقوله إذ أخرجه الذين كفروا قبل ذلك بكثير وقالوا فقد نصره الله بمثابة تعليل للجواب المحذوف وهذا قريب من قول الزمخشري الأول . (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار) الظرف متعلق بنصره الله وجملة أخرجه في محل جر باضافة الظرف اليها والذين فاعل وجملة كفروا صلة

وثاني اثنين حال من الهاء في أخرجه والتقدير إذ أخرجه الذين كفروا حال كونه منفرداً عن جميع الناس إلا أبا بكر ، واثنين مضاف إليه وإذ بدل من إذ الأولى أي فيفرض زمن إخراجه ممتداً بحيث يصدق على زمن استقرارهما في الغار وزمن القول المذكور فهو بدل بعض من كل. وهما مبتدأ وفي الغار خبر والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها • (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) إذ بدل أيضاً وجملة لا تحزن مقول القول وجملة إن الله معنا تعليلية وإن واسمها والظرف متعلق بمحذوف خبرها • (فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) الفاء عاطفة وأنزل الله سكينته فعل وفاعل ومفعول به وعليه متعلقان بأنزل وأيده عطف على أنزل وبجنود جار ومجرور متعلقان بأيده وجملة لم تروها صفة لجنود (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا) الواو عاطفة أيضاً وجعل فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله وكلمة مفعول به والذين مضاف إليه وجملة كفروا صلة والسفلى مفعول به ثان لجعل وكلمة الواو حالية وكلمة الله مبتدأ وهي ضمير فصل أو مبتدأ والعليا خبر كلمة أو خبر هي والجملة خبر كلمة • (والله عزيز حكيم) الله مبتدأ وعزيز حكيم خبراه •

انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ

لَكَاذِبُونَ (٤٢) عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣)

اللغــــة :

(خفافاً وثقالاً) اختلفت عبارات المفسرين فيهما ولكنها ترجع الى منبع واحد ، أي انفروا على الصفة التي يخفّ عليكم فيها الجهاد ، وعلى الصفة التي يثقل عليكم فيها الجهاد ، وهذان الوصفان من العموم والشمول بحيث تندرج تحتهما جميع الأقسام وستأتي قصة والي حمص في باب الفوائد .

(عرضاً) العرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها ومن أقوالهم : الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر .

(قاصداً) : السفر القاصد هو الوسط المقارب .

(الشقة) : المسافة الشاطة الشاقة .

الاعراب :

(إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) انفروا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وخفافاً وثقالاً حالان وجاهدوا عطف على انفروا وبأموالكم جار ومجرور متعلقان بجاهدوا وأنفسكم عطف على بأموالكم وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بجاهدوا أيضاً . (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) ذلكم مبتدأ أي المذكور من الأمرين وهما انفروا وجاهدوا وخير خبر ولكم

متعلقان بخير وإن شرطية وكنتم فعل الشرط وجملة تعلمون خبر كنتم وجواب الشرط محذوف أي فجاهدوا أو فلا تثاقلوا • (لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك) لو شرطية امتناعية وكان عرضاً كان واسمها مستتر تقديره الشأن أي ما دعوا إليه وعرضاً خبرها ، وسفراً قاصداً عطف عليه ، لاتبعوك : اللام واقعة في جواب لو واتبعوك فعل وفاعل ومفعول به والجملة لا محل لها • (ولكن بعدت عليهم الشقة) الواو حالية ولكن حرف استدراك مهمل للتخفيف وبعدت عليهم الشقة فعل وفاعل وعليهم متعلقان ببعدت والجملة حالية • (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) الواو استئنافية والسين للاستقبال وبالله متعلقان بيحلفون وجملة لو استطعنا جواب القسم وجملة لخرجنا جواب لو ولك أن تجعل جملة لو استطعنا مقول قول محذوف منصوب على الحال أي قائلين فتكون لخرجنا سادّة مسد القسم والشرط جميعاً ومعكم ظرف متعلق بخرجنا • (يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون)جملة يهلكون أنفسهم بدل من سيحلفون أو حال أي مهلكين وأنفسهم مفعول به والله مبتدأ وجملة يعلم خبر وان واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي يعلم • (عفا الله عنك لم أذنت لهم) جملة دعائية قدم « عفا » فيهافي معرض المعاتبة تليينا لقلب الرسول ورأفة به وقد أخطأ الزمخشري إذ فسره بقوله : أخطأت وبئس ما فعلت ، ولقد أحسن من قال في هذه الآية إن من لطف الله تعالى بنبيه أن بدأه بالعفو قبل العتب ولو قال له ابتداء لم أذنت لهم لتفطر قلبه • ولم : اللام حرف جر دخل على ما الاستفهامية فحذف ألفها وقد تقدم حكمها وكلتا اللامين متعلقة بالإذن لاختلافهما في المعنى ، فالأولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجمع المستأذنين وتوجيه الإنكار الى الإذن لشموله الجميع • (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) حتى حرف

غاية وجر أي الى أن يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه ولك متعلقان بيتبين والذين فاعل وجملة صدقوا صلة وتعلم عطف على يتبين والكاذبين مفعول به .

الفوائد :

قصة والي حمص والدمشقي :

ونروي بصدد الجهاد والدعوة الى الاستنفار القصة الرائعة التالية ونكتفي بها لأن مباحث الجهاد والاستنفار مبسوطة في المطولات :

فعن صفوان بن عمر قال : كنت والياً على حمص فلقيت شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت : يا عم لقد أعذر الله إليك فرفع حاجبيه وقال : يا ابن أخي استنفرنا الله خفافاً وثقالاً ، إلا أن من يحبه الله يبتليه .

تكثير السواد وحفظ المتاع :

وعن الزهري : خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له : انك عليل صاحب ضرر فقال : استنفرنا الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع .

لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

اللغة :

(ولأوضعوا) أي لسعوا بينكم بالنمائم وإفساد ذات البين ، وأصل الإيضاع الإسراع .

الاعراب :

(لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) الجملة استئنافية مسوقة لتقرير ما يستدل منه على أن المؤمنين ليس من عادتهم أن يستأذنوك في أن يجاهدوا ويستأذنك فعل مضارع ومفعول به والذين فاعل وجملة يؤمنون صلة وبالله جار ومجرور متعلقان بيؤمنون واليوم الآخر معطوف على الله . (أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) أن وما في حيزها منصوب بنزع الخافض أي في الجهاد وهو متعلق بيستأذنك وبأموالهم جار ومجرور متعلقان بيجاهدوا وأنفسهم عطف على أموالهم والله مبتدأ وعليم خبر وبالمتقين متعلقان بعليم .

(إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) إنما كافة ومكفوفة وما بعده تقدم إعرابه والمعنى إن الذين يستأذنون هم المترددون المتحيرون ، أما المستبصرون المؤمنون فهم مستقرون على ما عزموا عليه وما هو واجب عليهم ، وهذا من أرقى أفانين الأدب الواجبة الاحتذاء ، فانه لا يليق بالمرء أن يستأذن أخاه في أن يسدي إليه معروفاً كما لا يليق بالمضيف أن يستأذن ضيفه في أن يقدم إليه ، فإن الاستئذان في هذا الموطن دليل التكلف ، وخليق بذوي المروءة وأرباب الفتوة أن لا يتثاقلوا إذا ندبوا الى أمر جدير بالمروءة قال طرفة :

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني
عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

وقال آخر :

إن تبتدر غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا

وأشعارهم طافحة بذلك .

(وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) عطف على لا يؤمنون وارتابت قلوبهم فعل وفاعل أي شكت في الدين ، فهم الفاء عاطفة وهم مبتدأ وفي ريبهم جار ومجرور متعلقان بيترددون وجملة يترددون خبر .
(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) كلام معطوف أيضاً ولك أن تجعله مستأنفاً ولو شرطية وأرادوا الخروج فعل وفاعل ومفعول به واللام واقعة في جواب لو وأعدوا فعل وفاعل وله متعلقان بأعدوا وعدة مفعول به . (ولكن كره الله انبعاثهم) الواو عاطفة على محذوف كأنه

فيل ما خرجوا ولكن كره الله انبعاثهم • (فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) الفاء عاطفة وثبطهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به وقيل فعل ماض مبني للمجهول لأن القائل محتمل أن يكون عائداً الى الله ويحتمل أن يكون عائداً الى ما ركز في أنفسهم من الشقاء وسوء المصير واقعدوا فعل أمر وفاعل ومع ظرف متعلق باقعدوا والقاعدين مضاف إليه وسيرد في باب البلاغة سر قوله مع القاعدين • (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً) كلام مستأنف مسوق لتقرير المفاسد المترتبة على خروجهم وخرجوا فعل وفاعل وفيكم متعلقان بخرجوا وجملة ما زادوكم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وزادوكم فعل وفاعل ومفعول به وإلا أداة حصر وخبالاً مفعول به ثان والاستثناء هنا متصل لا منقطع لأن الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك : ما زادوكم خيراً إلا خبالاً والمستثنى منه غير مذكور في الآية وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلاً لأن الخبال بعض أعمّ العام كأنه قيل مازادوكم شيئاً إلا خبالاً ، والخبال الفساد والشر وذلك بتخذيل المؤمنين وإدخال الوهن في قلوبهم • (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة) ولأوضعوا معطوف على ما زادوكم واللام واقعة في جواب لو وخلالكم منصوب على الظرفية ومتعلق بأوضعوا أي سعوا بينكم بالنمائم والإغراء ، وجملة يبغونكم حال من فاعل أوضعوا أي لأسرعوا فيما بينكم باغين فتنتكم ، والفتنة مفعول يبغونكم والكاف منصوب بنزع الخافض أي يبغون لكم الفتنة • (وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) الواو للحال وفيكم خبر مقدم وسماعون مبتدأ مؤخر ولهم متعلقان بسماعون والمعنى وفيكم عيون لهم يتجسسون عليكم وينقلون إليهم أخباركم ويكشفون لهم خططكم ، والله مبتدأ وعليم خبر وبالظالمين متعلق بعليم •

البلاغـة :

في الآية التميم بذكر مع القاعدين وعدم الاكتفاء بذكر اقعدوا ، لأنه لو اقتصر على الأمر لم يفد سوى القعود ، ولكنه أراد أن ينظمهم في سلك الزمنى والمرضى وأصحاب العاهات والمعتوهين والنساء والصبيان الذين من شأنهم الجثوم في البيوت بأنهم الموصوفون عند الناس بالتخلف والتقاعد والموسومون بسمة التلكؤ والجبانة . وسيرد المزيد من هذا الفن العجيب •

لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

الاعراب :

(لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور) اللام جواب لقسم

محذوف وابتغوا الفتنة فعل وفاعل ومفعول به ومن قبل متعلقان بابتغوا وبنيت على الضم لقطعها عن الإضافة لفظاً لا معنى أي من قبل غزوة تبوك ، وقلبوا لك الأمور : عطف على ما سبقه وتقليب الإمر تصريفه على أوجــه شتى لتدبير الحيلة والمكيدة ، ويقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل : حول وقلب • (حتى جاء الحق وظهـــر أمر الله وهم كارهون) حتى حرف غاية وجر أي واستمروا على تقليب الأمور وحوك الدسائس وتبييت المكائد ، وجاء الحق فعل وفاعل وظهر أمر الله فعل وفاعل أيضاً وهم كارهون الواو للحال وهـــم كارهون مبتــدأ وخبر والجملة نصب على الحال • (ومنهـــم من يقول ائذن لي ولا تفتني) الواو عاطفة ومنهم خبر مقدم ومن موصول مبتدأ مؤخر وجملة يقول صلة وائــذن فعل أمر ولي جار ومجرور متعلقان به والــواو عاطفــة ولا ناهية وتفتني مجــزوم بــلا والنون للوقايــة واليــاء مفعــول به • (ألا في الفتنة سقطوا) ألا أداة تنبيه وفي الفتنة متعلقان بسقطوا وجمع الضمــير والقائل واحد مراعاة للمعنى • (وإن جهنــم لمحيطة بالكافرين) الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة ومحيطة خبر إن وبالكافرين متعلقان بمحيطة ، والكلام معطوف على الجملة السابقة داخل في نطاق التنبيه • (إن تصبك حسنة تسؤهم) إن شرطية وتصبك فعل الشرط والكاف مفعول به وحسنة فاعل وتسؤهم جواب الشرط • (وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) عطف على ما تقدم ومعنى أخذنا أمرنا أي تلافينا وتفادينا كل خطأ وأخذنا بأسباب الحيطة والحذر والتوقي والحزم • (ويتولوا وهم فرحون) ويتولوا عطف على يقولوا أي ويعرضوا عن مجلس النبي والواو للحال وهم فرحون مبتدأ وخبر والجملة الاسمية حالية من الضميرين في يقولوا ويتولوا لا من الأخير فقط لمقارنة الفرح لهما معاً • (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) جملة لن يصيبنا مقول القول وإلا أداة حصر وما فاعل وجملة كتب الله

لنا صلة أي قل لهم ذلك للإطاحـة بما بنوا عليه مسرتهم وغبطتهم من اعتقاد مزيف (هو مولانا) مبتدأ وخبر ، والجملة حال من الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الفاء للتعليل وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيتوكل واللام لام الأمر ويتوكل مجزوم باللام والمتوكلون فاعل .

البلاغـة :

المجاز المرسل في قوله تعالى « ألا في الفتنة سقطوا » والعلاقـة الحالية أي في جهنم فأطلق الحال وأريد المحل لأن الفتنة لا يسقط فيها الانسان لأنها معنى من المعاني وإنما يحل في مكانها فاستعمال الفتنة في مكانها مجاز أطلق فيه الحال وأريد المحل .

الفوائد :

روى التاريخ أن النبي صلى الله عليـه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس : يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الأصفر . وهم ملوك الروم ، فقال الجد : قد علمت الأنصار أني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الأصفر يعني نساء الروم، ولكن أعينك بمالي فاتركني.

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (٥٢) قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٥٣) وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟

بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

الاعراب :

(قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) هل حرف استفهام وتربصون فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه أي تنتظرون وبنا متعلقان بتربصون وإلا أداة حصر وإحدى الحسنيين مفعول به . (ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا) الواو عاطفة أو حالية ونحن مبتدأ وجملة نتربص خبر وبكم متعلقان بنتربص وأن وما في حيزها مفعول به والله فاعل وبعذاب متعلقان بيصيبكم ومن عنده صفة لعذاب أو بأيدينا عطف على من عنده أي بعذاب بأيدينا . (فتربصوا إنا معكم متربصون) الفاء الفصيحة وتربصوا فعل أمر أي إذا أردتم أن تعلموا النتائج وما يلقاه كل منا ومنكم فتربصوا وإن واسمها ومعكم ظرف متعلق بمتربصون ومتربصون خبر إنا . (قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً) جملة أنفقوا مقول القول والواو فاعل وطوعاً وكرهاً مصدران نصبا على الحال أي طائعين أو مكرهين . (لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين) لن حرف نفي ونصب واستقبال ويتقبل بالبناء للمجهول مضارع منصوب بلن ومنكم متعلقان بيتقبل وان واسمها وجملة كنتم قوماً من كان واسمها وخبرها خبر إن وفاسقين صفة قوماً (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله) الواو عاطفة وما نافية ، منعهم فعل ومفعول به وأن تقبل أن وما في حيزها مفعول منع

الثاني ومنهم متعلقان بتقبل ونفقاتهم نائب فاعل وإلا أداة حصر وأن وما في حيزها فاعل منع أي ما منعهم قبول نفقاتهم شيء من الأشياء إلا كفرهم وما عطف عليه • (ولا يأتون الصلاة إلا وهـم كسالى) الواو عاطفة ولا نافية ويأتون الصلاة فعل مضارع وفاعل ومفعول به وإلا أداة حصر وهم كسالى مبتدأ وخبر والواو للحال والجملة حالية • (ولا ينفقون إلا وهم كارهون) عطف على ما تقدم •

البلاغـة :

فن التعطف أو المشاركة :

وهو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ، ثم يردها بعينها ويعلقها بمعنى آخر، وهما مفترقتان كل لفظة منهما في طرف من الكلام، وهو في قوله تعالى : « قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعـذاب من عنده فتربصوا إنا معكـم متربصون » فقد أتى التعطف من صدر الآية في قوله : « تربصون بنا »ومن عجزها في قوله : « فتربصوا إنا معكـم متربصون » مع تجنيس الازدواج ووقع مع التعطف مقابلة معنوية خرج الكلام فيها مخرج إيجاز الحذف فإن مقتضى البلاغة أن يكون تقدير ترتيب اللفظ قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين : أن يصيبنا الله بعذاب من عنده أو بأيديكم ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ، فحذف لتوخي الايجاز تفسير الحسنيين من الجملة الأولى، وأثبت في الجملة الثانية فراراً من تكرار اللفظ وتكثيره ، كما حذف الحسنيين من الجملة الثانية استغناء بذكرها أولاً ، فحصل في الآية

التعطف والمقابلة والإيجاز والتفسير فاكتملت فيها أربعة أضرب من البديع وهذا هو السحر الحلال ، وإن من البيان لسحراً .

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾

* إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

اللغـــة :

(تعجبك) الإعجاب بالشيء أن يسرّ به سرور راض به متعجب

من حسنة • والمعنى فلا تستحسن ولا يستهويك ما أوتوا من زينة الدنيا وبهارجها ، وفي المصباح : ويستعمل التعجب على وجهين : أحدهما ما يحمده الفاعل ومعناه الاستحسان والإخبار عن رضاه به ، والثاني ما يكرهه ومعناه الإنكار والذم له ، ففي الاستحسان يقال : أعجبني ، وفي الذم والإنكار : عجبت وزان تعبت •

(يفرقون) يخافون ، وفي المختار : فرق فرقاً من باب تعب خاف ويتعدى بالهمزة فيقال أفرقته •

(مغارات) جمع مغارة وهي المكان المنخفض في الأرض أو في الجبل • والغور بالفتح من كل شيء قعره ، والغور المطمئن في الأرض، وغار الرجل غوراً أتى الغور وهو المنخفض من الأرض ، وأغار بالألف مثله ، والغار والمغار والمغارة كالكهف في الجبل ، والكهف كالبيت في الجبل والجمع كهوف ، ثم انظر الى الدقة في الترتيب مما يتناهى فيه نظم الكلام الى أسمى الحدود ، ذكر أولاً الأمر الأعم وهو الملجأ من أي نوع كان ثم ذكر الغيران التي يختفى فيها في أعلى الأماكن وهي الجبال ، ثم الأماكن التي يختفى فيها في الأماكن السافلة وهي التي عبر عنها بالمدخل •

(يجمحون) يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء، من الفرس الجموح وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام ، وفي المصباح : جمح الفرس براكبه يجمح بفتحتين من باب خضع جماحاً بالكسر وجموحاً استعصى حتى غلبه فهو جموح بالفتح وجامح يستوي فيه المذكر والمؤنث •

(يلمزك) يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك وفي المصباح : « لمزه لمزاً من باب ضرب عابه وقرأ بها السبعة ، ومن باب قتل لغة ، وأصله الإشارة بالعين ونحوها » فهو أخص من الغمز إذ هو الإشارة

بالعين ونحوها سواء أكان على وجه الاستنقاص أولا ، وأما اللمز فهو خاص بكونه على وجه العيب ، وفي المصباح : غمزه غمزاً من باب ضرب أشار اليه بعين أو حاجب .

الاعراب :

(فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) الفاء عاطفة وسيأتي سر استعمالها ولا ناهية وتعجبك مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل مستتر تقديره أنت ، والخطاب وإن كان منصرفاً الى النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد به جميع المؤمنين ، وأموالهم فاعل ولا أولادهم عطف عليه (إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) إنما كافة ومكفوفة ويريد الله فعل مضارع وفاعل واللام للتعليل ويعذبهم منصوب بأن مضمرة وأورد اللام للتقوية والأصل يريد أن يعذبهم ، وبها متعلقان بيعذبهم وفي الحياة الدنيا حال . (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) عطف « تزهق » على « ليعذبهم » وأنفسهم فاعل والواو حالية وهم مبتدأ وكافرون خبر . (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم) الواو استئنافية ويحلفون فعل مضارع وفاعل وبالله جار ومجرور متعلقان بيحلفون وإن واسمها واللام المزحلقة ومنكم خبرها والواو للحال وما نافية حجازية وهم اسمها ومنكم خبرها والجملة حالية (ولكنهم قوم يفرقون) الواو عاطفة ولكن واسمها وقوم خبرها وجملة يفرقون صفة.
(لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدّخلاً لولوا إليه وهم يجمحون) لو شرطية ويجدون ملجأ فعل مضارع وفاعل ومفعول به أو مغارات أو مدخلاً معطوفان على ملجأ . لولوا اللام واقعة في جواب لو وإليه

متعلقان بولوا وهم الواو للحال وهم مبتدأ وجملة يجمحون خبر والجملة حالية وجملة لولوا لا محل لها • (ومنهم من يلمزك في الصدقات) الواو عاطفة ومنهم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة يلمزك صلة وفي الصدقات جار ومجرور متعلقان بيلمزك • (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) الفاء عاطفة وإن شرطية وأعطوا فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط ومنها في محل نصب مفعول به ثان لأن الواو وهي نائب الفاعل مفعوله الاول وإن لم يعطوا منها عطف على الجملة الأولى واذا فجائية وهم مبتدأ وجملة يسخطون خبر وجملة إذا هم يسخطون في محل جزم جواب الشرط لأن «إذا» تخلف الفاء (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) أن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف أي لو ثبت رضاهم ، وما مفعول به وجملة آتاهم الله ورسوله صلة • (وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) حسبنا مبتدأ والله خبر أو بالعكس والجملة مقول القول ، سيؤتينا الله فعل مضارع ومفعول به وفاعل ومن فضله جار ومجرور متعلقان بيؤتينا ورسوله عطف على الله • (إنا الى الله راغبون) إن واسمها والى الله جار ومجرور متعلقان براغبون وراغبون خبر إنا • (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم) إنما كافة ومكفوفة وهي للقصر قصرت الصدقات على الأصناف المعدودة والصدقات مبتدأ وللفقراء خبر والمساكين عطف على الفقراء والعاملين عليها عطف أيضاً وأراد بهم السعاة الذين يقبضونها من جاب وقاسم وكاتب وحاشر وحاسب ، والمؤلفة قلوبهم عطف على ما تقدم أيضاً ، وقلوبهم نائب فاعل • (وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل) وفي الرقاب معطوف على قوله للفقراء أي ومصروفة في الرقاب ولا بد من تقدير مضاف أي وفي فك الرقاب والغارمين عطف أيضاً أي الذين فدحتهم

الديون إن استدانوا لغير معصية أو لإصلاح ذات البين وفي سبيل الله عطف أيضاً أي القائمين بالجهاد وابن السبيل عطف أيضاً وهو المنقطع فهو فقير حيث هو غني حيث ماله • (فريضة من الله والله عليم حكيم) مفعول مطلق لفعل محذوف أي فرض الله ذلك فريضة ويجوز إعرابها حالاً من الفقراء ومن بعدهم أي إنما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة وهي فعيلة بمعنى مفروضة وإنما دخلتها التاء وحقها أن يستوي فيها المذكر والمؤنث لجريانها مجرى الأسماء كالنطيحة ، ومن الله صفة والله مبتدأ وعليم خبر أول وحكيم خبر ثان •

البلاغة :

مخالفة الحروف :

في قوله تعالى « إنما الصدقات للفقراء » الى آخر الآية فن طريف من فنون البلاغة لطيف المأخذ ، دقيق المغزى ، قلّ من يتفطن إليه فقد عدل عن اللام الى في ، في الأربعة الأخيرة وذلك لسرّ يخفى على المتأمل السطحي ، وهو أن الأصناف الأربعة الأوائل وهم الفقراء والمساكين والعاملون عليها والمؤلفة قلوبهم ملاك لما عساه يدفع إليهم فكان دخول اللام لائقاً بهم ، وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم بل ولا يصرف اليهم ولكن في مصالح تتعلق بهم فالمال الذي يصرف في الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون فليس نصيبهم مصروفاً الى أيديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم

وإنما هم محالّ لهذا الصرف ، والمصلحة المتعلقة به ، وكذلك العاملون إنما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصاً لذممهم لا لهم وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك ، وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجاً في سبيل الله وإنما أفرد بالذكر تنبيهاً على خصوصيته مع أنه مجرد من الحرفين جميعاً وعطفه على المجرور باللام ممكن ولكنه على القريب منه أقـرب ، إذا تقرر هذا تبين لك ما تميز به الأئمـة الأربعة من رهافة ذوق وإصابة حدس في استنباط الأصول الفقهية من مخالفة الحروف ، ووجه آخر أشار اليه الزمخشري وذكره ابن الأثير في كتابه الممتع « المثل السائر » نلخصه فيما يلي :

إنما عدل عن اللام الى « في » في الثلاثة الأخيرة للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم ممن سبق ذكره باللام لأن « في » للوعاء ، فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهـم الصدقات كما يوضع الشيء في الوعاء ويجعلوا مظنة لها ، وذلك لما في فك الرقاب وفي الغرم منَ التخليص والانقاذ ، وتكرير « في » في قوله « وفي سبيل الله » دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين ، وسياق الكلام أن يقال : وفي الرقاب والغارمين وسبيل الله وابن السبيل فلما جيء بـ « في » مرة ثانيه وفصل بها بين الغارمين وبين سبيل الله علم أن سبيل الله أوكد في استحقاق النفقـة فيه وهـذه لطائف ودقائق لا توجـد إلا في هذا الكلام الشريف .

الفوائد :

وفيما يلي فصل ممتع كتبه عالم جليـل من علماء الأزهر تثبته لأصالته في الصدقات والزكوات قال :

« تدفع الزكاة لثمانية أصناف :

١ ـ الفقير : وهو الذي لا مال ولا كسب لائق يقع موقعاً من كفايته بأن ينقص عن نصف ما يحتاجه كمن يحتاج الى عشرة لا يملك ولا يكسب إلا درهمين أو ثلاثة .

٢ ـ المسكين : من له مال أو كسب لا يكفيه كمن يحتاج الى عشرة دراهم وعنده سبعة .

٣ ـ العاملين عليها: الساعين في تحصيلها كالكاتب لأموال الزكاة.

٤ ـ المؤلفة قلوبهم : وهم الذين أسلموا وإسلامهم ضعيف أو كان قوياً ولكن يتوقع بإعطائهم إسلام غيرهم .

٥ ـ الرقاب : وهم المكاتبون من الأرقاء لغير المزكي كتابة صحيحة.

٦ ـ الغارم : وهو الذي تداين ديناً لنفسه وحل الدين ولا قدرة له على وفائه وقصد صرفه في مباح أو صرفه فيه أو تداين لإصلاح ذات البين إن حل الدين ولم يوفه من ماله ولو كان غنياً ، أو تداين لضمان إن أعسر هو والمضمون .

٧ ـ وأهل سبيل الله : وهم الغزاة المتطوعون بالجهاد وإن كانوا أغنياء إعانة على الجهاد .

٨ ـ وابن السبيل : وهو المسافر سفراً مباحاً من بلد الزكاة ولو مجتاز الى وطنه أو غيره فيعطى من مال الزكاة ما يوصله الى مقصده إن احتاج .

وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾

اللغــــة :

(أذن) بضمتين الجارحة المعروفة عضو السماع مؤنثة والجمع آذان ، وأذن الكوز عروته وتصغيرها أذينة ، وفلان أذن من الآذان إذا كان يسمع مقال كل أحد وتكون بلفظ واحد مع الجميع ويقال : جاء لابساً أذنيه أي غافلاً وسيأتي مزيد تفصيل عنها في باب البلاغة والفوائــــد .

(يحادد) يشاقق وفي القاموس وغيره : حادّه عاداه وغاضبه .

الاعراب :

(ومنهم الذين يؤذون النبي) كلام مستأنف مسوق للحديث عن فرقة من المنافقين كما سيأتي في باب الفوائــد ومنهم خبر مقدم والذين مبتدأ مؤخر وجملة يؤذون النبي صلة . (ويقولون : هو أذن قل أذن خير لكم) ويقولون عطف عــلى يؤذون وجملة هو أذن من

المبتدأ والخبر مقول القول وقل فعل أمر وأذن خبر والمبتدأ محذوف وخير مضاف إليه ولكم صفة • (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم) جملة يؤمن بالله تفسيرية لكونه أذن خير لهم ويؤمن للمؤمنين عطف على يؤمن بالله وعدى الإيمان إلى الله بالباء لتضمنه معنى التصديق ولموافقة ضده وهو الكفر في قوله « من كفر بالله » وعداه للمؤمنين باللام لتضمنه معنى الانقياد وموافقته لكثير من الآيات كقوله « وما أنت بمؤمن لنا » وقوله « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم » ويمكن أن يجاب بأنه عدى فعل الإيمان إلى الله بالباء وإلى المؤمنين باللام لأن إيمان الأمان من الخلود في النار وهو المقابل للكفر حقه أن يعدى بالباء وأما الايمان بمعنى التصديق والتسليم فانه يعدي باللام للتفرقة بينهما وإن كان حقه أن يعدى بنفسه كالتصديق حيث يقال صدقتك • ورحمة للذين آمنوا عطف على اذن خير وللذين آمنوا صفة لرحمة ومنكم حال من الضمير في آمنوا (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) الذين مبتدأ وجملة يؤذون رسول الله صلة ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وأليم صفة والجملة الاسمية خبر الذين • (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الجملة خبر ثان للذين ولكم متعلقان بيحلفون واللام للتعليل ويرضوكم منصوب بأن مضمرة والواو فاعل والكاف مفعول به ولام التعليل ومجرورها متعلقان بيحلفون أيضاً • (والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين) الواو للحال والله مبتدأ ورسوله عطف على الله وأحق خبر مقدم وأن ومافي حيزها مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر الله ووحد الضمير لتلازم الرضاءين وإفراد الضمير في يرضوه إما للتعظيم للجناب الإلهي بإفراده بالذكر ولكونه لا فرق بين إرضاء الله وإرضاء رسوله فإرضاء الله إرضاء لرسوله ، أو المراد الله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك كما قال سيبويه ورجحه النحاس ، أو لأن الضمير موضوع

موضع اسم الإشارة فإنه يشار به إلى الواحد والمتعدد ، أو الضمير راجع الى المذكور وهو يصدق عليهما ، وقال الفراء : المعنى ورسوله أحق أن يرضوه والله افتتاح كلام كما تقول ما شاء الله وشئت • وإن شرطية وكانوا فعل الشرط ومؤمنين خبر كانوا والجواب محذوف أي فالله ورسوله أحق ، ويجوز أن يكون الكلام جملتين حذف خبر إحداهما لدلالة الثاني عليه والتقدير والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك • (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله) الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي ولم حرف نفي وقلب وجزم ويعلموا مجزوم بلم وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلموا وأن واسمها ومن شرطية مبتدأ ويحادد فعل الشرط ولفظ الجلالة مفعوله ورسوله عطف على اللام • (فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم) الفاء رابطة وإن حرف مشبه بالفعل وله خبرها المقدم ونار جهنم اسمها المؤخر وخالداً حال من الضمير المجرور باللام وفيها متعلقان بخالداً وجملة اسم الشرط وفعله وجوابه خبر انه الأولى وذلك مبتدأ والخزي خبره والعظيم صفة •

البلاغة :

المجاز المرسل :

في قوله تعالى « هو أذن » مجاز مرسل كما يراد بالعين الرجل إذا كان ربيئة لأن العين هي المقصودة منه فصارت كأنه الشخص كله ، وهو من إطلاق اسم الجزء على الكل للمبالغة والعلاقة تسمى الجزئية قال الشاعر :

كم بعثنا الجيش جرّا ... راً وأرسلنا العيونا

وفي رد الله تعالى عليهم بقوله « قل أذن خير » إطماع لهم بالتسليم أولاً ثم إيذان باليأس ثانياً ولا شيء أبلغ من الرد عليهم بهذا الوجه يكر على طمعهم بعد الموافقة في الظاهر عليه بالحسم ويعقبه باليأس منه ، ويسمى « القول بالموجب » والموجب بكسر الجيم لأن المراد به الصفة الموجبة للحكم فهو اسم فاعل من أوجب ويحتمل فتح الجيم إن أريد بالقول الحكم الذي أوجبته الصفة فيكون اسم مفعول والمعنيان صحيحان ، وهو قسمان :

١ ـ أن تقع صفة في كلام الآخر كناية عن شيء أثبت له حكم فتثبت في كلامك تلك الصفة من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم وانتفائه عنه كقوله تعالى : « يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » فالأعز صفة وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم والأذل كناية عن المؤمنين وقد أثبتوا لفريقهم، المكنى عنه بالأعز ، الإخراج فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم وهو الله ورسوله والمؤمنون ولم يتعرض لثبوت ذلك الحكم الذي هو الإخراج للموصوفين بالعز ، أعني الله ورسوله والمؤمنين ولا لنفيه عنهم ومنه قول القبعثرى للحجاج لما توعده فقال : لأحملنك على الأدهم يعني القيد فرأى القبعثرى أن الأدهم يصلح صفة للقيد والفرس فحمل كلامه على الفرس فقال مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب فقال الحجاج : إنه أي الأدهم حديد فقال القبعثرى : لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً فحمل الحديد على خلاف مراده أيضاً .

٢ ـ حمل لفظ وقع في كلام الآخر على خلاف مراده بما يحتمله

يذكر متعلقه وقد شاع هذا الضرب على ألسنة الشعراء وتداولوه في أشعارهم كثيراً قال ابن حجاج :

قال : ثقلت إذ أتيت مراراً　　قلت : ثقلت كاهلي بالأيادي
قال : طوّلت قلت أوليت طولاً　　قال : أبرمت قلت: حبل ودادي

وقد أوردنا في أواخر سورة الإنعام أبياتاً لصفي الدين الحلي كرر فيها هذا الضرب ويصح حمل الآية الكريمة على هـذا الضرب بذكـر متعلق الأذن وهو خير .

الفوائد :

روى التاريخ أنه اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجُلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وذموه ، وقال الجلاس بن سويد وهو بوزن غراب كما في القاموس : نقول ماشئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فيما نقول فإنما محمد أذن ، وكان عندهم غلام يقال له عامر بن قيس فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا أن عامراً كذاب وحلف عامر أنهم كذبة فجعل عامر يدعو ويقول : اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله هذه الآية .

يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا

كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ (٦٦)

الاعراب :

(يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم) جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما يضطرم في صدور المنافقين من حسد وعداوة للمؤمنين فهم يخشون أن تنزل عليهم تخبرهم بما تنطوي عليه نفوس المنافقين ، ولا تقل : إن الضمائر متفككة فما أسهل ارجاع كل ضمير الى أصحابه ، ويحذر المنافقون فعل مضارع وفاعل وأن تنزل عليهم مفعول به ناصبه يحذر فإنه يتعدى بنفسه خلافاً للمبرد الذي زعم أن حذر لا يتعدى ، وقال : انه من هيئات النفس كفزع والرد عليه من أوجه :

آ ـ ان ذلك غير لازم ولا مضطرد فكثير من هيئات النفس متعد كخاف وخشي .

ب ـ قوله تعالى : « ويحذركم الله نفسه » فلولا أنه متعد في الأصل لواحد لما اكتسب بالتضعيف مفعولاً ثانياً .

جـ ـ أجمعت معاجم اللغة على أنه يتعدى بنفسه وبالحرف .

وعليهم متعلق بتنزل وسورة نائب فاعل وجملة تنبئهم صفة لسورة وبما في موضع المفعول الثاني لتنبئهم وفي قلوبهم متعلق بمحذوف صلة ما • (قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون) استهزئوا فعل أمر يراد به التهديد وإن واسمها وخبرها وما موصول مفعول مخرج لأنه اسم فاعل وجملة تحذرون صلة ما • (ولئن سألتهم ليقولنّ إنما كنا نخوض ونلعب) مقول القول وجملة نخوض خبر كنا • قل : أبالله وآياته ورسوله كنتم وهو في محل جزم فعل الشرط وليقولن اللام واقعة في جواب القسم ويقولن فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال والواو فاعل والنون المشددة للتوكيد وجملة إنما كنا نخوض ونلعب مقول القول وجملة نخوض خبر كنا • (قل : أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) الهمـزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي وبالله متعلقان بتستهزئون وآياته ورسوله عطف على الله وكنتم تستهزئون كان واسمها والجملة الفعلية خبرها • (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) لا ناهية وتعتذروا مضارع مجزوم بلا الناهية وقد حرف تحقيق وكفرتم فعل وفاعل وبعد متعلق بكفرتم وإيمانكم مضاف إليه • (إن نعفُ عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) إن شرطية ونعف فعل الشرط وعن طائفة متعلقان بنعف ومنكم صفة ونعذب جواب الشرط وطائفة مفعول به وبأنهم متعلقان بنعذب والباء للسببية وان واسمها وجملة كانوا مجرمين خبرها وكان واسمها وخبرها •

ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ

الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٨) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩)

اللغة :

(الخلاق) بفتح الخاء النصيب وهو ما خلق للإنسان أي قدر من خير •

الاعراب :

(المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) المنافقون مبتدأ والمنافقات عطف عليه وبعضهم مبتدأ ومن بعض خبر أي متشابهون كأبعاض الشيء الواحد • (يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم) الجملة خبر ثان للمنافقون والأول هو الجملة

الاسمية وينهون عن المعروف عطف على الجملة السابقة ويقبضون أيديهم عطف أيضاً وسيأتي معناها في باب البلاغة • (نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون) نسو الله فعل وفاعل ومفعول به فنسيهم عطف على نسوا وسيأتي بحث هذا المجاز المرسل ، وإن واسمها وهم مبتدأ ثان أو ضمير فصل والفاسقون خبر « هم » أو خبر إن والجملة الاسمية خبر إن • (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم) وعد الله المنافقين فعل وفاعل ومفعول والمنافقات عطف وكذلك الكفار ونار جهنم مفعول به ثان ، ووعد يستعمل في الخير والشر (خالدين فيها هي حسبهم) خالدين حال من المفعول الأول وهي مبتدأ وحسبهم خبر والجملة حالية (ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) الواو عاطفة ولعنهم الله فعل ومفعول به وفاعل ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر ومقيم صفة • (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة) الكاف اسم بمعنى مثل خبر لمبتدأ محذوف أي أنتم مثل الذين ويجوز أن تكون الكاف حرف جر والجار والمجرور خبراً للمبتدأ المقدر ومن قبلكم صلة الذين وكانوا أشد كان واسمها وخبرها ومنكم جار ومجرور متعلقان بأشد وقوة تمييز • (وأكثر أموالاً وأولاداً) عطف على أشد منكم قوة • (فاستمتعوا بخلاقهم) الفاء عاطفة واستمتعوا فعل وفاعل وبخلاقهم متعلقان باستمتعوا • (فاستمتعتم بخلاقكم) عطف على ما تقدم • (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) الكاف محلها النصب على المفعولية المطلقة والذين فاعل ومن قبلكم صلة الذين وبخلاقهم جار ومجرور متعلقان باستمتع (وخضتم كالذي خاضوا) الكاف ومدخولها في محل نصب على المفعولية المطلقة • (أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) أولئك مبتدأ وجملة حبطت خبر وأعمالهم فاعل وفي الدنيا

جار ومجرور متعلقان بحبطت • (وأولئك هم الخاسرون) مبتدأ وخبر وهم ضمير فصل أو مبتدأ ثان •

البلاغـة :

في هذه الآيات فنون من البلاغة :

١ ـ الكناية في قوله تعالى (ويقبضون أيديهم) كناية عن الشح والأصل في هذه الكناية أن المعطي يمد يده ويبسطها بالعطاء فقيل لمن منع وبخل قد قبض يده •

٢ ـ المجاز المرسل في قوله تعالى «نسوا الله فنسيهم» لأن النسيان هنا غير وارد فهو بالنسبة إليهم مسقط التكليف عنهم ، وهو بالنسبة إليه تعالى محال ، ولذلك لا بد من حمل الكلام على المجاز المرسل والعلاقة اللازمية فالمراد لازم النسيان وهو الترك أي أنهم أغفلوا ذكر الله فتركهم من رحمته وفضله أو يقال فيه فن المشاكلة لأن النسيان الحقيقي لا يصح إطلاقه على الله سبحانه وإنما أطلق عليه هنا من باب المشاكلة أي تركوا ما أمرهم به فتركهم من رحمته وفضله •

٣ ـ التكرير في ترديد استمتعوا ، ذلك انه شبه حالهم بحال الأولين ففي التكرير تأكيد ومبالغة في ذم المخاطبين وتقبيح حالهم واستهجان أمرهم •

٤ ـ الاستعارة التصريحية في خضتم شبّه الباطل بماء وحذف المشبه وأبقى المشبه به وهو الماء على طريق الاستعارة التصريحية التبعية•

٥ ـ التنكيت في قوله تعالى : « المنافقون والمنافقات » إلى آخر الآية ثم قوله بعد ذلك «والمؤمنون والمؤمنات» الى آخر الآية فإن لقائل أن يقول : ما النكتة التي أوجبت وصف المنافقين والمنافقات بالتلاحم الشديد دون المؤمنين والمؤمنات بحيث لا يجوز التبديل في الخبرين فيجعل التلاحم بين المؤمنين وغيره بين المنافقين ؟ فيقال في الجواب : لما كان المنافقون والمنافقات كلهم يهود وهم من بني إسرائيل كان اتصال بعضهم ببعض اتصال نسب أو ما نطلق عليه العنصرية والجنس ، ولما كان المؤمنون من شعوب متفرقة وأمم شتى كان اتصالهم اتصال سبب وهو جعل الاسلام بينهم من التحاب في الله والولاء فيه والتناحر في سبيله ، ومن هاهنا لم يجز التبديل بين الخبرين بأن يجعل اتصال النسب للمؤمنين واتصال السبب للمنافقين .

أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

اللغــة :

(المؤتفكات) مدائن قوم لوط وقيـل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير الى الشر أو المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها ، ويقال : أفكه إذا قلبه وبابه ضرب ، ويقال : أفكته فائتفك فهو مطاوعه أي قلبته فانقلب والمادة تدل على التحول والصرف •

(عدن) إقامة ، وهي هنا علم على الجنة ، وأصلها من عدن القوم بالبلد أقاموا فيه ، وطال عدْنهم فيه وعَدونهم ، وفلان في معدن الخير والكرم ، وهو من مراكز الخـير ومعادنه ، وعليه عدنيات أي ثياب كريمة وأصلها النسبة إلى عدن بفتحتين ، ومن أقوالهم : « مرت جوار مدنيات عليهن رباط عدنيات » وكثر حتى قيل للرجل الكريم الأخلاق عـدني كما قيل للشيء العجيب من كـل فن عبقري ، قال ابن جابر المحاربي :

سرت ما سرت من ليلهـا ثـم عرّست
إلى عـدنيّ ذي غنـاء وذي فضل

إلى ابن حَصَّان لم تخضرم جـــدودها
كريم النثا والخيـم والعقـــل والأصل

الاعراب :

(ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم ويأتهم مجزوم بلم والهاء مفعول به ونبأ فاعل والذين مضاف إليه ومن قبلهـم صلة (قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات) قوم بدل من الذين بدل بعض من كل وقوله وعاد الى آخر المعطوفات كلها معطوفة على قوم نوح غير ان الأخير وهو المؤتفكات على حذف مضاف أي قريات قوم لوط وإنما اقتصر القرآن الكريم هذه الطوائف الست لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشام واليمن والعراق وكـــل ذلك قريب من أرض العرب في شبه جزيرتهم فكانوا يعرجون بها ويتنسمون أخبار أهلها • (أتتهم رسلهم بالبينات) الجملة استئنافية لبيان أخبارهم وأحاديثهم ، ورسلهم فاعل • (فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الفاء عاطفة وما نافية كان الله كان واسمها واللام للجحود ويظلمهم منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود والجار والمجرور متعلقان بالخبر أي مريداً ليظلمهم ، ولكن الواو عاطفة ولكن مخففة مهملة وكان واسمها وأنفسهم مفعول مقدم ليظلمون وجملة يظلمون خبر كانوا وقدم المفعول به اهتماماً به مع مراعـاة الفاصلة • (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) المؤمنون مبتدأ وبعضهم مبتدأ ثان وأولياء خبر والجملة خبر المؤمنون وقد مرت مقابلتها مع الإشارة الى فن التنكيت بين الجملتين في الخبر • (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الجملة خبرية وقد تقدم إعرابها •

(ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) عطف على ما تقدم . (ويطيعون الله ورسوله) عطف أيضاً . (أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) أولئك مبتدأ وجملة سيرحمهم الله خبر وإن واسمها وخبراها . (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) وعد الله المؤمنين فعل وفاعل ومفعول به وجنات مفعول به ثان وجملة تجري صفة والأنهار فاعل ومن تحتها جار ومجرور متعلقان بتجري . (خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن) خالدين فيها حال من المؤمنين ومساكن عطف على جنات وطيبة صفة وفي جنات عدن صفة ثانية. (ورضوان من الله أكبر) مبتدأ ساغ الابتداء به لأنه وصف بقوله من الله وأكبر خبره ولم يسلكه في نظام الموعود به لأنه متحقق في ضمن كل موعود ولأنه قصارى ما ترقى إليه آمال النفوس . (ذلك هو الفوز العظيم) ذلك مبتدأ وهو مبتدأ ثان والفوز خبر هو والجملة خبر اسم الاشارة والعظيم صفة .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ۖ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤)

الاعراب :

(يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) جاهد فعل أمر والكفار مفعول به والمنافقين عطف (واغلظ عليهم) واغلظ عطف على جاهد أي لا تأخذك هوادة فيهم وحاربهم بالسيف وأقم زيفهم بالمنطق والحجة. (ومأواهم جهنم وبئس المصير) قال أبو البقاء في إعرابه : « إن قيل كيف حسنت الواو هنا والفاء أشبه بهذا الموضع ففيه ثلاثة أجوبة : أحدها أن الواو واو الحال والتقدير افعل ذلك في حال استحقاقهم جهنم وتلك الحال حال كفرهم ونفاقهم . والثاني أن الواو جيء بها تنبيهاً على إرادة فعل محذوف تقديره واعلم أن جهنم مأواهم . والثالث أن الكلام قد حمل على المعنى ، والمعنى أنه قد اجتمع لهم عذاب الدنيا بالجهاد والغلظة وعذاب الآخرة بجعل جهنم مأواهم» ولا حاجة إلى هذا كله لأن الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان مآل أمرهم بعد بيان عاجله ، وبئس المصير الواو عاطفة وبئس المصير فعل وفاعل والمخصوص بالذم محذوف للعلم به أي مصيرهم . (يحلفون بالله ما قالوا) جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما صدر عنهم من الأعمال المنكرة الموجبة للأمر بجهادهم والغلظة عليهم ، وبالله جار ومجرور متعلقان بيحلفون وما نافية وقالوا فعل وفاعل وجملة ما قالوا جواب القسم . (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقالوا فعل وفاعل وكلمة الكفر مفعول قالوا ، قيل هي كلمة الجلاس بن سويد الآنفة الذكر وقد قيل هي كلمة عبد الله بن أبي بن سلول حيث قال : « لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » ، وكفروا عطف على قالوا وبعد ظرف متعلق بكفروا (وهموا بما لم ينالوا) عطف على ما تقدم وبما متعلقان بهموا وجملة

لم ينالوا صلة وسيأتي نبأ هذا الهم وهو الفتك برسول الله في باب الفوائد . (وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) الواو عاطفة وما نافية ونقموا فعل وفاعل وإلا أداة حصر وأن وما في حيزها مفعول نقموا وأغناهم الله فعل ومفعول به وفاعل ورسوله عطف على الله ومن فضله متعلقان بأغناهم . (فإن يتوبوا يك خيراً لهم) الفاء عاطفة وإن شرطية ويتوبوا فعل الشرط ويك جواب الشرط مجزوم بالسكون على النون المحذوفة للتخفيف وقد تقدمت قاعدتها في خصائص كان . واسم يك مستتر أي المتاب وخيراً خبر ولهم متعلقان بـ « خيراً » . (وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة) الواو عاطفة وإن شرطية ويتولوا فعل الشرط ويعذبهم جواب الشرط والهاء مفعول به والله فاعل وعذاباً مفعول مطلق وأليماً صفة وفي الدنيا متعلقان بيعذبهم والآخرة عطف على الدنيا . (وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير) الواو عاطفة وما نافية ولهم خبر مقدم وفي الأرض حال ومن حرف جر زائد وولي مبتدأ مؤخر محلاً ولا نصير عطف على ولي .

البلاغة :

في هذه الآية « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وقد تقدم مبحث هذا الفن في المائدة ، كأنه قال ليس له صفة تعاب وتكره إلا أنه ترتب على قدومه إليهم وهجرته عندهم إغناء الله إياهم بعد الخصاصة والفاقة وشدة الحاجة وهذه ليست صفة ذم فحينئذ ليس له صفة تذم أصلاً .

الفوائد :

محاولة الفتك بالنبي (صلى الله عليه وسلم) :

روى التاريخ أنهم قرروا فيما بينهم الفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة عند عوده من تبوك ، وهم بضعة عشر رجلاً ، وقد اجتمع رأيهم على أن يدفعوه عن راحلته ليقع في الوادي فيموت ، فلما وصل الى العقبة نادى مناديه بأمره: إن رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد غيره ، واسلكوا يامعشر الجيش بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع ، فسلك الناس بطن الوادي ، وسلك النبي صلى الله عليه وسلم العقبة . وكان ذلك في ليلة مظلمة ، فجاء المنافقون وتلثموا وسلكوا العقبة ، وكان النبي قد أمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام ناقته ويقودها ، وأمر حذيفة أن يسوقها من خلفها فبينما النبي يسير في العقبة إذ غشيه المنافقون ، فنفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم ، فولوا مدبرين وعلموا أنه اطلع على مكرهم فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادي ، واختلطوا بالناس ، فرجع حذيفة يضرب الناقة ، فقال له النبي : هل عرفت أحداً منهم ؟ قال : لاكانوا متلثمين ، والليلة مظلمة ، قال : هل علمت مرادهم ؟ قال : لا ، قال النبي : انهم مكروا وأرادوا أن يسيروا معي في العقبة فيزحموني عنها وإن الله خبرني بهم وبمكرهم ، فلما رجع جمعهم ، وأخبرهم بما مكروا به فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا . وهناك روايات أخرى لا تخرج عن هذا المعنى يرجع اليها في المطولات.

* وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾

الاعراب :

(ومنهم من عاهد الله) استئناف مسوق لبيان قصة ثعلبة بن حاطب وهو نموذج مجسّد للنفاق وسيأتي حديثه في باب الفوائد ، ومنهم خبر مقدم ومن موصول مبتدأ مؤخر وجملة عاهد الله صلة • (لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) اللام موطئة للقسم وإن شرطية وآتانا فعل ماض ونا مفعول به وهو فعل الشرط ولنصدقن جواب القسم وجواب الشرط محذوف واللام في لنصدقن واقعة في

جواب القسم ولا يمتنع الجمع بين القسم واللام الموطئة له . ولنكونن عطف على لنصدقن ومن الصالحين خبر نكونن والاسم مستتر تقديره نحن (فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون) الفاء عاطفة ولما ظرفية حينية أو رابطة وآتاهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به ومن فضله جار ومجرور متعلقان بآتاهم وجملة بخلوا به لا محل لها وتولوا عطف على بخلوا والواو حالية وهم مبتدأ ومعرضون خبر • (فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه) الفاء عاطفة وأعقبهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول ونفاقاً مفعول به ثان وفي قلوبهم صفة نفاقاً أي متمكناً راسخاً في قلوبهم والى يوم حال أي ممتداً وجملة يلقونه مضاف اليها الظرف • (بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) الباء حرف جر للسببية وما مصدرية أي بسبب إخلافهم الله الوعد والله مفعول أخلفوا وما مصدرية وهي وما في حيزها مفعول أخلفوا وبما كانوا يكذبون عطف على ما تقدم مماثل له في الإعراب • (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب) الهمزة للاستفهام الإنكاري ويعلموا مضارع مجزوم بلم وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلموا وسرهم مفعول يعلم ونجواهم عطف على سرهم وأن الله علام الغيوب أن واسمها وخبرها وهي معطوفة على أن الاولى (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) الذين في محل خبر لمبتدأ محذوف أي هم أو مبتدأ ويلمزون صلة والمطوعين مفعول به ومن المؤمنين حال وفي الصدقات متعلقان بيلمزون أي يعيبونهم فيها • (والذين لا يجدون إلا جهدهم) عطف على الذين يلمزون وإلا أداة حصر وجهدهم مفعول يجدون • (فيسخرون منهم) عطف على يلمزون ومنهم متعلقان بيسخرون • (سخر الله منهم ولهم عذاب أليم) جملة سخر الله منهم خبر الذين ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وأليم

صفة • (استغفرْ لهم أولا تستغفر لهم) أمر يراد به الخبر كأنه قيل لن يغفر لله لهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، وأو للتخيير والعطف ولا ناهية وتستغفر مجزوم بلا ولهم متعلقان بالفعل وسيأتي مزيد بحث عنه في باب البلاغة • (إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) إن شرطية وتستغفر فعل الشرط ولهم متعلق بتستغفر وسبعين ظرف خلافاً لأبي البقاء إذ أعربها مفعولاً مطلقاً ولكن ورود مرة بعدها وهي ظرف أكدت حتمية كونها ظرفاً ومرة تمييز والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير ، قال علي بن أبي طالب :

لأصبحن العاصي وابن العاصي سبعين ألفاً عاقدي النواصي

والفاء رابطة ولن حرف ناصب ويغفر منصوب بلن والله فاعل ولهم متعلق بيغفر • (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) ذلك مبتدأ وبأنهم خبر وأن ومافي حيزها مصدر مجرور بالباء وجملة كفروا خبر أنوبالله متعلقان بكفروا ورسوله عطف على الله والله مبتدأ وجملة لا يهدي خبر والقوم مفعول به والفاسقين نعت •

البلاغة :

في قوله تعالى : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » خروج الأمر والنهي عن معناهما الأصلي إلى معنىآخر وهو التسوية كقول كثير عزة:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت

كأنه يقول لها امتحني محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالإساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة أو محسنة وكذلك معنى الآية استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل يغفر لهم في حالتي الاستغفار وتركه وهو من أبلغ الكلام •

الفوائد :

قصة ثعلبة بن حاطب :

١ ــ وهذه قصة رائعة يتجسد فيها النفاق ونلخصها لطولها ولعل القارىء يرجع اليها في المطولات ، روى التاريخ أن ثعلبة بن حاطب سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً ويؤدي منه كل ذي حق حقه فدعا له فوسع عليه وكان ثعلبة صحيح الاسلام في ابتداء أمره وكان ملازماً لمسجد رسول الله حتى لقب بحمامة المسجد فلما تم له الرزق الوفير انقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة إلى آخر تلك القصة الفريدة في التاريخ •

٢ ــ قاعدة هامة : قد يوضع الطلب موضع الخبر للرضاء بالواقع حتى كأنه مطلوب ، وعليه قول كثير :

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لـــدينا ولا مقلية إن تقلّت

أي لا ملومـــة أنت لدينا ولا مبغوضة فذكر لفظ الأمر ثم عطف عليه بلفظ أو ، فالأمر يفيد الإساءة والمعنى على الإخبار أي نحن راضون بما تفعلين لا نلومك أسأت أم أحسنت ولا نبغضك إن أبغضت ففيه تنبيه على إظهار مزيد الرضا بكل ما اختارته عزة في حقه وتنبيه على عدم

تفاوت جواب كثير بتفاوت ما اختارت عزة وعليه الآية الكريمة الآنفة الذكر فإنه لا يتفاوت عدم غفران الله لهم بتفاوت استغفار الرسول عليه السلام وقوعاً وعدم وقوع،فإن مقتضى المقام هاهنا هو الإخبار لا الأمر لأنه لا يصح أن يحمل ها هنا على حقيقة الأمر وهو طلب شيء مع ضده .

وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد وكأنه العدد بأسره ، وتوضيح هذا الكلام أن السبعة أول عدد كامل حيث جمعت العدد كله لأن العدد أزواج وأفراد ، فالأزواج والأفراد منها أول وثان فالاثنان أول الأزواج والأربعة زوج ثان والثلاثة أول الافراد والخمسة فرد ثان فإذا جمعت الزوج الأول مع الفرد الثاني أو الفرد الأول مع الزوج الثاني كانت سبعة ، وهذه الخاصة لا توجد في عدد قبل السبعة، وقيل : إن العرب تبالغ في العدد بالسبعة لأن التعديل في نصف العقد وهو خمسة ، إذا زيد عليه واحد كان لأدنى المبالغة ، وإذا زيد عليه اثنان كان لأقصى المبالغة، ولا زيادة على ذلك ، ولذلك قالوا للأسد سبع لأنه قد ضوعفت قوته سبع مرات ، ثم سبعون غاية الغايات لأن غاية الآحاد العشرات فمعنى الآية أنه تعالى لا يغفر لهم وإن استغفرت بكل الأعداد دائماً .

فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ

جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)

الاعراب :

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) فرح المخلفون فعل وفاعل وهم الذين خلفهم الكسل وأقعدهم عن الإسهام في واجباتهم المقدسة بعد أن استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في القعود،وبمقعدهم متعلق بفرح وخلاف رسول الله أي خلفه منصوب على أنه مفعول لأجله أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له ويجوز أن ينتصب على المصدر بفعل مقدر مدلول عليه بقوله مقعدهم لأنه في معنى تخلفوا أي تخلفوا خلاف رسول الله ويجوز أن ينتصب على الظرف أي بعد رسول الله وإلى هذا ذهب أبو عبيدة وعيسى بن عمر والأخفش واقتصر عليه أبو البقاء (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) عطف على فرح المخلفون وأن وما في حيزها مفعول كرهوا أي وكرهوا الخروج الى الجهاد . (وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون) الواو عاطفة ولا ناهية وتنفروا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وفي الحر جار ومجرور متعلقان بتنفروا وقل فعل أمر ونار جهنم مبتدأ وأشد خبر وحراً تمييز ولو شرطية وكان واسمها وجملة يفقهون خبرها وجواب لو محذوف تقديره ما تخلفوا . (فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً) الفاء الفصيحة واللام لام الأمر ويضحكوا مجزوم بها وقليلا مفعول مطلق أو ظرف زمان بمعنى ضحكاً قليلاً أو وقتاً قليلاً وليبكوا كثيراً عطف . (جزاء بما كانوا يكسبون)

جزاء مفعول لأجله أو مفعول مطلق لفعل محذوف وبما متعلق بجزاء أو بمحذوف صفة له وما مصدرية أو موصولة وكان واسمها وجملة يكسبون خبرها .

البلاغـة :

١ ـ الطباق بين الضحك والبكاء وبين قليل وكثير فهو مقابلة .

٢ ـ إخراج الخبر مخرج الإنشاء لأن معناه فسيضحكون قليلاً وسيبكون كثيراً ولكنه أخرج الخبر مخرج الأمر للدلالة على أنه أمر حتمي لا بد منه .

فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

اللغـــة :

(رَجَعَكَ) ردّك الله الى المدينة ورجع يستعمل لازماً ومتعدياً فاللازم من باب جلس والمتعدي من باب قطع . ومعنى الرجع تصيير الشيء الى المكان الذي كان فيه يقال رجعته رجعاً كقولك رددته ردّاً .

الاعراب :

(فإن رجعك الله إلى طائفة منهـم فاستأذنوك للخروج) الفـاء تفريعية للأمر وإن شرطية ورجعك الله فعل ومفعول به وفاعل والفعل فعل الشرط والى طائفة متعلق برجعك وهـم المنافقون ومنهـم صفة فاستأذنوك عطف على رجعك وللخروج متعلق باستأذنوك . (فقل لن تخرجوا معي أبداً) الفاء رابطة لجواب الشرط ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتخرجوا مضارع منصوب بلن والواو فاعل ومعي ظرف مكان متعلق بتخرجوا وأبداً ظرف زمان متعلق بتخرجوا أيضاً . (ولن تقاتلوا معي عدواً) عطف على لن تخرجوا وإعرابها مماثل لما تقدم (إنكم رضيتم بالقعود أول مرة) إن واسمها وجملة رضيتم خبرها وبالقعود متعلق برضيتم وأول مرة ظرف زمان واستبعد أبو البقاء ذلك وقال : « ومرة مصدر كأنه قيل أول خرجة دعيتم إليها لأنها لم تكن أول خرجة خرجها الرسول للغزاة فلا بد من تقييدها اذ الأولية تقتضي السبق . وقيل : التقدير أول خرجة خرجها الرسول لغزوة الروم بنفسه . وقيل : أول مرة قبل الاستئذان » فعلى هذا تعرب أول مرة مصدراً لمحذوف . (فاقعدوا مع الخالفين) الفاء عاطفة واقعدوا فعل أمر والواو فاعل ومع ظرف متعلق باقعدوا أو بمحذوف حال من فاعل اقعدوا والخالفين مضاف اليه وهم المتخلفون فاللام للعهد، وهم مجموعة الزمنى والنساء والأطفال والمقعدون (ولا تصلّ على

أحد منهم مات أبداً) الواو استئنافية ولاناهية وتصل فعل مضارع مجزوم بلا وفاعله أنت وعلى أحد متعلق بتصل ومنهم صفة لأحد وجملة مات صفة ثانية وأبداً ظرف زمان متعلق بتصل • (ولا تقم على قبره) عطف على ولا تصل وعلى قبره متعلقان بتقم • (إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) إن واسمها وجملة كفروا خبرها وبالله متعلق بكفروا ورسوله عطف عليه وماتوا عطف على كفروا والواو حالية وهم مبتدأ فاسقون خبر والجملة نصب على الحال وجملة إنهم تعليلية لامحل لها • (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم) الواو عاطفة ولا ناهية وتعجبك مضارع مجزوم بلا والكاف مفعول به وأموالهم فاعل وأولادهم عطف على أموالهم • (إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا) إنما كافة ومكفوفة ويريد الله فعل مضارع وفاعل وأن ومافي حيزها مفعول يريد والجملة تعليلية لا محل لها وبها متعلق بيعذبهم وفي الدنيا حال • (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) وتزهق عطف على يعذبهم وأنفسهم فاعل والواو للحال وهم مبتدأ وكافرون خبر والجملة حالية •

البلاغة :

المخالفة والفرق بين الألفاظ في قوله تعالى : « ولا تعجبك أموالهم وأولادهم » الخ وفي الآية التي سبق ذكرها وهي « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون » فأما سر التكرار والحكمة فيه فهو أن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل أولاً وتأكيده ، كأنما يريد أن يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه ، وأن يعتقد أن العمل به مهم وإن أعيد

هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه ، وهو أن أشد الأشياء جذباً للقلوب واستهواء لها هو الاشتغال بالأموال والأولاد ، وما كان بهذه المثابة من التغرير والإغواء يجب التحذير منه مرة بعد مرة ، وأما سر سر المخالفة والفرق بين بعض ألفاظ الآيتين فنبين وجهه فيما يلي :

١ ــ قال تعالى في الآية الأولى « فلا تعجبك » بالفاء وقال هنا : « ولا تعجبك » بالواو ، والفرق بينهما أنه عطف الآية الأولى على قوله : « ولا ينفقون إلا وهم كارهون » وصفهم بكونهم كارهين للإنفاق لشدة المحبة للأموال والأولاد فحسن العطف عليه بالفاء تعقيباً وترتيباً ، وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا أتى بالواو •

٢ ــ وقال تعالى في الآية الأولى : « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم » وأسقط حرف لا في الثانية فقال « وأولادهم » والسبب أن حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد فيدل على أنهم كانوا معجبين بكثرة الأموال والأولاد وإعجابهم بأولادهم أكثر وفي إسقاط حرف لا هنا دليل على أنه لا تفاوت بين الأمرين •

٣ ــ وقال تعالى في الآية الأولى : « إنما يريد الله ليعذبهم » بحرف اللام وقال هنا : « أن يعذبهم » بحرف أن والفائدة فيه التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال وإنه وإن ورد فيه حرف اللام فمعناه « أن » كقوله : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله » فإن معناه : وما أمروا إلا بأن يعبدوا الله •

٤ ــ وقال تعالى في الآية الأولى : « في الحياة الدنيا » وقال هنا : « في الدنيا » والفائدة في إسقاط لفظ الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت في الخسة والمهانة الى حيث أنها لا تستحق أن تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيهاً على كمال ذمها •

وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

الاعراب :

(وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله) الواو استئنافية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وأنزلت فعل ماض مبني للمجهول وسورة نائب فاعل ويجوز أن يراد بالسورة تمامها وأن يراد بعضها ، وأن مفسرة لأن في الانزال معنى القول دون حروفه ويجوز أن تكون مصدرية فتكون مع مدخولها في محل نصب بنزع الخافض أي بأن آمنوا ، وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنوا ، وجاهدوا مع رسوله عطف على آمنوا بالله . (استأذنك أولو الطول منهم) جملة استأذنك جواب إذا والكاف مفعول به وأولو الطول فاعل وهم الأغنياء وأصحاب البسطة في الجاه والقوة ، ومنهم حال . (وقالوا ذرنا نكن

مع القاعدين) ذرنا فعل أمر أمات العرب ماضيه فلم يأت منه إلا المضارع والأمر ، ونا مفعول به ونكن جواب الطلب فلذلك جزم واسم نكن ضمير مستتر تقديره نحن ومع القاعدين ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر نكن (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) جملة رضوا استئنافية مسوقة لبيان سوء صنيعهم وبأن يكونوا متعلق برضوا والواو اسم يكونوا ومع الخوالف خبر • (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) عطف على رضوا وعلى قلوبهم متعلق بطبع فهم الفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة لا يفقهون خبر • (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) لكن مخففة مهملة والرسول مبتدأ والذين عطف عليه وجملة آمنوا صلة ومعه ظرف متعلق بآمنوا وجملة جاهدوا بأموالهم وأنفسهم خبر الرسول • (وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون) أولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم والخيرات مبتدأ مؤخر وجملة لهم الخيرات خبر أولئك ، وأولئك هم المفلحون عطف على ما تقدم وقد سبق إعرابها • (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) جملة مستأنفة لبيان مآلهم الطيب وأعد فعل ماض والله فاعله ولهم متعلق بأعد وجنات مفعول به وجملة تجري صفة • (خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) خالدين حال وفيها متعلق بخالدين وذلك مبتدأ والفوز العظيم خبره •

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠) لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ

وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾

اللغـــة :

(المعذّرون) اسم فاعل من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى ولم يجد ، وحقيقته أن يوهم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر له ، أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين .

(الأعراب) سكان البادية وهم أخص من العربي إذ العربي من تكلم باللغة العربية سواء كان يسكن البادية أو الحاضرة .

الاعراب :

(وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في بيان أحوال سكان البادية وجاء المعذرون فعل وفاعل ومن الأعراب حال وليؤذن تعليل مضارع منصوب بأن مضمرة ولهم متعلق بيؤذن . (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) عطف على جاء والذين فاعل وكذبوا صلة الذين ولفظ الجلالة مفعول كذبوا ورسوله عطف عليه . (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) السين

حرف استقبال ويصيب فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو والذين مفعول به وجملة كفروا صلة ومنهم حال وعذاب فاعل يصيب وأليم صفة . (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) ليس فعل ماض ناقص وعلى الضعفاء خبر ليس المقدم ولا على المرضى عطف على الضعفاء ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون عطف أيضاً وحرج اسم ليس . (إذا نصحوا لله ورسوله ماعلى المحسنين من سبيل والله غفور رحيم) الظرف متعلق بمعنوي مقتبس من النفي ، أي انتفى عنهم الحرج إذا نصحوا فلا يخرجون حينئذ ، وجملة نصحوا في محل جر بإضافة الظرف إليها ورسوله عطف على لله وما نافية وعلى المحسنين خبر مقدم ومن زائدة وسبيل مبتدأ مؤخر محلاً والله مبتدأ وغفور خبر أول ورحيم خبر ثان . (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) الواو عاطفة ولا نافية وعلى الذين معطوف على قوله على الضعفاء فهو بمثابة خبر مقدم والمبتدأ محذوف أي حرج وجملة إذا ما أتوك صلة الذين وإذا ظرف مستقبل وما زائدة وجملة أتوك مضاف إليها الظرف ولتحملهم علة الإتيان أي لتحملهم معك الى الغزو وهم كما يروي التاريخ سبعة من الأنصار وقيل هم أصحاب أبي موسى الأشعري كما في البخاري . (قلت لا أجد ما أحملكم عليه) جملة قلت حالية من الكاف في أتوك بتقدير وقد قبلها أي إذا ما أتوك قائلاً لا أجد وما مفعول أجد وجملة أحملكم صلة وعليه متعلق بأحملكم . (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون) جملة تولوا جواب إذا ويجوز أن تكون جملة قلت لا أجد جواب إذا الشرطية وإذا وجوابها في موضع الصلة وعلى هذا فيكون قوله تولوا جواباً لسؤال مقدّر كأن قائلاً قال : ماكان حالهم وقت

أن أجيبوا بهذا الجواب فأجيب بقوله تولوا ، وأعينهم مبتدأ والواو للحال وجملة تفيض خبر ومن الدمع تمييز أي تفيض دمعاً وهو أبلغ من يفيض دمعها لأن العين جعلت كأنها كلها دمـع فائض وقد تقـدم القول في هذه الجملة في المائدة مع بسط لم يسبق إليه فجدد به عهداً ، وحزناً مفعول لأجله أو حال وأن لا يجـدوا أن ومافي حيزها مفعول لأجله والعامل فيه حزناً ويجوز أن نعرب حزناً مفعولاً مطلقاً فيكون العامل في أن لا يجدوا تفيض وما مفعول يجدوا وجملة ينفقون صلة .

وقد اعترض أبو البقاء على إعراب الزمخشري من الدمع تمييزاً فقال : « لا يجوز ذلك لأن التمييز الذي أصله فاعل لا يجوز جره بمن وأيضاً فإنه معرفة ولايجوز إلا على رأي الكوفيين الذين يجيزون مجيء التمييز معرفة .

البلاغة :

فن التلميح أو التمليح :

في قوله : « ما على المحسنين من سبيل » فن من فنون البديـع يسمى « التلميح » وهو أن يشار في فحوى الكلام الى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة مشهورة أو ما يجري مجرى المثل ، ومنه قول يسار ابن عدي حين بلغه قتل أخيه وهو يشرب الخمر :

اليوم خمر ويبدو في غد خبر والدهر من بين إنعـام وإيئاس

ويسميه قوم « التمليح » بتقديم الميم كأن الشاعر أتى في بيته

أو الناثر في فقرته بنكتة حسنة زادت الكلام ملاحة ، كقول ابن المعتز :

أترى الجـــيرة الذين تداعوا   عند سير الحبيب وقت الزوال

علمـــوا أنني مقيم وقلبـــي   راحـــل فيهم أمام الجمال

مثل صاع العزيز في أرحل القو   م ولا يعلمون مافي الرحـــال

وهذا التمليح فيه إشارة الى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع في رحل أخيه وإخوته لم يشعروا بذلك ، ومن لطائف التلميح قول أبي فراس :

فلا خـــير في رد الأذى بمذلة   كما رده يوماً بسوءته عمـــرو

وهذا التمليح أو التلميح فيه إشارة الى قصة عمرو بن العاص مع الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في يوم صفـــين حين حمل عليه الإمام ، ورأى عمرو أن لا مخلص منه فلم يسعه غير كشف العورة .

ومن لطائف التلميح قصة الهذلي مع منصور بني العباس فإنه حكى أن المنصور وعد الهذلي بجائزة ونسي ، فحجا معاً ومرا في المدينة النبوية ببيت عاتكة ، فقال الهذلي : يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة التي يقول فيها الأحوص :

يابيت عاتكة الـــذي أتعزل   حذر العدا وبه الفؤاد موكل

فأنكر عليه أمير المؤمنين لأنه تكلم من غير أن يسأل ، فلما رجع الخليفة نظر في القصيدة إلى آخرها ليعلم ما أراد الهذلي بإنشاد ذلك البيت من غير استدعاء فإذا فيها :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق اللسان يقول مالا يفعل

فعلم أنه أشار الى هذا البيت بتلميحه الغريب ، فتذكر ما وعده به وأنجزه له واعتذر إليه من النسيان .

ومثله ما حكي أن أبا العلاء المعري كان يتعصب للمتنبي فحضر يوماً مجلس الشريف المرتضى فجرى ذكر أبي الطيب فهضم المرتضى من جانبه فقال له أبو العلاء : لو لم يكن له من الشعر إلا قوله :

« لك يا منازل في القلوب منازل » لكفاه ، فغضب المرتضى وأمر به فسحب وأخرج ، وبعد إخراجه قال المرتضى : هل تدرون ما عنى بذكر البيت ؟ فقالوا : لا والله ، فقال : عنى به قول أبي الطيب في قصيدته :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

ومن هذا القبيل قصة السّريّ الرفاء مع سيف الدولة بسبب المتنبي أيضاً ، فإن السري الرفاء كان من مداح سيف الدولة ، وجرى يوماً في مجلسه ذكر أبي الطيب فبالغ سيف الدولة في الثناء عليه فقال له السري : أشتهي أن الأمير ينتخب لي قصيدة من غرر قصائده لأعارضها له ويتحقق بذلك أنه أركب المتنبي في غير سرجه ، فقال له سيف الدولة على الفور : عارض لنا قصيدته القافية التي مطلعها :

لعينيك مايلقى الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقي

قال السري : فكتبت القصيدة واعتبرتها في تلك الليلة فلم أجدها من مختارات أبي الطيب لكن رأيته يقول في آخرها عن ممدوحه :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق   أراه غباري ثم قال له : الحق

فقلت : والله ما أشار سيف الدولة إلا الى هذا البيت وأحجمت عن معارضة القصيدة .

وألطف من هذا ما حكاه ابن الجوزي في كتاب الأذكياء فإنه من غرائب التلميح قال : قعد رجل على جسر بغداد فأقبلت امرأة بارعة في الجمال من جهة الرصافة الى الجانب الغربي فاستقبلها شاب ، فقال لها : رحم الله علي بن الجهم فقالت له : رحم الله أبا العلاء المعري ، وما وقفا بل سارا مغرباً ومشرقاً ، قال الرجل فتبعت المرأة فقلت لها : والله إن لم تقولي ما أراد بابن الجهم فضحتك قالت أراد به :

عيون المهـــا بين الرصافة والجســـر

جلبن الهـوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت بأبي العلاء قوله :

فيا دارها بالكرخ إن مزارها   قريب ولكن دون ذلك أهـوال

الفوائد :

أورد ابن هشام هذه الآية شاهداً على خروج إذا عن الاستقبال وذلك على وجهين أحدهما أن تجيء للماضي كما جاءت إذ للمستقبل في قول بعضهم ، والثاني أن تجيء للحال وذلك بعد واو القسم نحو « والليل إذا يغشى والنجم إذا هوى » قيل لأنها لو كانت للاستقبال لم

تكن ظرفاً لفعل القسم لأنه إنشاء لا إخبار عن قسم يأتي ، لأن قسم الله سبحانه قديم ولا لكون محذوف هو حال من الليل والنجم ، لأن الحال والاستقبال متنافيان ، وإذا بطل هذان الوجهان تعين انه ظرف لأحدهما على أن المراد به الحال اهـ .

والصحيح أنه لا يصح التعليق بأقسم الانشائي لأن القديم لا زمان له لا حال ولا غيره ، بل هو سابق على الزمان وانه لايمتنع التعليق بكائناً مع بقاء إذا على الاستقبال بدليل صحة مجيء الحال المقدرة باتفاق كمررت برجل معه صقر صائداً به غداً ، أي مقدراً الصيد به غداً ، كذا يقدرون ، وأوضح منه أن يقال مريداً به الصيد غداً كما فسر قمتم في « إذا قمتم الى الصلاة » بأردتم .

وقال القاضي محب الدين شارح التسهيل: يمكن أن المراد حكاية حالهم حين ابتدءوا هم في الفعل فإذا في محلها ، ورده الدماميني بأن الحكاية إنما تحقق الحال ولا تكون إذا في محلها إلا إذا تحقق الاستقبال، وأجاب الشمني بأن الحالية في مبدأ الفعل تستلزم الاستقبال بالنظر لتمامه فبهذا الثاني تكون إذا واقعة محلها ولعلك تقول كلام القاضي على الابتداء في فعل الإتيان ولاشك أن التولي أو القول العامل في إذا على ما سبق مستقبل إذ ذاك فتدبر .

* إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا

اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾

الاعراب :

(إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء) إنما كافة ومكفوفة قيل هي للتوكيد والمبالغة فيه وقيل هي للحصر ، والسبيل مبتدأ وعلى الذين خبر وجملة يستأذنونك صلة وهم : الواو للحال وهم مبتدأ وأغنياء خبر والجملة حالية (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) جملة مستأنفة أو حالية بتقدير قد ، بأن يكونوا متعلقان برضوا والواو اسم يكونوا والظرف خبرها • (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) الجملة معطوفة على ما تقدم والفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة لا يعلمون خبر • (يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم) جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما يبررون به موقفهم المتخاذل ، روي انهم كانوا بضعة وثمانين رجلاً فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءوا يعتذرون إليه بالباطل وإليكم جار ومجرور متعلقان بيعتذرون وإذا ظرف مستقبل متعلق بجوابه المحذوف أي يعتذرون وجملة رجعتم مضاف اليها واليهم جار ومجرور متعلقان برجعتم • (قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم) جملة

لا تعتذروا مقول القول وجملة لن نؤمن لكم مستأنفة كأنها تعليل للنهي ولكم جار ومجرور متعلقان بنؤمن . (قد نبأنا الله من أخباركم) قد حرف تحقيق ونبأنا نصبت هنا مفعولين أولهما نا والثاني الجار والمجرور أو جمله من أخباركم فهو في الحقيقة صفة للمفعول المحذوف أما المفعول الثالث فقد حذف اختصاراً للعلم به والتقدير نبأنا الله من أخباركم كذباً وأراجيف . (وسيرى الله عملكم ورسوله) السين حرف أستقبال ويرى فعل مضارع والله فاعل ، والرؤية هنا بمعنى العلم ، وعملكم مفعول يرى الأول والثاني محذوف تقديره واقعاً ورسوله عطف على الله . (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) ثم عطف للترتيب مع التراخي وتردون فعل مضارع ونائب فاعل والى عالم الغيب جار ومجرور متعلقان بتردون (فينبئكم بما كنتم تعملون) الفاء عاطفة وينبئكم فعل وفاعل مستتر والكاف مفعوله الأول وبما كنتم مفعوله الثاني وجملة تعملون خبر كنتم والعائد محذوف أي تعملونه ، وما هنا موصولة أو مصدرية . (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) السين للتأكيد مع الاستقبال ويحلفون فعل مضارع والواو فاعل وبالله جار ومجرور متعلقان به والجملة بدل من يعتذرون ولكم حال والمحلوف عليه محذوف اعتماداً على فهم القارىء أي انهم معذرون في تخلفهم ، واذا ظرف متعلق بيحلفون واليهم جار ومجرور متلعقان بانقلبتم ولتعرضوا : اللام للتعليل وتعرضوا منصوب بأن مضمرة بعدها والجار والمجرور متعلقان بيحلفون ، وقد امتنع نصب المفعول لأجله لاختلاف الفاعل أي لتتركوا معاتبتهم وعنهم جار ومجرور متعلقان بتعرضوا .(فأعرضوا عنهم انهم رجس) الفاء الفصيحة وأعرضوا فعل أمر والواو فاعل وعنهم جار ومجرور متعلقان بأعرضوا وان واسمها وخبرها . (ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) الواو

استئنافية ومأواهم مبتدأ وجهنم خبر وجزاء مفعول لأجله أو مفعول مطلق لفعل محذوف أي يجزون جزاء وبما متعلقان بجزاء وما مصدرية وكان واسمها وجملة يكسبون خبرها .

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾

اللغة :

(الأعراب) : مر الحديث عنها ونضيف هنا أن اللام فيها للجنس أي جنسهم لا كل واحد منهم لأنه سيستثنى منهم كما سيأتي ، وهو اسم جمع جاء على صورة الجمع وليس جمعاً لعرب لئلا يلزم كون الجمع أخص من مفرده لأن الأعراب سكان البادية خاصة ، والعرب المتكلمون باللغة العربية سواء كانوا من سكان البادية أو الحاضرة وفي المصباح : « وأما الأعراب فأهل البدو من العرب ، الواحد أعرابي بالفتح أيضاً وهو الذي يكون صاحب نجعة وارتياد للكلأ وزاد الأزهري فقال :

سواء كان من العرب أو من مواليهم قال : فمن نزل البادية وجاور البادين وظعن بظعنهم فهم أعراب ، ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي الى العرب فهم عرب وان لم يكونوا فصحاء » وقال غيره : عَرُبَ لسانه عرابة وما سمعت أعرب من كلامه وأعرب وهو من العرب العرباء . والعاربة وهم الصرحاء الخلّص وفلان من المستعربة وهم الدخلاء فيهم وفيه لوثة أعرابية قال :

وإني على ما فيّ من عَنْجهيتي ولوثة أعرابيتي لأديب

وقال الكميت :

لا ينقض الأمر إلا ريث يبرمه ولاتَعَرَّبُ إلا حوله العرب

أي لا تعز وتتمنع عزة الأعراب في باديتها إلا عنده وسيأتي مزيد من بحثه .

(الدوائر) : دوائر الزمان دوله وعقبه وهي جمع دائرة والدائرة ما يحيط بالانسان من مصيبة ونكبة أخذاً من الدائرة المحيطة بالشيء وأصله داورة لأنها من دار يدور فقلبت الواو همزة ، وقد اختلف اللغويون فيها فقال قوم هي فاعلة كقائمة وقال قوم هي مصدر كالعاقبة .

الاعراب :

(يحلفون لكم لترضوا عنهم) يحلفون بدل من سيحلفون ولكم جار ومجرور متعلقان بيحلفون أو بمحذوف حال ولام التعليل متعلقة مع مجرورها بيحلفون وعنهم متعلقان بترضوا . (فإن ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) الفاء الفصيحة والجواب

محذوف أي إن ترضوا عنهم فلا ينفعهم رضاكم ، فإن الفاء للتعليل وان واسمها وجملة لا يرضى عن القوم الفاسقين خبرها • (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً) الأعراب مبتدأ وأشد خبر وكفراً تمييز ونفاقاً عطف عليه وذلك لجفائهم وقسوتهم وابتعادهم عن معالم الحضارة وهو من باب وصف الجنس بأحد أفراده أو بعضهم كما في قوله تعالى « وكان الإنسان كنوراً » إذ ليس كلهم كما ذكر وسيأتي بحث « أل المعرفة » في باب الفوائد مع ذكر أقسامها • (وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) وأجدر عطف على أشد وأن وما في حيزها منصوبة بنزع الخافض أي بأن لا يعلموا وهي متعلقة بأجدر وحدود مفعول يعلموا وما مضاف اليه وجملة أنزل الله صلة• (والله عليم حكيم) مبتدأ وخبراه • (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً) من الاعراب خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة يتخذ صلة وفاعل يتخذ مستتر تقديره هو وما مفعول به أول وجملة ينفق صلة ومغرماً مفعول يتخذ الثاني أي خسارة لأنه لا يرجو الثواب بل يخشى العقاب • (ويتربص بكم الدوائر) ويتربص الواو للحال ويجوز أن تكون عاطفة فتكون يتربص داخلة في حكم الصلة وبكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والدوائر مفعول به • (عليهم دائرة السوء والله سميع عليم) الجملة دعائية لا محل لها وعليهم خبر مقدم ودائرة السوء مبتدأ مؤخر والله مبتدأ وسميع خبره الأول وعليم خبره الثاني •

الفوائد :

حكم أل :

(أل) كلها حرف تعريف على الأصح وهي إما أن تكون لتعريف

الجنس وتسمى « الجنسية » وإما لتعريف حصة معهودة منه وتسمى « العهدية » •

أل العهدية : تكون على ثلاثة أقسام :

آ ــ اما أن تكون للعهد الذكري وهي ما سبق لمصحوبها ذكر في الكلام كقولك : جاءني ضيف فأكرمت الضيف ، أي المذكور ومنه قوله تعالى : « كما أرسلنا الى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول » •

ب ــ وإما أن تكون للعهد الحضوري ، وهي ما يكون مصحوبها حاضراً مثل : جئت اليوم أي اليوم الحاضر الذي نحن فيه •

جـ ــ وإما أن تكون للعهد الذهني ، وهي ما يكون مصحوبها معهوداً ذهناً فينصرف الفكر إليه بمجرد النطق به مثل حضر الرجل أي الرجل المعهود ذهناً بينك وبين من تخاطبه •

أل الجنسية وهي قسمان :

آ ــ إما أن تكون لاستغراق جميع أفراد الجنس وهي ما تشمل جميع أفراده كقوله تعالى : « وخلق الانسان ضعيفاً » •

ب ــ وإما لاستغراق جميع خصائصه مثل أنت الرجل، أي اجتمع فيك كل صفات الرجال •

تنبيهات هامة :

١ ــ علامة أل الاستغراقية أن يصح وقوع « كل » موقعها •

٢ ـ أل التي لبيان حقيقة الجنس وماهيته وطبيعته بقطع النظر عما يصدق عليه من أفراده ولذلك لا يصح حلول « كل » محلها تسمى « لام الحقيقة والماهية والطبيعة » وذلك مثل : الانسان حيوان ناطق أي حقيقته أنه عاقل مدرك وليس كل إنسان كذلك ، ومثل : الرجل أصبر من المرأة ، فليس كل رجل كذلك ، وقد يكـون بين النساء من تفوق بصبرها وجلدها كثيراً من الرجال ، فأل هنا لتعريف الحقيقة غير منظور بها الى أفراد الجنس بل الى ماهيته من حيث هي وعلى هذا تحمل أل الداخلة على « الأعراب » فليسوا جميعاً بهذه المثابة من شدة الكفر والنفاق والنبو عن استماع الكلام الطيب .

أل الزائدة :

وقد تزاد أل فلا تفيد التعريف ، وزيادتها إما أن تكون لازمة فلا تفارق مصحوبها كزيادتها في الأعلام التي قارنت وصفها كاللات والعزى والسموءل ، وكزيادتها في الأسماء الموصولة كالذي والتي ونحوهما ، لأن تعريف الموصول بالصلة لا بأل على الأصح ، وإما أن تكون زيادتها غير لازمة كزيادتها في بعض الأعـلام المنقولة عن أصل للمـح المعنى الأصلي كالفضل والحارث والنعمـان والوليـد والرشيد ونحوها ، وزيادتها سماعية فلا يقال المحمد والمحمود ، فما ورد عن العرب من ذلك يسمع ولا يقاس عليه غيره .

أل الموصولية :

وقد تكون أل اسم موصول بلفظ واحد مطلقاً ، وهي الداخلة على اسم الفاعل والمفعول بشرط ألا يراد بها العهد أو الجنس نحو أكرم

المكرِم ضيفه ، والمكرَم ضيفه أي الذي يكرم ضيفه والذي يُكرم ضيفه ، وإذا كانت الصفة الواقعة صلة لأل الموصولية في قوة الفعل ومرفوعه حسن عطف الفعل ومرفوعه عليها كقوله تعالى « والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً » وسيأتي بحث ذلك في حينه .

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٩) وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)

الاعراب :

(ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) ومن الأعراب خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة يؤمن بالله صلة واليوم الآخر عطف على الله . (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) ويتخذ عطف على يؤمن وفاعله هو وما اسم موصول مفعول به وجملة ينفق صلة وقربات مفعول به ثان وعند الله ظرف في محل نصب صفة وصلوات

الرسول فيها وجهـان أظهرهما أنها معطوفة عـلى قربات والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ، وثانيهما أنها عطف على ما ينفق وتقديره وصلوات الرسول قربات ، وقربات مفعول ثان ليتخذ • (ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم) ألا حرف تنبيه والجملة مستأنفة مؤكدة بألا وانها لثبات الأمر • وإن واسمها وخبرها ولهـم صفة لقربة وسيدخلهـم السين حرف استقبال ويدخلهم الله فعل مضارع ومفعول به وفاعل وفي رحمته جار ومجرور متعلقان بيدخلهـم وإن واسمها وخبراها • (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والـذين اتبعوهـم بإحسان) السابقون مبتـدأ والأولون صفة ومن المهاجرين والانصار حال والـذين عطف عـلى السابقون واتبعوهم صلة وبإحسان جـار ومجرور متعلقان بمحذوف حال • (رضي الله عنهم ورضوا عنه) الجملة خبر السابقون وهناك وجهان في الخبر ذكرهما أبو البقاء وتبعه أكثر المفسرين لا أعلم كيف استساغهما ، الأول أن الخبر هو الأولون وهو ظاهر التهافت والثاني أنه من المهاجرين والأنصار وهو أشد تهافتاً • (وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالـدين فيها أبداً ذلك الفـوز العظيم) تقدم إعـراب نظائر هذه الجملة كثيراً فلا حاجة للإعادة •

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا

وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

اللغـــة :

(مردوا) : تمرنوا عليه ولجوا فيه يقال : تمرد فلان إذا عتا وتجبر ومنه الشيطان : المارد،وتمرد في معصيته أي ثبت عليها واعتادها ولم يتب عنها ،وأصل مرد وتمرد اللين والملاسة والتجرد ، فكأنهم تجردوا للنفاق ، ومنه غصن أمرد لا ورق فيه عليه وفرس أمرد لا شعر فيه وغلام أمرد لا شعر بوجهه وأرض مرداء لا نبات فيها وصرح ممرد مجرد . فالمعنى أنهم أقاموا على النفاق وثبتوا عليه ولم ينثنوا عنه .

(سكن) : السكن : الطمأنينة فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض .

الاعراب :

(وممّن حولكم من الأعراب منافقون) جملة مستأنفة مسوقة لبيان حال منافقي أهل المدينة ومن حولها من الأعراب بعد بيان حال

أهل البادية ، وممن خبر مقدم وحولكم الظرف صلة الموصول ومن الأعراب حال ومنافقون مبتدأ مؤخر • (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) ومن أهل المدينة يجوز أن يكون معطوفاً على من المجرورة بمن فيكون المجروران مشتركين في الإخبار بهما عن المبتدأ وهو منافقون كأنه قيل المنافقون من قوم حولكم ومن أهل المدينة ويجوز أن يكون الكلام تم عند قوله منافقون ويكون قوله ومن أهل المدينة خبراً مقدماً والمبتدأ بعده محذوف قامت صفته مقامه وحذف الموصوف وإقامة صفته مقامه مطرد نحو منا ظعن ومنا أقام ونحو قوله :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

والتقدير ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق (لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين) الجملة في محل رفع صفة لمنافقون أو مستأنفة ونحن مبتدأ وجملة نعلمهم خبر ومفعول نعلمهم الثاني محذوف تقديره منافقين وكذلك مفعول تعلمهم الثاني ، سنعذبهم السين حرف استقبال ونعذبهم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ومرتين ظرف (ثم يردون الى عذاب عظيم) الجملة معطوفة ، ويردون فعل ونائب فاعل والجار والمجرور متعلقان بيردون وعظيم صفة • (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً) وآخرون عطف على منافقون أو مبتدأ وجملة اعترفوا بذنوبهم صفته وجملة خلطوا خبره وعملاً مفعول خلطوا وصالحاً صفة وآخر عطف على عملاً وسيئاً صفة وسيأتي في باب الفوائد كيفية هذا الخلط وما فيه من أسرار • (عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم) عسى من أفعال المقاربة وتفيد الرجاء

والله اسمها وأن وما في حيزها خبر وعليهم جار ومجرور متعلقان بيتوب وإن واسمها وخبراها • (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) خذ فعل أمر وفاعله أنت ومن أموالهم جار ومجرور متعلقان بخذ ويكون معنى « مِن » التبعيض وصدقة مفعول به ويجوز أن تتعلق بمحذوف حال لأنها كانت في الأصل صفة لصدقة فلما قدمت نصبت حالاً منها وجملة تطهرهم حال من فاعل خذ إذا كانت التاء في تطهرهم خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم أو صفة لصدقة إذا كانت التاء للغيبة وتزكيهم بها عطف على تطهرهم • (وصلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم) وصلِّ عطف على خذ وعليهم متعلقان بصلِّ وإن واسمها وخبرها ولهم صفة لسكن والله مبتدأ وسميع عليم خبراه • (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم ويعلموا مضارع مجزوم بلم وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلموا وأن واسمها ، وهو مبتدأ وجملة يقبل خبره ، والجملة خبر أن ، ولا يجوز أن يكون هو فصلاً لأن ما بعده لايلتبس بالوصفية ، وعن عباده متعلقان بيقبل • (ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم) عطف نسق على ما تقدم ويجوز في « هو » هنا أن يكون ضمير فصل وأن يكون مبتدأ •

الفوائد :

١ ـ حذف المنعوت واقامة النعت مقامه :

يجوز بكثرة حذف المنعوت إن علم وكان النعت صالحاً لمباشرة العامل نحو قوله تعالى : « أن اعمل سابغات » أي دروعاً سابغات ، أو كان النعت جملة أو شبهها وكان المنعوت مرفوعاً وبعض

اسم متقدم عليه مخفوض بـ « من » أو « في » فالاول كقولهم : منا ظعن ومنا أقام ، فظعن وأقام جملتان في موضع رفع وهما نعتان لمنعوتين محذوفين مرفوعين على الابتداء أي منا فريق ظعن ومنا فريق أقام ، والثاني كقول أبي الاسود الحماني يصف امرأة :

لو قلت ما في قومها لم تيثم   يفضلها في حسب وميسم

أصله لو قلت ما في قومها احد يفضلها لم تأثم في مقالتك فحذف الموصوف وهو أحد وأقام جملة يفضلها مقامه .

هذا ويجوز حذف النعت إن علم كقوله تعالى : « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً » أي كل سفينة صالحة وقول عباس ابن مرداس :

وقد كنت في الحرب ذا تدرأ   فلم أعط شيئاً ولم أمنع

فحذف النعت وأبقى المنعوت أي شيئاً طائلاً والذي أحوج الى تقدير هذا النعت تحري الصدق فإن الواقع أنه أعطي شيئاً بدليل قوله ولم أمنع ولكنه لم يرتضه فيحتاج الى تقدير صفة يكتسي بها الكلام جلباب الصدق ويتحلى بزنة الحق وقول المرقش الأكبر :

ورب أسيلة الخدين بكر   مهفهفة لها فرع وجيد

أي فرع فاحم وجيد طويل بدليل أن حسن التغزل يستدعي إثبات الفرع والجيد موصوفين بصفتين محبوبتين .

بقي أنه يجوز حذف المنعوت والنعت معاً كقوله تعالى: « لا يموت فيها ولا يحيا » أي حياة نافعة ، وقد يحذفان إذا قام مقام النعت معموله

كما قالوا في « والله ماهي بنعم الولد » أي والله ما هي بولد مقول فيه نعم الولد « ونعم السير على بئس العير » أي على عير مقول فيه بئس العير .

٢ ـ أيهما المخلوط والمخلوط به ؟

في قوله تعالى « خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » جعل كلاً منهما مخلوطاً فما المخلوط به ؟

والجواب أن كل واحد مخلوط ومخلوط به لأن المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك : خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لأنك جعلت الماء مخلوطاً واللبن مخلوطاً به وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطاً بهما كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء .

ومن جهة ثانية كان العدول عن الباء لتضمين الخلط معنى العمل كأنه قيل عملوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ثم انضاف الى العمل معنى الخلط فعبر عنهما معاً به .

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

اللغــــة :

(مُرْجَون) : اسم مفعول من أرجيته أي أخرته ويقال أرجأته بالهمز أيضاً ومنه المرجئة .

(وإرصادا) : وإعداداً وارتقاباً .

(شفا) : طرف وحرف .

(جرف) : بضم الراء وسكونها جانب البئر التي لم تطو وقيل : الهوّة وما يجرفه السيل من الأودية . قال أبو عبيدة وقيل هو المكان الذي يأكله الماء فيجرفه أي يذهب به .

(هار) : فيه ثلاثة أقوال : أحدهما وهو المشهور أنه مقلوب بتقديم لامه على عينه وذلك أن أصله هاور أو هاير بالواو أو الياء لأنه سمع فيه الحرفان قالوا هار يهور ويهار ، وهار يهير ، وتهوّر البناء وتهيّر ، فقدمت اللام وهي الراء على العين وهي الواو أو الياء فصار كغاز ورام فأعلّ بالنقص كإعلالهما فوزنه بعد القلب فالع ثم نزله بعد الحذف على فال ، والقول الثاني أنه حذفت عينه اعتباطاً أي لغير موجب وعلى هذا فتجري وجوه الإعراب على لامه فيقال هذا هارٌ ورأيت هاراً ومررت بهارٍ ووزنه أيضاً فال والقول الثالث أنه لا قلب فيه ولا حذف وأن أصله هوراً وهير فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلب ألفاً فتجري وجوه الاعراب أيضاً كالذي قبله كما تقول هذا بابٌ ورأيت باباً ومررت ببابٍ وهذا أعدل الوجوه لاستراحته من ادعاء القلب والحذف اللذين هما على خلاف الأصل ولكنه غير مشهور عند أهل التصريف ومعنى هارٍ متداع وساقط ومنهال .

الاعراب :

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) جملة اعملوا مقول القول والفاء الفصيحة والسين بالنظر للمجازاة لا للعلم لأن العلم حاصل غير متقيد بزمان والله فاعل يرى وعملكم مفعوله ورسوله والمؤمنون معطوفان على الله . (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) عطف على سيرى والى عالم جار ومجرور متعلقان بتردون والغيب مضاف اليه

والشهادة معطوف على الغيب (فينبئكم بما كنتم تعملون) الفاء عاطفة وبما متعلقان بينبئكم وجملة كنتم تعملون صلة ما • (وآخرون مرجون لأمر الله) عطف نسق على ما تقدم أي وآخرون اعترفوا ومرجون صفته ولأمر الله متعلقان بمرجون يعني وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم • (إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم) إما حرف شرط وتفصيل ويعذبهم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به والجملة نصب على الحال أي هم مؤخرون إما معذبين وإما متوباً عليهم وإما هنا للشك بالنسبة للمخاطب وإما للابهام بالنسبة لله تعالى بمعنى أنه تعالى أبهم أمرهم ومصيرهم على المخاطبين ويجوز أن نعرب آخرون مبتدأ ومرجون صفته وجملة إما يعذبهم خبر آخرون وإما يتوب عليهم عطف والله مبتدأ وعليم حكيم خبراه • (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين) لك في الذين وجهان : النصب على الاختصاص بالذم ومثله قوله تعالى « والمقيمين الصلاة » على الاختصاص بالمدح والرفع على الابتداء والخبر محذوف معناه فيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله تعالى « والسارق والسارقة » وهذا الوجه ارتضاه سيبويه وقد تقدم قوله وافياً فيه وتقديره : فيما يتلى عليكم الذين فحذف الخبر وأبقى المبتدأ • والواو استئنافية على كل حال وجملة اتخذوا صلة ومسجداً مفعول به وضراراً مفعول ثان لاتخذوا أو مفعول لأجله أو مفعول مطلق أي يضارون بذلك ضراراً أو حال أي مضارين لإخوانهم ، وكل هذه الأوجه متساوية الرجحان ، وكفراً وتفريقاً عطف على ضراراً وبين ظرف متعلق بتفريقاً • (وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل) وارصاداً عطف أيضاً ولمن حارب الله متعلقان بإرصاداً وجملة حارب الله صلة ومن قبل جار ومجرور متعلقان بحارب • (وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى) اللام واقعة في جواب قسم

مقدر وإن نافية وأردنا فعل وفاعل والجملة جواب القسم وإلا أداة حصر والحسنى مفعول أردنا • (والله يشهد إنهم لكاذبون) الواو عاطفة والله مبتدأ وجملة يشهد خبر وإن وما في حيزها مفعول يشهد وان واسمها واللام المزحلقة وكاذبون خبرها وستأتي قصة مسجد الضرار في باب الفوائد • (لا تقم فيه أبداً) لا ناهية وتقم فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وفيه جار ومجرور متعلقان بتقم وأبداً ظرف متعلق بتقم أيضاً أي لا تصل فيه أبداً • (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) اللام للابتداء ومسجد مبتدأ وجملة أسس على التقوى صفة لمسجد وعلى التقوى جار ومجرور متعلقان بأسس وأحق خبره ومن أول يوم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أو بأسس وأن تقوم مصدر منصوب بنزع الخافض أي بأن تقوم فيه وهو متعلق بأحق وفيه متعلقان بتقوم • (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهّرين) فيه خبر مقدم ورجال مبتدأ مؤخر وجملة يحبون صفة لرجال وان وما في حيزها مفعول يحبون أي يحبون الطهارة من الذنوب والحوبات والمعاصي وقيل من الذنوب طهارة الباطن ومن الأحداث طهارة الظاهر والله مبتدأ وجملة يحب المطهرين خبر (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير) الهمزة للاستفهام التقريري والفاء عاطفة على مقدر أي أبعد ما علم حالهم أفمن أسس بنيانه على تقوى الخ ، ومن مبتدأ وجملة أسس بنيانه صلة وعلى تقوى جار ومجرور متعلقان بأسس ومن الله صفة لتقوى ورضوان عطف على تقوى وخير خبر لمن (أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) أم حرف عطف ومن معطوفة على من الأولى وخبرها محذوف تقديره خير وعلى شفا جرف هار متعلقان بأسس (فانهار به في نار جهنم والله لايهدي القوم الظالمين) الفاء عاطفة وانهار عطف على أسس وفاعله إما ضمير البنيان وإما ضمير الجرف وهو أولى لأن انهياره يترتب عليه انهيار الشفا والبنيان جميعاً

ولا يلزم من انهيارهما أو انهيار أحدهما انهياره وبه متعلقان بانهار اذا كانت الباء للتعدية وبمحذوف حال إن كانت للمصاحبة وكلاهما جائز والله مبتدأ وجملة لا يهدي القوم الظالمين خبر • (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) بنيانهم اسم لا يزال والذي صفة بنيانهم وجملة بنوا صلة وريبة خبر لا يزال وفي قلوبهم صفة لريبة • (إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) استثناء من أعم الأزمنة فالمستثنى منه على هذا محذوف أي لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت من الأوقات إلا وقت تقطيع قلوبهم وأن مصدرية وتقطع أصلها تتقطع منصوب بها وقلوبهم فاعل والله مبتدأ وعليم حكيم خبراه •

البلاغة :

اشتملت هذه الآيات على فنون من البلاغة ندرجها فيما يلي :

١ ــ فن الترديد وهو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يردها بعينها ويعلقها بمعنى آخر كقوله تعالى « ولكن أكثر الناس لايعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحياة » فيعلمون الأولى منفية والثانية مثبتة ولكل من المعنيين مناسبة اقتضت ذلك المعنى وقوله الذي نحن بصدده « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا » ففيه الاولى متعلقة بتقوم وفيه الثانية خبر مقدم ولكل منهما معنى •

ومن أمثلة الترديد في الشعر بيت ورد في أبيات قالها سيف الدولة وذلك انه كانت له جارية من بنات الروم لا يرى الدنيا إلا بها ويشفق عليها من الريح الهابة فحسدتها سائر حظاياه على لطف محلها منه وأزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره وبلغ سيف الدولة ذلك فأمر بنقلها الى بعض الحصون احتياطاً على روحها وقال في ذلك :

راقبتني العيون فيك فأشفقت ولم أخل قط من إشفاق
ورأيت العذول يحسدني فيك مجداً يا أنفس الأعلاق
فتمنيت أن تكوني بعيداً والذي بيننا من الود باق
رب هجر يكون من خوف هجر وفراق يكون خوف فراق

٢ ـ الاستعارة : في قوله تعالى « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله » أي على قاعدة راسخة ثابتة وطيدة هي التقوى من الله فشبه التقوى والرضوان بقاعدة يعتمد عليها البناء تشبيهاً مضمراً في النفس ، وأسس بنيانه تخييل على قاعدة الاستعارة التصريحية .

٣ ـ الاستعارة التمثيلية في انهيار البناء القائم على شفا جرف هار . شبّه عدم القيام بأمور الدين بمن بني بنيانه على شفا فهو يسقط به فالمشبه به البناء على محل آيل للسقوط والمشبه هو ترتيب أحكام الدين وأعماله على الكفر والنفاق .

الفوائد :

قصة مسجد الضرار :

روى التاريخ أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم أخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجداً ونرسل الى رسول الله يصلي فيه ، ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم وهو الذي سماه رسول الله الفاسق وقال لرسول الله يوم أحد : لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم ،

فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هارباً الى الشام وأرسل الى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمداً وأصحابه من المدينة فبنوا مسجداً بجنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجداً لذوي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال النبي : إني على جناح سفر وحال شغل وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشياً فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام بقنسرين •

* إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

الاعراب :

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) جملة مستأنفة مسوقة لترغيب المؤمنين بالجهاد وذلك ببيان فضيلته وما يترتب على الاستشهاد في سبيل الله وإن واسمها وجملة اشترى خبرها ومن المؤمنين جار ومجرور متعلقان باشترى وأنفسهم مفعول به وأموالهم عطف على أنفسهم • (بأن لهم الجنة) الباء ومدخولها متعلقة باشترى وسيأتي المزيد من حقيقة هذه الشروى في البلاغة ولهم خبر ان المقدم والجنة اسمها المؤخر • (يقاتلون في سبيل الله) جملة مستأنفة لا لبيان نفس الاشتراء لأن قتالهم في سبيل الله ليس باشتراء من الله أنفسهم وأموالهم بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كأنه قيل كيف يبيعونها بالجنة فقيل يقاتلون، وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بيقاتلون • (فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن) الفاء عاطفة ويقتلون بالبناء للمعلوم ويقتلون بالبناء للمجهول معطوفان على يقاتلون ووعداً وحقاً مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف أي وعدهم وعداً وحق ذلك الوعد حقاً وفي التوراة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لوعداً أي وعداً كائناً ومذكوراً في التوراة ويجوز أن يعلق باشتروا ، والانجيل والقرآن معطوفان على التوراة • (ومن أوفى بعهده من الله) الواو استئنافية أو عاطفة ومن اسم استفهام مبتدأ وأوفى خبره وبعهده ومن الله متعلقان بأوفى • (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) الفاء الفصيحة واستبشروا فعل أمر وفاعل وببيعكم جار ومجرور متعلقان باستبشروا والذي صفة وبايعتم به صلة وذلك مبتدأ وهو ضمير فصل أو مبتدأ ثان والفوز خبر ذلك أو خبر هو والعظيم صفة • (التائبون العابدون

الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) أخبار لمبتدأ محذوف أي هم التائبون العابدون الخ أي على المدح وجوز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي التائبون العابدون من أهل الجنة أيضاً وان لم يجاهدوا وقيل هو رفع على البدل من الواو في يقاتلون وحاصل ما ذكر أوصاف تسعة : الستة الاولى تتعلق بمعاملة الخالق والسابع والثامن يتعلق بمعاملة المخلوقين والتاسع يعم القبيلين . وبشر المؤمنين الواو عاطفة وبشر فعل أمر وفاعل مستتر والمؤمنين مفعول به .

البلاغة :

انطوت هذه الآيات على أنواع من البلاغة نوردها فيما يلي :

١ ـ الاستعارة المكنية التبعية في قوله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » فقد استعار الشراء لقبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله وإثابته إياهم بمقابلتها بالجنة ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم وجعل الثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة .

٢ ـ الالتفات بقوله « فاستبشروا » زيادة في سرورهم والفاء الفصيحة لترتيب الأمر به على ما قبله وجعله بمثابة الشرط له والسين ليست للطلب بل للمطاوعة كاستوقد .

٣ ـ التذييل وهو أن يذيل المتكلم كلامه بعد تمام معناه بجملة تحقق ما قبلها وتلك الزيادة على ضربين :

آ ــ ضرب لا يزيد على المعنى الأول وإنما يؤكده ويحققه •

ب ــ وضرب يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليشتهر المعنى لكثرة دورانه على الألسنة وقد جاء في هذه الآية الكريمة الضربان :

آ ــ قوله : « وعداً عليه حقاً » فإن الكلام قد تم وكمل قبل ذلك ثم أتت جملة التذييل لتحقق ما قبلها وتؤكده •

ب ــ قوله : « ومن أوفى بعهده من الله » مخرجاً ذلك مخرج المثل فسبحان المتكلم بمثل هذا الكلام •

الفوائـد :

١ ــ واو الثمانية : عـدّد الله تسعة أوصاف ولم ينسقها بالواو حتى إذا كان الثامن أدخل الواو وذلك لسر في كلامهم وهو أن للعرب واواً سموها واو الثمانية وهي تدخل على ما كان ثامناً ، كذا قرر بعض العلماء ورد عليهم آخرون وأكثروا وأطالوا ولما كان الكلام في هـذا الصدد لا يخلو من متعة وفائدة نرى من الأولى تلخيصه بما يلي :

استدل المثبتون لهذه الواو بقوله تعالى « وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها » فأتى بالواو هنا ولم يأت بها في ذكر جهنم لأن للنار سبعة أبواب وللجنة ثمانية ، وفي قوله تعالى « ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم » وقد منع بعض المحققين هـذا وقال : إنما تقع بين المتضادين لأن الثيّبات غير الأبكار في قوله تعالى « ثيبات وأبكاراً » ولأن الآمرين ضد الناهين في الآية التي نحن بصدد الحديث عنها • قال أبو حيان : والصفات اذا تكررت وكانت للمدح أو الذم أو الترّحم جاز فيها الاتباع للمنعوت والقطع في كلّها أو بعضها، واذا تباين ما بين الوصفين جاز العطف ، ولما كان الامر مبايناً للنهي ،

اذ الأمر طلب فعل ، والنهي ترك فعل ، حسن العطف في قوله والناهون ، ودعوى الزيادة أو واو الثمانة ضعيف وقال في قصة أهل الكهف : إنه إنما أتى بالواو مع الثمانية لأن القول الثالث أقرب الى الحق أو هو الحق لأنه قال في القولين «رجماً بالغيب» وفي الثالث قال:«قل ربي أعلم بعدتهم» وقال في قصة أهل الجنة واثبت الواو لأن أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها زيادة في الضيق على من بها وأما أبواب الجنة فتفتح لأهلها قبل دخولهم اليها إكراماً لهم لقوله تعالى « جنات عدن مفتحة لهم الأبواب » قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله : ان القاضي الفاضل كان يعتقد زيادة الواو في هذه الآية يعني « ثيبات وأبكاراً » ويقول هي واو الثمانية الى أن ذكر ذلك بحضرة الشيخ أبي الجود المقري فبين له أنه وهم وأن الضرورة تدعو الى دخولها هنا وإلا فسد المعنى بخلاف واو الثمانية فإنه يؤتى بها لا لحاجة فقال : أرشدتنا يا أبا الجود .

نقول وممن اعترف بواو الثمانية الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير وقال : إن الواو في قوله تعالى « وثامنهم كلبهم » هي واو الثمانية .

وسيأتي مزيد بحث عنها عند الكلام على هذه الآيات في مواضعها .

السائحون :

اختلف العلماء في الصفة الثالثة وهي السائحون وأصح الأقوال انهم الصائمون شبّهوا بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يطلبونه في مظانه ويضربون في مناكب الأرض لتحصيله وفي القاموس : والسياحة بالكسر الذهاب في الأرض للعبادة ومنه المسيح بن مريم . والسائح الصائم الملازم للسياحة .

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا أُولِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

اللغـــة :

(الأواه) فعال من أوه كلآل من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه أنه لفرط حبه لأبيه وترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه هذا ما قاله الزمخشري وقد استدرك عليه أبو حيان فقال : « وتشبيه أواه من أوه بلال من اللؤلؤ ليس بجيد لأن مادة أوه موجودة في صورة أواه ومادة لؤلؤ مفقودة في لآل لاختلاف التركيب إذ لآل ثلاثي ولؤلؤ رباعي وشرط الاشتقاق التوافق في الحروف الأصلية » . وفي المختار وقد أوّه الرجل تأويهاً وتأوه تأوهاً إذا قال أوّه . وجميل قول الزجاج وننقله بنصه : « قال

أبو عبيدة هو المتأوه شفقاً وفرقاً ، المتضرّع يقيناً ولزوماً للطاعة وقد انتظم في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الأواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت يتنفس الصعداء » وقيل الكلمة حبشية ومعناها الموقن قال ابن النقيب في كتابه خصائص القرآن : « إن القرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير » وستترد معنا الألفاظ غير العربية التي فطن الأقدمون لها عند الكلام على لغة القرآن .

الاعراب :

(ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) ما نافية وكان فعل ماض ناقص وللنبي خبر كان المقدم والذين عطف على النبي وجملة آمنوا صلة وان وما في حيزها اسم كان المؤخر ويستغفروا فعل مضارع منصوب بأن وللمشركين جار ومجرور متعلقان بيستغفروا (ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم) الواو حالية ولو وصلية وكانوا كان واسمها وأولي خبرها وقربى مضاف اليه ومن بعد متعلقان بما في النفي من معنى الفعل أي انتفى الاستغفار من بعد ، وما مصدرية وهي وما في حيزها مضافة لبعد أي من بعد تبيان ولهم جار ومجرور متعلقان بتبين وأنهم أن وما في حيزها فاعل تبين وأصحاب الجحيم خبر أن . (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما سبق ودعمه بشواهد وقرائن ودفع ما يرد من ايهام بحسب ما يبدو في الظاهر بالمخالفة ، وكان واسمها وابراهيم مضاف اليه ولأبيه جار ومجرور متعلقان باستغفار وإلا أداة حصر وعن موعدة خبر كان فالاستثناء

مفرّغ من أعم العلل أي لم يكن استغفار ابراهيم لأبيه ناشئاً إلا عن موعدة وعدها إياه أي لأجلها . (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) الفاء عاطفة ولما حينية أو رابطة وله متعلقان بتبين وأن وما في حيزها فاعل تبين وجملة تبرأ منه لا محل لها لأنها جواب لما وإن واسمها واللام المزحلقة وأواه خبر إن الاول وحليم خبرها الثاني (وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم) الواو عاطفة وما نافية وكان واسمها واللام للجحود ويضل منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود وهي مع مدخولها خبر كان وقد تقدمت كثيراً وقوماً مفعول به وبعد ظرف متعلق بيضل وهو مضاف والظرف إذ مضاف اليه وجملة هداهم مضاف اليها الظرف وقد تقدم القول فيه في آل عمـران ان فيه وجهين أحدهما أن « إذ » بمعنى « أن » والثاني أنها ظرف بمعنى وقت أي بعد أن هداهم أو بعد وقت هدايتهم . (حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم) حتى حرف غاية وجر ويبين فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ولهم جار ومجرور متعلقان بيبين وما مفعول به وجملة يتقون صلة وان واسمها وخبرها وبكل شيء متعلقان بعليم . (إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت) إن واسمها وله خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر وجملة يحيي خبر ثان لإن والخبر الأول جملة له ملك السموات ويميت عطف على يحيي (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) الواو عاطفة وما نافية ولكم خبر مقدم ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ومن زائدة وولي مبتدأ مؤخر محلاً ولا نصير عطف على من ولي .

لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ

إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

الاعراب :

(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة) سيأتي في باب الفوائد معنى توبة الله على النبي والجملة استئنافية مسوقة لبيان التوبة وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج اليها واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وتاب الله فعل وفاعل وعلى النبي جار ومجرور متعلقان بتاب والمهاجرين والانصار عطف على النبي والذين نعت وجملة اتبعوه صلة الموصول وفي ساعة العسرة جار ومجرور متعلقان باتبعوه وسيأتي ذكر ساعة العسرة في باب الفوائد . (من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم) من بعد متعلقان بمحذوف حال لبيان الشدة وبلوغها الحد الاقصى واسم كاد ضمير الشأن وجملة يزيغ خبر وقلوب فاعل وفريق مضاف اليه ومنهم صفة . (ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم) ثم حرف عطف للتراخي وتاب عطف على تاب الأولى وفائدة التكرير التنبيه على انه تاب عليهم لما كابدوه في ساعة العسرة وإنه إن واسمها وبهم متعلقان برءوف ورءوف رحيم خبران لإن . (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) وعلى الثلاثة عطف على ما تقدم والمراد بهم

كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، والذين صفة وجملة خلفوا صلة وخلفوا بالبناء للمجهول والواو نائب فاعل أي عن الغزو . (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم) حتى حرف غاية واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة ضاقت مضاف اليها وعليهم جار ومجرور متعلقان بضاقت والأرض فاعل وبما رحبت أي برحبها فالباء حرف جر للمصاحبة وما مصدرية ومعنى الباء هنا المصاحبة وعلامتها أن يصح حلول « مع » محلها أو أن يغني عنها وعن مصحوبها الحال وهنا تصح فيها « مع » أي مع رحبها أما مثال مايغني عنها وعن مصحوبها الحال فقوله تعالى « وقد دخلوا بالكفر » أي كافرين وعلى كل هي ومصحوبها في محل نصب على الحال أي حالة كونها رحيبة وضاقت عليهم أنفسهم عطف على ما تقدم وهو مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون مكاناً يقرون فيه (وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا اليه) وظنوا عطف على ضاقت والظن هنا بمعنى اليقين وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف ولا نافية للجنس وملجأ اسمها ومن الله خبرها وإلا أداة حصر واليه جار ومجرور متعلقان بملجأ . (ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) ثم حرف عطف وتاب فعل ماض وعليهم جار ومجرور متعلقان بتاب وليتوبوا اللام قيل هي للتعليل أي وفقهم للتوبة ليحصلوا عليها وينشئوها فحصلت المغايرة وصح التعليل وأرى أنه لا مانع من أن تكون لام العاقبة أو الصيرورة أي فكانت عاقبتهم التوبة ، وان واسمها وهو مبتدأ أو ضمير فصل والتواب الرحيم خبران لإن أو هو .

الفوائد :

١ ـ تنطوي هاتان الآيتان على كثير من الفوائد وقبل الشروع فيها تتحدث عن إشكال ورد فيها وهو جواب إذا وعطف « ثم تاب

عليهم » وقد أجاب العلماء عن ذلك بجوابين أولهما أن تكون إذا زائدة فلا تحتاج الى جواب ويستقيم المعنى والثاني أن تكون ثم زائدة فتكون جملة تاب عليهم هي الجواب ولا يمكن حل الإشكال إلا بافتراض زيادة احداهما وممن قال بزيادة «ثم» زكريا في حاشيته على البيضاوي ، أو غيره فاختاروا زيادة اذا .

وهذا ما قاله أبو حيان : « وجاءت هذه الجمل في كنف إذا في غاية الحسن والترتيب فذكر أولاً ضيق الأرض عليهم وهو كناية عن استيحاشهم ونبوة الناس عن كلامهم وثانياً وضاقت عليهم أنفسهم وهو كناية عن تواتر الهم والغم على قلوبهم حتى لم يكن فيها شيء من الانشراح والاتساع فذكر أولا ضيق المحل ثم ثانياً ضيق الحال فيه لأنه قد يضيق المحل وتكون النفس منشرحة « سم الخياط مع الأحباب ميدان » ثم ثالثاً لما يئسوا من الخلق عذقوا أمورهم بالله وانقطعوا اليه وعلموا انه لا يخلص من الشدة ولا يفرجها إلا هو تعالى « ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون » وإذا إن كانت شرطية فجوابها محذوف تقديره تاب عليهم ويكون قوله ثم تاب عليهم نظير قوله ثم تاب عليهم بعد قوله «لقد تاب الله على النبي» الآية ودعوى أن ثم زائدة وجواب إذا ما بعد ثم بعيد جداً وغير ثابت من لسان العرب زيادة ثم ومن زعم أن إذا بعد حتى قد تجرد من الشرط وتبقى لمجرد الوقت فلا تحتاج الى جواب بل تكون غاية للفعل الذي قبلها وهو قوله خلفوا أي خلفوا الى هذا الوقت ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة أخرى ليستقيموا على توبتهم وينيبوا أو ليتوبوا أيضاً فيما يستقبل إذ فرطت منهم خطيئة علماً منهم أن الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة » .

معنى التوبة :

كما اختلف العلماء في معنى توبة الله على النبي وسنورد أهم الأوجه التي ارتآها أقطاب المفسرين وعلماء اللغة .

أما الزمخشري فنظمها في سلك قوله تعالى « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » وقوله « واستغفر لذنبك » وقال : وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن إلا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي ومن معه من المهاجرين والانصار ، وهذا ما جرينا عليه نحن باعتباره منطقياً ومقيساً .

أما الجلال وشارحو تفسيره فقد ذهبوا الى معنى الديمومة في التوبة أي أدام توبته عليهم وقال الشارحون في تعليقهم على ما ذهب اليه الجلال : « وهذا جواب عما يقال إن النبي معصوم من الذنب وإن المهاجرين والانصار لم يقترفوا ذنباً في هذه القضية فبين أن المراد بالتوبة في حق الجميع دوامها لا أصلها » وهذا الرأي بادي الاضطراب .

أما الخازن فقد ارتأى رأياً كدناً نؤثره حتى على الرأي الأول وهو قوله « ومعنى توبته على النبي عدم مؤاخذته بإذنه للمؤمنين في التخلف عنه في غزوة تبوك وهو كقوله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » فهو من باب ترك الأفضل لا أنه ذنب يوجب عقابا » .

وهناك رأي لا يقل وجاهة عما تقدم عبر عنه أصحاب المعاني بقولهم : وهو كلام للتبرك فهو كقوله تعالى : « فأن لله خمسه » ومعنى هذا أن ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والانصار في ضم

توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله « فأن لله خمسه وللرسول » .

ساعة العسرة :

المراد وقتها لا الساعة الفلكية فالساعة مستعملة في معنى الزمن المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم كقول زفر بن الحارث الكلابي :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة عشية قارعنا جذام وحميرا

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانه أن تكسرا

فالمراد مطلق الوقت لا العشية على حقيقتها وكقول حاتم الطائي :

إذا جاء يوماً وارثي يبتغي الغنى

يجد جمع كف غير ملأى ولاصفر

يجد فرساً مثل العنان وصارماً

حساماً إذا ما هزّ لم يرض بالهبر

وأسمر خطّياً كأن كعوبه

نوى القسب قد أربى ذراعاً على العشر

المراد باليوم مطلق الزمان ، وهكذا غالب استعمال العرب ،

ويلاحظ انه جزم بـ « إذا » تشبيهاً لها بالادوات التي تجزم فعلين وقد نص النحاة على ورودها كقوله :

استغن ما أغناك ربك بالغنى   واذا تصبك خصاصة فتجمل

ولساعة العسرة التي وقعت في غزوة تبوك حوادث نكتفي برواية لعمر بن الخطاب عنها قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقطع وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده وحتى إن الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله قال : أتحب ذلك ؟ فقال الصديق : نعم . فرفع صلى الله عليه وسلم يديه فلم ترجعا حتى قالت السماء فأظلمت ثم سكبت فملئوا ما معهم من الأوعية ثم ذهبنا ننظرها فلم نجدها جاوزت العسكر » ومعنى قالت السماء : مالت وسقطت .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا

يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾

اللغـة :

(مخمصة) : جوع وفي فعله ثلاث لغات فهو خمص بفتح الميم وكسرها وضمها ومصدره خَمْص ومخمصة وهو خميص البطن وهي خميصة البطن وهو خمصان وهي خمصانة وهم خماص وهن خمائص ومن المجاز زمن خميص أي ذو مجاعة قال :

كلوا في بعض بطنكم تعفّوا فإن زمانكـــم زمن خميص

وكل شيء كرهت الدنو منه فقد تخامصت عنه ، قال الشماخ :

تخامص عن برد الوشــاح إذا مشت
تخامُصَ جافي الخيل في الأمعز الوجي

وتخامص الليل : رقت ظلمته عند وقت السحر ، قال الفرزدق :

فما زلت حتى صعدتني حبالها إليها وليلي قد تخامص آخره

(ينالون) : في معاجم اللغة : نال خيراً ينال نيلاً أصاب ، وأصله

نيل ينيل من باب فهم والأمر منـه نل وإذا أخبرت عن نفسك كسرت النون فتقول : نلت وفي المصباح : نال من عـدوه من باب تعب نيلاً بلغ منه مقصوده ومنه قيل نال من امرأته ما أراد .

(وادياً) : الوادي كل منفرج بين جبـال وآكـام يكون منفذاً للسيل وهو في الأصل فاعل من ودى إذا سال ومنه الودي وقد شاع استعمال العرب بمعنى الأرض يقولون : لا تصلّ في وادي غيرك وهو المراد هنا وفي المصباح « وودى الشيء إذا سال ومنه اشتقاق الوادي وهو كل منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذاً للسيل والجمع أودية »، وفي القاموس وغيره : ودى يدي ودْياً ودية القاتـلُ القتيلَ أعطى وليه ديته وودى الأمر قرّبه وودى الشيء سال ومنه اشتقاق الوادي لأن الماء يدي فيه أي يسيل ويجري والجمـع أودية وأوادية وأوداء وأوداه . فما شاع على ألسنة الكتاب من جمعه على وديان خطأ ظاهر .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها كثيراً . (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) اتقوا الله فعل وفاعل ومفعول به وكونوا عطف عـلى اتقوا والواو اسم كان ومع الصادقين متعلقان بمحذوف خبر كونوا ، قالوا أتت بمعنى من أي من الصادقين والذي حملهم على ذلك أنه قرىء شذوذاً « وكونوا من الصادقين » ولا داعي لهذا التكلف لأن بقاء مع على معناها أولى والمعنى : كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهـم وانتظموا في سلكهم . (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) ما نافية وكان فعل ماض ناقص ولأهـل المدينة خبر كان المقـدم ومن عطف على أهـل وحولهم ظرف متعلق

بمحذوف صلة الموصول ومن الأعراب حال وأن وما في حيزها اسم كان المؤخر وعن رسول الله متعلقان بيتخلفوا (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه)الواو عاطفة ويرغبوا يجوز فيه النصب على العطف على أن « لا » نافية والجزم على أن « لا » ناهية ، وبأنفسهم متعلقان بيرغبوا والباء للتعدية فقوله رغبت عنه معناه أعرضت عنه والمعنى ولا يجعلوا أنفسهم راغبة عن نفسه ، وعن نفسه حال أي عليهم أن يصحبوه على كل حال ، وفي البأساء والضراء وأن يكابدوا معه الأهوال ويحتملوا المشاق والمكاره وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه فكأنه لم يصن نفسه ولم يربأ بها عندما ناهز الشدائد ، وكابد الأهوال فما أجدرهم بالحذو حذوه واقتفاء آثار خطاه • (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله) ذلك مبتدأ وبأنهم خبر ولا يصيبهم ظمأ فعل مضارع مرفوع ومفعول به وفاعل ولا نصب ولا مخمصة عطف على ظمأ ، وفي سبيل الله حال من الهاء أو صفة لمخمصة • (ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار) ولا يطئون عطف على لايصيبهم وموطئاً إما اسم مكان فيعرب مفعولاً به أي يدوسون مكاناً وإما ظرف فيعرب مفعولاً مطلقاً وجملة يغيظ الكفار صفة لموطئاً. (ولا ينالون من عدو نيلاً) عطف على ما تقدم ومن عدو جار ومجرور متعلقان بينالون (إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين) إلا أداة حصر وجملة كتب في موضع نصب على الحال فالاستثناء مفرغ من أعم الأحوال وكتب فعل ماض مبني للمجهول ولهم جار ومجرور متعلقان بكتب وكذلك به وعمل نائب فاعل وصالح نعت وإن واسمها وجملة لا يضيع أجر المحسنين خبر إن (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) عطف على لا ينالون ونفقة مفعول به أي ولو تمرة فما فوق • (ولا يقطعون وادياً) عطف على ما تقدم • (إلا كتب

لهم) الجملة استثنائية من أعم الأحوال كما تقدم ونائب الفاعل محذوف لأنه سبق ذكره أي عمل صالح . (ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) اللام للتعليل ويجزي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والهاء مفعول به أول والله فاعل وأحسن مفعول به ثان أو مفعول مطلق بمعنى أي يجزيهم أحسن جزاء ، وما موصول مضاف لأحسن وكان واسمها وجملة يعملون خبرها .

* وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾

اللغـــة :

(يلونكم) يقربون منكم وفي المصباح : « الوَلْي مثل فلس : القرب وفي الفعل لغتان أكثرهما وليه يليه بكسرتين والثانية من باب وعد وهي قليلة الاستعمال وجلست مما يليه أي يقاربه » وكأن الآيـة جاءت على اللغة الثانية وأصله يليون بوزن يعدون فنقلت ضمة الياء الى اللام بعد سلب حركتها ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع الواو .

الاعراب :

(وما كان المؤمنون لينفروا كافة) الواو عاطفة ليتناسق الكلام فإنهم لما وبخوا بقوله تعالى : « ما كان لأهل المدينة الخ » وأرسل النبي سرية نفروا جميعاً فنزل « وما كان المؤمنون الخ » وما نافية وكان فعل ماض ناقص والمؤمنون اسمها ولينفروا اللام للجحود أي لتأكيد النفي وينفروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعـد لام الجحود واللام ومدخولها خبر كان وكافة حال . (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) الفاء الفصيحة ولولا حرف تحضيض أي هلاّ ونفر فعل ماض ومن كل فرقة جار ومجرور متعلقان بنفر ومنهـم حال لأنه كان في الأصل صفة لطائفة وليتفقهوا اللام للتعليل ويتفقهوا منصوب بأن مضمرة وفي الـدين جار ومجرور متعلقان بيتفقهوا فالمعنى عـلى الطلب كأنه قال لتخرج طائفة وتبقى أخرى . (ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) ولينذروا عطف على ليتفقهوا والواو فاعل وقومهم مفعول به وإذا رجعوا جملة رجعوا مضاف اليها وإليهم جار ومجرور متعلقـان برجعوا ولعل واسمها وجملة يحـذرون خبرها .

(يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار)قاتلوا فعل أمر وفاعل والذين مفعول به وجملة يلونكم صفة ومن الكفار حال • (وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين) الواو عاطفة واللام لام الأمر ويجدوا فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والواو فاعل وفيكم جار ومجرور متعلقان بيجدوا وغلظة مفعول به واعلموا عطف على الأمر السابق وان وما فيحيزها سدت مسد مفعولي اعلموا وان واسمها ومع المتقين ظرف متعلق بمحذوف خبرها • (وإذا ما أنزلت سورة) الواو استئنافية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وما زائدة وجملة أنزلت مضاف اليها وسورة نائب فاعل • (فمنهم من يقول : أيكم زادته هذه إيماناً) الفاء رابطة ومنهم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وهي اسم موصول أو نكرة تامة موصوفة بجملة يقول أي فريق يقول ولعلها أولىوجملة يقول صلةوأيكم مبتدأ وجملة زادته خبروالهاء مفعول به وهذه فاعل وإيماناً مفعول به ثان • (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون) الفاء تفريعية وأما حرف شرط وتفصيل والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة والفاء رابطة وزادتهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به والجملة فيمحل رفع خبرالذين وإيماناًمفعول به ثانأو تمييز• (وأماالذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم) وأما عطف على أما الأولى والذين مبتدأ وفي قلوبهم خبر مقدم ومرض مبتدأ مؤخر والجملة صلة فزادتهم الفاء رابطة وجملة زادتهم خبر الذين ورجساً مفعول به ثان والى رجسهم صفة أي مضموماً الى رجسهم • (وماتوا وهم كافرون) عطفعلى زادتهم والواو للحال وجملة كافرون من المبتدأ والخبر حالية • (أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والواو عاطفة على مقدر ويرون فعل مضارع وفاعل وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي فعل الرؤية

القلبي وجملة يفتنون خبر ان وفي كل عام متعلقان بيفتنون ومرة ظرف متعلق بيفتنون وأو حرف عطف ومرتين عطف على مرةه (ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) ثم حرف عطف وتراخ وجملة لا يتوبون عطف على يفتنون والواو حرف عطف وهم مبتدأ وجملة يذكرون خبر •

الفوائـد :

١ ـ وجوب القتال :

قال المفسرون وعلماء الفقه : يتعين القتال على أحد فريقين : إما من نزل بهم عدو وفيهم قوة عليه ثم على من قرب منهم حتى يكتفوا ، وإذا أوجب الله على هذه الأمة القتال وإزعاج العدو من دياره واخراجه من أرضه وقراره فوجوبه ـ وقد نزل العـدو بدار الاسلام واحتل أماكنهم المقدسة وانتهك حرماتها وعاث فيها فساداً ـ أجدر •

٢ ـ مصدر بالحركات الثلاث :

الغلظة أصلها في الإجرام ثم استعيرت للشدة والصبر والجلادة في القتال ومن عجيب هذا المصدر أنه قرىء بالحركات الثلاث فهو الغلظة بالكسر وهي لغة أسد والغلظة بالفتح وهي لغة أهل الحجاز والغلظة بالضم وهي لغة تميم ويقال غلظ يغلظ من بابي تعب وظرف والمصدر غلظ بكسر الغين وغلظه وغلظة وغلظه بالحركات الثلاث كما تقدم وغلاظة بالكسر خلاف دق أو رق أو لان •

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

اللغة :

(عزيز) : شديد ٠

(العنت) : المشقة واللقاء المكروه ٠

الاعراب :

(وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) عطف على ما تقدم وجملة نظر بعضهم جواب إذا لا محل لها وإلى بعض جار ومجرور متعلقان بنظر أي تغامزوا بالعيون من غيظهم ٠ (هل يراكم من أحد) الجملة في محل نصب مقول قول محذوف أي قائلين وجملة القول نصب على الحال ويراكم فعل مضارع ومفعول به ومن زائدة وأحد فاعل محلاً ٠ (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون)

ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم وجملة صرف الله قلوبهم يصح أن تكون إخبارية حالية ويصح أن تكون إنشائية دعائية فتكون لا محل لها وبأنهم متعلقان بصرف والباء للسببية وأن واسمها وجملة لا يفقهون خبرها • (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) اللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وجاءكم رسول فعل ومفعول به وفاعل ومن أنفسكم صفة أي من جنسكم ومن نسبكم عربي مثلكم • (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) عزيز صفة ثانية لرسول وفي النحاة من يمنع تقدم الوصف غير الصريح على الوصف الصريح ويمكن أن يجاب بأن « من أنفسكم » جار ومجرور متعلقان بجاءكم وعليه متعلقان بعزيز وما مصدرية أو موصولة وعلى كلا التقديرين فهي ومدخولها أي هي وصلتها فاعل عزيز الذي هو صفة مشبهة ويجوز أن يكون عزيز خبراً مقدماً ، وما عنتم في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر والجملة صفة لرسول وحريص صفة ثالثة أو ثانية وعليكم جار ومجرور متعلقان بحريص وبالمؤمنين متعلقان برءوف ورءوف رحيم صفتان رابعة وخامسة أو ثالثة ورابعة لرسول • (فإن تولوا فقل حسبي الله) الفاء عاطفة وتولوا فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة وحسبي الله خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة مقول القول • (لا إله إلا هو) تقدم إعرابها مستوفى فجدد به عهداً والجملة حالية • (عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) عليه جار ومجرور متعلقان بتوكلت وهو مبتدأ ورب العرش خبر والعظيم صفة للعرش •

سورة يونس
مكية وآياتها تسع ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (٢) إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤)

اللغة :

(الر) : تقدم القول فيها مفصلاً فجدد به عهداً .

(الآية): العلامة التي تنبىء عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة.
(الحكيم) : ها هنا بمعنى المحكم فعيل بمعنى مفعل قال الأعشى:

وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال : من ذا قالها ؟

وقيل الحكيم بمعنى الحاكم ودليله قوله تعالى « ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » وسيأتي القول في باب الفوائد عن الحكمة وشيوعها في القرآن .

(قدم صدق) : القدم بفتحتين الشيء الذي تقدمه أمامك ليكون لك عدة حتى تقدم عليه وقال أبو عبيدة والكسائي : كل سابق خير أو شر فهو عند العرب قدم وهو مؤنث ، يقال قدم حسنة ، قال حسان ابن ثابت :

لنا القدم العليا إليك وخلفنا لأولنا في طاعة الله تابع

وقال ذو الرمة :

لكم قدم لا ينكر الناس أنها مع الحسب العادي طمت على البحر

وسيأتي في باب البلاغة المزيد من بحثها .

(القسط) العدل وهي بكسر القاف ومنه القسط أي النصيب ، والقسط بفتح القاف الجور ، والسين اعوجاج في الرجلين .

(الحميم) : الماء الذي أسخن بالنار أشد اسخان ، قال المرقش الأصغر :

في كل يوم لها مقطّرة فيها كباء معد وحميم

الاعراب :

(الر ، تلك آيات الكتاب الحكيم) الر تقدم إعرابها في سورة البقرة فجدد به عهداً وتلك مبتدأ وآيات الكتاب خبر والحكيم صفة للكتاب • (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم) الهمزة للاستفهام الإنكاري المشوب بالتعجب وكان فعل ماض ناقص وللناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه تقدم على الصفة وعجباً خبر كان مقدم وأن أوحينا مصدر في محل رفع اسم كان والى رجل جار ومجرور متعلقان بأوحينا ومنهم صفة لرجل • (أن أنذر الناس) أن مفسرة وهي الواقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه أو مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة أنذر الناس مقول قول محذوف هو في محل رفع خبر إن على معنى أن الشأن قولنا أنذر الناس • (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) وبشر معطوف على أنذر والذين مفعول به وجملة آمنوا صلة وأن حرف مشبه بالفعل وهي وما في حيزها نصب بنزع الخافض أي بأن ، ولهم خبرها المقدم وقدم صدق اسمها المؤخر وعند ربهم الظرف متعلق بمحذوف صفة لقدم صدق • (قال الكافرون : إن هذا لساحر مبين) الجملة مستأنفة كأنه قيل : ماذا صنعوا بعد التعجب ، وقال الكافرون فعل وفاعل وإن واسمها وخبرها واللام المزحلقة ومبين صفة لساحر والجملة مقول القول (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) إن واسمها وخبرها والذي صفة لله وجملة خلق السموات والأرض صلة وفي ستة أيام متعلقان بخلق • (ثم استوى على العرش يدبر الأمر) ثم حرف عطف وتراخ واستوى عطف على خلق وعلى العرش جار ومجرور متعلقان باستوى وجملة يدبر الأمر خبر ثان لإن ويجوز أن تكون حالية ويجوز

أن تكون مستأنفة لا محل لها من الاعراب. (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) ما نافية حجازية ومن زائدة وشفيع مجرور لفظاً اسم ما محلاً وإلا أداة حصر ومن بعد إذنه متعلقان بمحذوف خبر. (ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون) ذلكم مبتدأ والله بدل وربكم خبر ذلكم والفاء الفصيحة واعبدوه فعل أمر وفاعل ومفعول به والهمزة للاستفهام الانكاري المراد به الحث على التفكر والتذكر والفاء عاطفة على محذوف ولا نافية وتذكرون فعل مضارع أصله تتذكرون. (إليه مرجعكم جميعاً) إليه خبر مقدم ومرجعكم مبتدأ مؤخر وجميعاً نصب على الحال (وعد الله حقاً) وعد الله منصوب على المصدر لأن قوله إليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع وحقاً منصوب على المصدرية والتقدير حق ذلك حقاً. (إنه يبدأ الخلق ثم يعيده) ان واسمها وجملة يبدأ خبرها والخلق مفعول به ثم يعيده عطف على يبدأ الخلق والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل وجود الخلق ومرجعهم إليه (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) اللام للتعليل ويجزي مضارع منصوب بأن مضمرة والذين مفعول يجزي وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا وبالقسط جار ومجرور متلعقان بيجزي أي بسبب قسطهم وعدلهم ويجوز أن يكون حالاً إما من الفاعل وإما من المفعول أي يجزيهم ملتبساً بالقسط أي عادلاً أو ملتبسين به. (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) والذين مبتدأ وجملة كفروا صلة ولهم خبر مقدم وشراب مبتدأ مؤخر ومن حميم صفة لشراب وعذاب عطف على شراب وجملة لهم شراب خبر الذين وأليم صفة لعذاب وبما الباء حرف جر سببية وما مصدرية وكانوا كان واسمها وجملة يكفرون خبرها أي بسبب كفرهم والجار والمجرور صفة ثانية لعذاب ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، أي ذلك بسبب كفرهم.

البلاغـة :

١ ـ المجاز المرسل في قوله : « أن لهم قدم صدق » فقد أطلق لفظ القدم على السعي والسبق لأنهما لا يحصلان إلا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يداً لأنها تعطى باليد فالعلاقة هنا السببية وقد تقدم بحثه ، ونزيد هنا ان المجاز لا يكون مطرداً فلا يصح أن يقال قدم سوء ، وهذه خاصة عجيبة من خصائص المجاز يكاد الحكم فيها مرده الى الذوق .

٢ ـ المناسبة اللفظية بين حميم وأليم والمناسبة ضربان : مناسبة في المعاني ومناسبة في الألفاظ وقد مر ذكر المناسبة المعنوية في الأنعام ، أما هنا فالمناسبة لفظية وهي عبارة عن الإتيان بلفظات متزنات مقفاة وغير مقفاة فهو تام وناقص وقد وقعت الناقصة في الكلام الفصيح أكثر لأن التقفية غير لازمة فيها .

الفوائـد :

١ ـ الحكمة في القرآن :

شاعت لفظة الحكمة في القرآن ووصف القرآن بالحكيم وقد مر معنا الكثير من ذلك وسيمر أكثر منه ، وسنجد لفظ الكتاب مقترناً بلفظ الحكمة معطوفة عليه . قال تعالى « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة » ويرى الأستاذ مصطفى عبد الرزاق في أبحاثه عن الفلسفة الاسلامية « إن من الممكن أن تكون كلمة « حكمة » في اللغة العربية مرادفة لكلمة « فلسفة » اليونانية ، وتتبّع هذه الكلمة يهدينا الى أصل

التفكير الممتاز عند العرب ، وقد وجدت الكلمة في الجاهلية والشواهد عليها كثيرة جداً ومعنى الحكمة في القرآن، في أكثر الأحيان ، سنة النبي ولا خلاف في تقرير هذا المعنى ، وقال اللغويون الحكمة والحكم من مادة واحدة ، ويرى بعض المستشرقين أن الكلمة عبرية ومعناها في هذا اللسان : القضاء أي الحكم أيضاً ، والحكمة في معناها العام تدل على السّداد وإتقان الرأي والفعل قال تعالى : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » ، وهذا القول من الوجاهة الى حد كبير وقد سبق الامام الشافعي الى تقرير شيء من ذلك فقال : « إن المقصود بالحكمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم » .

٢ ـ إضافة الموصوف الى الصفة وبالعكس : الأصل أن لا يضاف موصوف الى صفته كرجل فاضل ولا تضاف صفة لموصوفها كفاضل رجل وما ورد من ذلك يؤول كقوله تعالى « قدم صدق » ومسجد الجامع وصلاة الأولى وحب الحصيد وحبة الحمقاء وتأويله أن يقدر موصوف أضيف اليه المضاف المذكور والتقدير في هذه الأمثلة قدم سعي صدق ، ومسجد المكان الجامع ، وصلاة الساعة الأولى ، وحبة البقلة الحمقاء ، وإنما وصفوها بالحمق لأنها تنبت في مجاري السيول فيمر السيل بها فيقطعها فتطؤها الأقدام ، ومن أمثلة اضافة الصفة الى موصوفها قولهم جرد قطيفة بفتح الجيم وسكون الراء وفتح القاف وكسر الطاء ، وسحق عمامة بفتح السين وسكون الحاء وكسر العين وتأويله أن يقدر موصوف أيضاً ويقدر إضافة الصفة الى جنسها ويجر جنسها بمن لأن الاضافة بمعنى من أي شيء جرد من نفس القطيفة وشيء سحق من جنس العمامة فشيء موصوف وجرداً وسحق صفته والصفة فيهما مضافة الى جنسها معنى .

٣ ــ ابن هشام وتعليق « للناس » : وأجاز ابن هشام أن يتعلق قوله « للناس » بكان في بحثه المتعلق بالتعليق بالفعل الناقص قال :

« هل يتعلقان بالفعل الناقص ؟ من زعم أنه لا يدل على الحدث منع من ذلك وهم المبرد فالفارسي فابن جني فالجرجاني فابن برهان ثم الشلوبين ، والصحيح أنها كلها دالة عليه إلا ليس » أي فـ « كان » تدل على حدث وهو كون مطلق والمقيد له خبرها فمعنى كان زيـد : حصل زيد ، وقولك قائماً أفاد أن المراد حصول قيام زيد وتدل أيضاً على زمن خاص وهو الزمن الماضي وأما خبرها وهو قائم فيـدل عـلى زمن مطلق فيقيد ويعين بالزمن في كان أو يكون فتحصل ان « كان » تدل على حدث مطلق يقيد بالخبر والخبر يدل عـلى زمن مطلق يقيد بالزمن المستفاد من كان فتعاوضا وأما بقية الأفعال كـ « صار » الدالة على الانتقال و « أصبح » الدالة على الدخول في الصباح الخ فدلالتها على حدث لا يدل عليه الخبر في غاية الظهور وقد استدل على بطـلان القول بأنها لا تدل على الحدث بأمور منها : أن الأصل في الفعل الدلالة على الحدث والزمان إذ الدال على الحدث وحده مصدر وعلى الزمان وحده اسم زمان ولا يخرج الفعـل عن أصله إلا بدليل ، ومنها : أن الأفعال المتساوية في الزمان إنما تمتاز بالأحداث فإذا زال مابه الافتراق وبقي ما به التساوي فلا فرق بين كان زيد غنياً وصار زيد غنياً والفرق حاصل فبطل ما يوجب خلافه ، ومنها : أنه لو كان معناها الزمن لجاز أن ينعقد جملة تامة من بعضها ومن اسم معنى كما ينعقد منه ومن اسم زمان ثم قال ابن هشام :

« واستدل لمثبتي ذلك التعلق بقوله تعالى : « أكان للناس عجباً أن أوحينا » فإن اللام لا تتعلق بعجباً لأنه مصدر مؤخر ولا بأوحينا

لفساد المعنى ولأنه صلة لأن ، ويجوز أيضاً أن تكون متعلقة بمحذوف هو حال من عجباً على حد قوله :

لمية موحشا طلـــل يلوح كأنه خلـــل

وعبارة ابن يعيش : « فقوله للناس متعلق بكان وذلك انه لا يخلو إما أن يكون متعلقـاً بعجباً أو بأوحينا أو بكان فلا يجوز أن يتعلق بعجباً نفسها لأنه مصدر ومعموله من صلته فلا يتقدم عليه ولا يكون صفة لعجباً على أنه يتعلق بمحذوف لتقدمه عليه والصفة لا تتقـدم على الموصوف ولا يجوز أن يتعلق بأوحينا لأنه في صلته ولا يجوز تقديمه عليه وإذا بطل تعلقه بما ذكرنا تعين أن يكون متعلقاً بكان نفسها تعلق الظرف بالفعل » .

ولا أدري كيف منع ابن يعيش تقديم الصفة على الموصوف وقد أجمع النحـاة على أنها إذا تقدمت عليه أعربت حالاً وأنشدوا البيت الآنف الذكر .

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

اللغــــة :

(الضياء) : يجوز أن يكون جمع ضوء كسوط وسياط وحوض وحياض ويجوز أن يكون مصدر ضاء يضوء ضياء وضوءاً مثل عاذ يعوذ عياذاً وعوذاً وعلى أي الوجهين فالمضاف محذوف وتقديره جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور ويكون جعل الضياء والنور لكثرة ذلك فيهما وقد تقدم في سورة البقرة الفرق الدقيق بين الضوء والنور فارجع إليه .

الاعراب :

(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً) هو مبتدأ والذي خبره وجملة جعل صلة وإن كان الجعل بمعنى التصيير كانت الشمس مفعولاً أولاً وضياء مفعولاً ثانياً وان كان الجعل بمعنى الخلق كانت الشمس مفعولاً به وضياء حال والقمر نوراً عطف عليهما . (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وقدره فعــل وفاعــل مستتر ومفعول به ومنازل أي في منازل فهو منصوب على الظرفية ويجوز أن يكون التقدير ذا منازل ، وقدّر على هذا متعدية الى مفعولين لأن معناه جعل وصيّر فيكون مفعولاً ثانياً ويجوز أن يكون قدّر متعدياً الى واحد بمعنى خلق وهو الهاء ومنازل حال أي متنقلاً وارتأى أبو البقاء وجهاً طريفاً لا يخلو من وجاهة وهو أن يكون الضمير منصوباً بنزع الخافض فحذف حرف الجر أي قدر له منازل ومنازل مفعول به واللام للتعليل وتعلموا منصوب بأن مضمرة وعدد مفعول به والسنين مضاف إليه والحساب معطوف على عدد ، سئل أبو عمرو عن الحساب أتنصبه

أم نجره فقال : ومن يدري عدد الحساب ومعنى جوابه أنه سئل هل نعطفه على عدد فننصبه أم على السنين فنجره ؟ فكأنه قال : لا يمكن جره إذ يقتضي ذلك أن يعلم عدد الحساب ، ولا يقدر أحد أن يعلم عـدده . (ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) ما نافية وخلق الله ذلك فعل وفاعل ومفعول به وإلا أداة حصر وبالحق حال فالاستثناء المفرغ من أعـم الأحوال أي ما خلق ذلك إلا ملتبساً بالحق والحكمة البالغة ولم يخلقه عبثاً وجملة يفصل الآيات حال أيضاً . الآيات مفعول به ولقوم متعلقان بيفصل وجملة يعلمون صفة لقوم . (إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون) الجملة مستأنفة لتعليـل تعاقب الليل والنهار وتفاوتهما بالزيادة والنقصان وإن حرف مشبه بالفعل وفي اختلاف خبر مقدم لإن وما اسم موصول معطوف عـلى اختلاف ويجوز أن تكون مصدرية والمصدر معطوفاً على اختلاف ، وفي السموات والارض جار ومجرور متعلقان بخلق ولآيات اللام المزحلقـة وآيات اسم إن المؤخر ولقوم متعلقان بصفة لآيات وجملة يتقون صفة لقوم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ

تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

اللغة :

(الرجاء) : له معنيان صالحان في هذه الآية فالأول الخوف ومنه قول الشاعر :

إذ لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل

والثاني الطمع ومنه قول الشاعر :

أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

فالمعنى على الأول : لا يخافون عقاباً وعلى الثاني : لا يطمعون في ثواب وقيل المراد بالرجاء هنا التوقع فيدخل تحته الخوف والطمع ٠

الاعراب :

(إن الذين لا يرجون لقاءنا) ان واسمها وجملة لا يرجون صلة ولقاءنا مفعول به ٠ (ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها) عطف على لا يرجون لقاءنا فهو داخل في حكم الصلة ويحتمل أن تكون الواو للحال وقد مقدرة وكذلك يقال في واطمأنوا بها ٠ (والذين هم عن آياتنا غافلون) والذين عطف على الذين المتقدمة فيكون قسماً مبايناً الذين لا يرجون وقد أخبر عن الصنفين فيما يأتي وهم مبتدأ وعن آياتنا جار ومجرور متعلقان بغافلون وغافلون خبر هم والجملة صلة

الموصول • (أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) أولئك مبتدأ ومأواهم مبتدأثانوالنار خبرالثانيوالثاني وخبره خبرأولئك وأولئك وخبره خبر إن وبما كانوا يكسبون تقدم في إعراب بما كانوا يكفرون • (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) إن واسمها وجملة آمنوا صلة وعملوا عطف على آمنوا والصالحات مفعول وجملة يهديهم ربهم خبر إن • (تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم) الجملة خبر ثان لإن أو حال من مفعول يهديهم أو مستأنفة وفي جنات النعيم خبر ثالث أو حال ثانية أو متعلقان بتجري • (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام) دعواهم مبتدأ وفيها جار ومجرور متعلقان بدعواهم أو بمحذوف حال وسبحانك مفعول مطلق لفعل محذوف والجملة المؤلفة منه خبر دعواهم والمعنى أن دعاءهم هو هذا اللفظ فالخبر هو نفس المبتدأ واللهم منادى مفرد علم والميم المشددة عوض عن حرف النداء وتحيتهم مبتدأ وفيها متعلقان بتحيتهم أو بمحذوف حال وسلام خبر تحيتهم والمصدر يعني التحية مضاف لمفعوله والفاعل مستتر أي تحية الله لهم أو تحية الملائكة إياهم أو مضاف لفاعله أي ويحيي بعضهم بعضاً • (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) الواو عاطفة وآخر مبتدأ ودعواهم مضاف إليه وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والحمد مبتدأ ولله خبر ورب العالمين صفة أو بدل من الله وجملة الحمد لله خبر ان •

* وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا

مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

الاعراب :

(ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتصوير حالة الناس وتجسيد ما انطوى عليه كيانهم من مطاوعة لنوازع النفس التي تغضب وتتبرم بسواها فتبدر منها في حالات الازمات النفسية أدعية يتمنون فيها الموت لأولادهم وذويهم ولكن الله يتجاوز عن الاستجابة لأنه لو استجاب لكل ما يصدر عنهم لفرغ من هلاكهم ، ولو حرف شرط للامتناع ويعجل فعل مضارع والله فاعل وللناس جار ومجرور متعلقان بيعجل والشر مفعول به واستعجالهم مفعول مطلق وبالخير متعلقان بالمصدر الذي هو استعجالهم ، اللام واقعة في جواب لو وقضي فعل ماض بالبناء للمجهول واليهم متعلقان بقضي وأجلهم نائب فاعل ، والمعنى لفرغ من أجلهم ومدتهم المضروبة وسيرد في باب البلاغة المزيد من النكت الرائعة في هذا التعبير الرشيق وهذا هو المشهور في الاعراب على أن سيبويه أعرب استعجالهم حالاً وان التقدير عنده استعجالاً مثل استعجالهم ثم حذف الموصوف وهو استعجال وأقيمت صفته مقامه وهي مثل فبقي ولو يعجل مثل استعجالهم ثم حذف المضاف

وأقيم المضاف اليه مقامه فأعرب حالاً من ذلك المصدر المقدر ، والأول أسهل كما سيأتي ويجوز أيضاً أن يعرب منصوباً بنزع الخافض على اسقاط كاف التشبيه والتقدير كاستعجالهم (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) الفاء عاطفة ونذر عطف على مفهوم النفي لأن لو يعجل متضمن معنى النفي للتعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم أجلهم فنذر ، والفاعل مستتر تقديره نحن والذين مفعول به وجملة لا يرجون لقاءنا صلة وفي طغيانهم جار ومجرور متعلقان بيعمهون وجملة يعمهون حال أي مترددين في عماهم متخبطين في دجنات آثامهم • (وإذا مس الانسان الضر) الواو للاستئناف والجملة استئنافية مسوقة لتقرير ضعف الانسان ونهاية عجزه ، واذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة مس مضاف اليها والانسان مفعول به والضر فاعل • (دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً) جملة دعانا لا محل لها لأنها جواب إذا ولجنبه في محل نصب حال من فاعل دعانا بدليل ما عطف عليه من الحالين الآتيين أو حرف عطف وقاعداً معطوف على محل لجنبه وكذلك أو قائماً ومعنى هذه الأحوال أن المضرور لا يزال لاهجاً بالدعاء لا يفتر عنها في مطلق الاحوال كلها سواء أكان منبطحاً عاجزاً عن النهوض أو كان قاعداً متخاذلاً لا يقدر على القيام أو كان قائماً لا يطيق المشي • (فلما كشفنا عنه ضرّه مرّ كأن لم يدعنا الى ضر مسّه) الفاء عاطفة ولما حينية أو رابطة وكشفنا فعل وفاعل وعنه متعلقان بكشفنا وجملة مر لا محل لها لأنها جواب لما وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة لم يدعنا خبرها والى ضر جار ومجرور متعلقان بيدعنا وجملة مسه صفة لضر • (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) كذلك مفعول مطلق أي مثل ذلك التزيين وزين

بالبناء للمجهول وللمسرفين جار ومجرور متعلقان بزين وما موصول نائب فاعل وجملة كانوا صلة والواو اسم كان وجملة يعملون خبر كان.

البلاغـة :

١ ــ التنكيت في قوله تعالى «ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير» فقد كان سياق الكلام يقضي أن يأتي بالمصدر المناسب لفعله وهو التعجيل ولكنه عدل الى الاستعجال وهو مصدر لاستعجل لنكتة تدق على الافهام وتكاد تذهل عنها الخواطر إذ لا يكاد وضع المصدر مؤكداً ومقارناً لغير فعله في الكتاب العزيز يخلو من نكتـة وقصارى مايقوله النحاة في ذلك أنه أجرى المصدر على الفعل مقدراً عدم الزيادة وإذا تسوّر القارىء الفطن بفكر مراقي البيان علم أن وراء الجنـوح الى هذا المصدر بدلاً عن المصدر الملائم للفعل سراً إذ وضع الاستعجال موضع التعجيل إيذاناً وإشعاراً بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم ومثل ذلك قوله « والله أنبتكم من الأرض نباتاً » في التنبيه على حتمية نفوذ القدرة في المقـدور وسرعة امضاء الحكم وسيأتي في حينه .

٢ ــ التقسيم أو صحة الأقسام وهو عبارة عن استيفاء المتكلم جميع أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئاً وقوله : « دعانـا لجنبه أو قاعداً أو قائماً » استوفى جميع الهيئات التي يكون عليها الانسان وقد تردد التقسيم في آل عمران فارجع اليه .

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ۙ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾

اللغـــة :

(القرون) : جمع قرن بفتح القاف ، وهو أهل كل عصر ، سموا بذلك لمقارنة بعضهـم لبعض ومنـه قرن الكبش لمقارنته آخر بازائه والقرن بكسر القاف هو المقام لقرينه في الشدة ويؤخذ من المعاجم أيضاً أن القرن بفتح القاف هو مائة سنة وأمة بعد أمـة والوقت المطلق من الزمان والقرون الخالية الأمة المتقدمة على التي بعدها .

(خلائف) : جمع خليفة وهو من يخلف غيره ويقوم مقامه والإمام الذي ليس فوقه إمام وهو مذكر فيقال هذا خليفة آخر وربما أنث مراعاة للفظ فيقال خليفة أخرى ويجمع على خلفاء وخلائف والعدد مع الجمع الأول مذكر فيقال ثلاثة خلفاء ومع الثاني يجوز أن يكون مذكراً ومؤنثاً فيقال ثلاثة وثلاث خلائف .

(القرآن) : هناك خمسة أقوال في لفظ القرآن نلخصها بما يلي :

١ ــ ما ذهب اليه الشافعي من أنه ليس مهموزاً ولا مشتقاً بل وضع علماً على الكلام المنزل .

٢ ــ ما نقل عن الأشعري وغيره من أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته اليه ثم جعل علماً على اللفظ المنزل وسمي بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه بعضها ببعض .

٣ ــ ذهب الفراء الى أنه مشتق من القرائن لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً وجعل علماً على اللفظ المنزل لذلك وهو على هذين غير مهموز أيضاً كالذي قبلهما ونونه أصلية .

٤ ــ قال الزجاج : هو وصف على وزن فعلان وهو مهموز مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأت الماء في الحوض إذا جمعته وسمي الكلام المنزل على النبي المرسل به قرآناً لأنه جمع السور أو جمع ثمرات الكتب السابقة .

٥ ــ ما ذهب اليه اللحياني وجماعة من أنه مصدر مهموز بوزن الغفران سمي به المقروء من تسمية المفعول بالمصدر .

وينقل السيوطي في الاتقان عن الجاحظ أن الله سمى كتابه اسماً مخالفاً لما سمى العرب كلامهم ، سمى جملته قرآناً كما سمى العرب جملة كلامهم ديواناً وسمى بعضه سورة كقصيدة ، وسمى بعض السورة آية كالبيت وسمى آخر السورة الفاصلة كالقافية .

أما دائرة المعارف الاسلامية فتبـدأ بحثها في مادة قرآن بذكر اختلاف المسلمين في نطق واشتقاق ومعنى كلمة قرآن فبعضهم يقول القرآن بغير همز ويذهب الى أنها كلمة وضعت كما وضعت كلمة توراة وانجيل وهو كما ترى قول الشافعي ، ثم تمضي الدائرة في ذكر بقية الاقوال الخمسة الآنفة الذكر وتضيف اليها قولاً سادساً وهو ما ذهب اليه شفالي ، ولهاوزن من أن الكلمة عبْرية أو سريانية ومعناها مايقرأ ، وتجنح دائرة المعارف مع هذين العالمين ، الى رأيهما الذي يقول بأن قرأ بمعنى تلا ليست كلمة عربية النسب ولكنها دخيلة على اللغة .

هذا وسيرد المزيد من هذا البحث الطريف في مواقع أخرى يتبين فيها أرجح الاقوال .

الاعراب :

(ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) الواو استئنافية واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأهلكنا القرون فعل وفاعل ومفعول ومن قبلكم جار ومجرور متعلقان بأهلكنا ولا يجوز أن يكون حالاً من القرون لأنه ظرف زمان فلا يقع حالاً عن الجثة كما لا يقع خبراً لها وقد تقدم بحثه . (لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات) لما حينية متعلّقة بأهلكنا أو رابطة وظلموا فعل وفاعل وجاءتهم الواو واو الحال

باضمار قد وقد تقدم بحث واو الحال وقيل الواو للعطف على ظلموا ولعل الأول أولى ، وجاءتهم رسلهم فعل ومفعول به وفاعل وبالبينات متعلق بجاءتهم . (وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين) عطف على ظلموا واللام في ليؤمنوا للجحود ويؤمنوا منصوب بأن مضمرة وهي مع مدخولها خبر كانوا ، وكذلك في محل نصب صفة لمصدر محذوف ونجزي القوم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به والمجرمين صفة للقوم . (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم) ثم حرف عطف وجعلناكم عطف على أهلكنا وخلائف مفعول به ثان وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لخلائف ومن بعدهم متعلقان بجعلناكم . (لننظر كيف تعملون) اللام للتعليل وننظر منصوب بأن مضمرة بعدها وكيف اسم استفهام في محل نصب مفعول به لتعملون أي لننظر أي عمل تعملونه ، لا لننظر لأن لها الصدارة فلا يعمل فيها ما قبلها ، ولا يبعد أن تكون في محل نصب على الحال أي على أي حالة تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف . (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) الواو عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة تتلى مضاف اليها وتتلى فعل مضارع بالبناء للمجهول وعليهم متعلقان بتتلى وآياتنا نائب فاعل وبينات حال .

(قال الذين لا يرجون لقاءنا : ائت بقرآن غير هذا أو بدّله) الجملة لا محل لها لأنها جواب إذا والذين فاعل وجملة لا يرجون صلة ولقاءنا مفعول يرجون وجملة ائت مقول القول وبقرآن متعلقان بائت وغير صفة لقرآن وهذا مضاف لغير وأو حرف عطف وبدله عطف على ائت . (قل : ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي) ما نافية ويكون فعل مضارع ناقص ولي خبرها المقدم وأن وما في حيزها اسمها المؤخر ويجوز أن تكون تامة والمصدر فاعل ومن تلقاء نفسي متعلقان بأبدله

ونفسي مضافة لتلقاء وقد تقدم القول في التلقاء • (إن أتبع إلا مايوحى إلي) إن نافية وأتبع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا وإلا أداة حصر وما مفعول به وجملة يوحى إلي صلة • (إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) إن واسمها وجملة أخاف خبرها وإن شرطية وعصيت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والتاء فاعل وربي مفعول به وعذاب مفعول به لأخاف ويوم مضاف اليه وعظيم صفة • (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به) لو شرطية وشاء الله فعل وفاعل وجملة ما تلوته عليكم جواب لو وعليكم جار ومجرور متعلقان بتلوته ، ولا الواو عاطفة ولا نافية وأدراكم فعل ماض وفاعله مستتر والكاف مفعول به وبه متعلقان بأدراكم • (فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون) الفاء تعليلية وقد حرف تحقيق ولبثت فعل وفاعل وفيكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وعمراً ظرف زمان متعلق بلبثت ومن قبله متعلقان بلبثت أفلا الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على مقدر ولا نافية وتعقلون معطوف على المقدر • (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته) الفاء عاطفة ومن اسم استفهام للنفي مبتدأ وأظلم خبره وممن متعلقان بأظلم وجملة افترى صلة الموصول وعلى الله متعلقان بافترى وكذباً مفعول به ، وأو حرف عطف وكذب عطف على افترى وبآياته متعلقان بكذب ، والمعنى : لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب ، وزيادة كذباً مع أن الافتراء لا يكون الا كذباً لبيان أن هذا مع كونه افتراء على الله هو كذب في نفسه فربما يكون الافتراء كذباً في الاسناد فقط كما إذا أسند ذنب زيد الى عمرو • (إنه لا يفلح المجرمون) الجملة تعليل لكونه لا أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته ، وان واسمها وجملة لا يفلح خبرها والمجرمون فاعل •

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

الاعراب :

(ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة لحكاية جناية أخرى من جناياتهم ويعبدون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل ومن دون الله متعلقان بمحذوف حال من فاعل يعبدون أي متجاوزين الله لا بمعنى ترك الله بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وضم عبادة الاوثان اليها للشفاعة والتقرب وما موصول مفعول به وهي راجعة الى الاصنام ولكنه راعى لفظها فأفرد في قوله مالا يضرهم ولا ينفعهم وراعى معناها في قوله هؤلاء شفعاؤنا فجمع ، وجملة لا يضرهم صلة الموصول ولا ينفعهم عطف . وقيل ما موصوفة . (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الواو

عاطفة ويقولون معطوف على يعبدون وهؤلاء مبتدأ وشفعاؤنا خبر وعند الله ظرف متعلق بمحذوف حال • (قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض) قل فعل أمر وجملة أتنبئون مقول القول والمقصود بالأمر التبكيت والهمزة للاستفهام الانكاري كأنه يؤنبهم وينكر عليهم أن يخبره بما لا يعلم لها وجوداً في السموات والارض وهو الشفيع ولو أنه كان ثمة شفيع لعلمه • وربما الباء حرف جر وما موصولة أو نكرة موصوفة وعلى كلا التقديرين العائد محذوف أي يعلمه والجار والمجرور متعلقان بتنبئون وفي السموات حال من العائد المحذوف في يعلم وجملة لا يعلم صلة ما • (سبحانه وتعالى عما يشركون) سبحانه تقدم أنه مفعول مطلق لفعل محذوف وتعالى فعل ماض وعما يشركون متعلقان بتعالى وما موصولة أو مصدرية • (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان أن الفطرة والتشريع تتطلب وحدة البشر ولكنهم نزوعاً منهم الى أهواء النفس ومتطلباتها اختلفوا وقد أفاض المفسرون في كيفية ذلك والرجوع اليه في المطولات • وما نافية وكان الناس كان واسمها وإلا أداة حصر وأمة خبر كان وواحدة صفة فاختلفوا عطف على المعنى أي كان الناس جميعاً على الحق فاختلفوا • (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون) الواو عاطفة ولولا حرف امتناع لوجود وكلمة مبتدأ محذوف الخبر وجملة سبقت صفة لكلمة ومن ربك متعلقان بسبقت ولقضي اللام جواب لولا وجملة قضي لامحل لها لأنها جواب شرط غير جازم ونائب الفاعل مستتر تقديره الأمر وبينهم متعلقان بقضي أي لفصل بينهم ولميز المحق من المبطل ولكن كلمته سبقت بالتأخير لتكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب أو عقاب وفيما متعلقان بقضي أيضاً وفيه متعلقان بيختلفون

وجملة يختلفون صلة الموصول . (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) الواو عاطفة ويقولون فعل مضارع وفاعل ولولا حرف تحضيض وأنزل فعل ماض مبني للمجهول وعليه متعلقان بأنزل وآية نائب فاعل ومن ربه صفة لآية . وأتى بالمضارع لاستحضار صورة ما قالوه . (فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين) الفاء واقعة في جواب لولا وإنما كافة ومكفوفة والغيب مبتدأ ولله خبر فانتظروا الفاء الفصيحة وانتظروا فعل أمر وفاعل واني ان واسمها ومن المنتظرين خبرها ومعكم ظرف متعلق بالمنتظرين .

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ

مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

اللغـــة :

(الفلك) : السفن وسميت فلكاً لدورانها في الماء وأصله الدور ومنه فلكــة المغزل ، وتفلّك ثدي الجارية إذا استدار والفلك يكون جمعاً وواحد وهو هنا جمع •

(ريح) : في المصباح : الريح الهواء المسخر بين السماء والارض وأصلها الواو لكن قلبت لانكسار ما قبلها والجمــع أرواح وريــاح وبعضهم يقول أرياح بالياء على لفظ الواحد وغلّطه أبو حاتم • والريح مؤنثة على الاكثر فيقال هي الريح وقد تذكر على معنى الهواء فيقال هو الريح نقله أبو زيد ، وقال ابن الأنباري : الريح مؤنثة لا علامة فيها وكذلك سائر أسمائها إلا الإعصار فهو مذكر وراح اليوم يروح روحاً من باب قال وفي لغة من باب خاف إذا اشتدت ريحه فهو رائح •

(عاصف) : عصفت الريح فهي عاصف وعاصفة قال :

حتى إذا عصفت ريح مزعزعة فيها قطار ورعد" صوته زجل

ويقال أعصفت الريح فهي معصفة ومعصف والجمــع معاصف ومعاصيف •

الاعراب :

(وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر" في

آياتنا) الواو استئنافية واذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه وجملة أذقنا في محل جر بالاضافة اليها وجوابها في اذا الثانية الفجائية وانما جعلت جواباً لكونها بمعنى المفاجأة كأنه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجئوا وقوع المكروه منهم وسارعوا اليه وقد تقدم القول في اذا الفجائية وهل هي حرف أم ظرف زمان أم ظرف مكان ، ورحمة مفعول به ثان ومن بعد صفة لرحمة وضراء مضافة لرحمة وجملة مستهم صفة لضراء واذا الفجائية ولهم خبر مقدم ومكر مبتدأ مؤخر وفي آياتنا صفة لمكر . (قل الله أسرع مكراً) الله مبتدأ وأسرع خبر ومكراً تمييز . (إن رسلنا يكتبون ما تمكرون) ان واسمها وجملة يكتبون خبرها وما موصول مفعول به وجملة تمكرون صلة والجملة تعليلية لسرعة مكره تعالى وتعجيله العقوبة . (هو الذي يسيّركم في البر والبحر) جملة مستأنفة مسوقة لبيان جريمة أخرى من جرائمهم قائمة على اختلاف ما يعتريهم من تقلب بالنسبة لما يصيبهم من سراء وضراء ، وهو مبتدأ والذي خبره وجملة يسيركم صلة والكاف مفعول به وفي البر والبحر جار ومجرور متعلقان بيسيركم . (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها) حتى حرف غاية وجر وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة كنتم مضافة اليها والتاء اسم كان وفي الفلك خبرها وجرين عطف على كنتم على طريق الالتفات كما سيأتي في باب البلاغة والنون للنسوة فاعل جرين وبهم جار ومجرور متعلقان بجرين وبريح طيبة حال أي مسوقين وطيبة صفة وفرحوا بها عطف على وجرين ويجوز أن تكون جملة حالية من الضمير بهم وقد مضمرة . (جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان) جملة جاءتها لا محل لها لأنها جواب اذا وريح فاعل جاءتها وعاصف صفة وجاءهم الموج عطف على جاءتها ومن كل مكان متعلقان بجاءهم أو بمحذوف

حال من الموج أي منحدراً • (وظنوا أنهم أحيط بهم) عطف على جاءهم وان وما في حيزها سدت مسد مفعولي ظنوا وجملة أحيط بهم خبر أنهم ويلاحظ القارىء أنه جعل الشرط أموراً ثلاثة وهي الكون في الفلك والجري بهم بريح طيبة والفرح بها وجعل الجواب أموراً ثلاثة أيضاً وهي مجيء الريح العاصف ومجيء الموج وظنهم الاحاطة بهم • (دعوا الله مخلصين له الدين) جملة دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم ذلك لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به،أو استئنافية مبنيةعلى سؤال يخطر للذهن وهوفماذاصنعوا فقيل دعوا الله ، ودعوا الله فعل وفاعل ومفعول ومخلصين حال وله جار ومجرور متعلقان بمخلصين والدين مفعول به (لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) اللام موطئة للقسم وان شرطية ونجيتنا فعل وفاعل ومفعول به وهي فعل الشرط ومن هذه متعلقان بأنجيتنا والاشارة للاهوال وما وقعوا فيه من مشارفه الهلاك في البحر ولنكونن جوابه وجواب الشرط محذوف لتقدم القسم ، والقسم وجوابه في محل نصب بقول مقدر وذلك القول المقدر في محل نصب حال والتقدير : دعوا الله قائلين لئن أنجيتنا من هذه الاهوال لنكونن من الشاكرين • (فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق) الفاء عاطفة ولما حينية أو رابطة وأنجاهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به واذا فجائية وهم مبتدأ وجملة يبغون خبرهم وفي الارض جار ومجرور متعلقان بيبغون وبغير الحق حال • (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) إنما كافة ومكفوفة وبغيكم مبتدأ وعلى أنفسكم خبر • (متاع الحياة الدنيا) قرأ حفص وابن اسحق والمفضل بنصب متاع على المفعولية المطلقة بفعل محذوف أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا أو على أنه مفعول به لفعل محذوف أي تبتغون متاع الحياة الدنيا وقرأ الباقون بالرفع على أنه

خبر لمبتدأ محذوف أي هو متاع الحياة الدنيا وقيل غير ذلك والأرجح ما ذكرناه • (ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) ثم حرف عطف وتراخ والينا خبر مقدم ومرجعكم مبتدأ مؤخر فننبئكم الفاء عاطفة وننبئكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وربما كنتم تعملون متعلقان بننبئكم وجملة كنتم صلة ما وجملة تعملون خبر كنتم•

البلاغة :

في هذه الآيات ضروب متعددة من البلاغة تقدم ذكر بعضها واحتاج بعضها الآخر الى مزيد من البسط ومن أهم فنونها :

١ ــ الالتفات من الخطاب الى الغيبة ثم العودة الى الغيبة وذلك في قوله تعالى « هو الذي يسيركم في البر والبحر » الى آخر الآية وقد تقدم القول في الالتفات ونوضحه هنا فنقول : لما كان قوله هو الذي يسيركم خطاباً ينطوي على الامتنان واظهار نعمة المخاطبين ولما كان المسيرون في البر والبحر مؤمنين وكفاراً والخطاب شامل لهم جميعاً حسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيتهيأ قلبه لتذكر وشكر مسديها ولما كان في آخر الآية ما يقتضي أنهم اذا نجوا بغوا في الارض عدل عن خطابهم بذلك الى الغيبة لئلا يخاطب المؤمنين بما لا يليق صدوره منهم وهو البغي بغير الحق هذا من جهة ومن جهة ثانية ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم ويستدعي منهم الانكار عليهم والتقبيح لما اقترفوه ، ففي الالتفات فائدتان وهما المبالغة والمقت والتبعيد ، قال الرازي « الانتقال من مقام الخطاب الى مقام الغيبة في هذا المقام دليل المقت والتبعيد كما أن عكس ذلك في قوله إياك نعبد دليل الرضا والتقريب » •

٢ ـ المجاز المرسل : في قوله « بغيكم على أنفسكم » لأن البغي لا يقع على الأنفس وانما هو الوبال ولما كان البغي هو سببه ، ذكره على طريق المجاز المرسل والعلاقة السببية .

٣ ـ المشاكلة : أفرد لفظ الريح للمشاكلة لوجهين لأنه في مقابلة قوله سبحانه : جاءتهم ريح عاصف ولأن الرحمة تقتضي هنا وحدة الريح فإن السفينة إنما تسير بريح واحدة ولو اختلفت عليها الرياح هلكت ولذا أكد بوصف الطيبة .

وفي تسمية عقوبة الله سبحانه مكراً فن المشاكلة وقد تقدم بحثها .

٤ ـ الاشارة : وفي قوله : قل الله أسرع مكراً فن الاشارة لأن أفعل التفضيل دلّ على أن مكرهم كان سريعاً ولكن مكر الله أسرع منه واذا الفجائية يستفاد منها السرعة والمعنى أنهم فاجئوا المكر أي أوقعوه على جهة الفجاءة والسرعة .

الفوائد :

في قوله تعالى : « هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم ... » فائدة منقطعة النظير ترتبت عليها أحكام فقهية نشير اليها وهي ما ذكره الزمخشري في كشافه قال : « فان قلت : كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر انما هو بعد الكون في الفلك ؟ قلت : لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح

العاصف وتراكم الامواج وظن الهلاك والدعاء بالانجاء » الى آخر هذا الفصل . وقد سبق مثل هذه الآية وفاتنا أن نشير الى هذا السر في حينه وهي قوله تعالى في سورة النساء « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم » فقد استدل الزمخشري بها لأبي حنيفة في أن الصغير يبتلى قبل البلوغ أن يسلم اليه قدر من المال يمتحن فيه خلافاً لمالك فانه لا يرى الابتلاء قبل البلوغ أما الشافعي فله قولان أحدهما يوافق أبا حنيفة والآخر يوافق مالكاً ، وللأئمة في هذا الصدد مناقشات تخرج عن صدد الكتاب وإنما أشرنا الى مكان الفائدة البيانية والنحوية والرجوع لمعرفة الاحكام الفقهية الى المظان .

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوٓا إِلَىٰ دَارِ السَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

اللغـــة :

(الزخرف) : بالضم الذهب وكمال حسن الشيء ومن القول حسنه ومن الأرض ألوان نباتها •

(ازّينت) : أصله تزينت فأدغمت التاء في الزاي وسكنت الزاي فاجتلبت لها همزة الوصل •

(تغن) : مضارع غني بالمكان أقام به والمغاني المنازل قال النابغة:

غنيت بذلك إذ هم لك جيرة　　منها بعطف رسالة وتودّد

وفي القاموس ما يقتضى أن غني يأتي بمعنى كان ووجد كقوله : غنيت دارنا بتهامة أي كانت بها •

الاعراب :

(إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) كلام مستأنف مسوق لبيان حال الدنيا وسرعة تقضيها وأنها بعد أن تستهوي الأعين برونقها تحمل أهلها على أن يسفك بعضهم دم بعض ويمتشقوا الحسام فيما بينهم لتعكير صفو السلم الذي يجب أن يسود بينهم وضرب لذلك مثلاً من التشبيه المركب • وإنما كافة ومكفوفة ومثل مبتدأ والحياة مضاف اليه والدنيا صفة ، كماء : الجار والمجرور خبر مثل أو هي اسم فهي الخبر وجملة أنزلناه صفة لماء ومن السماء متعلقان بأنزلناه • (فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام) الفاء عاطفة

واختلط عطف على أنزلناه وبه متعلقان باختلط ونبات الأرض فاعل اختلط ومما يأكل الناس الجار والمجرور حال من نبات الأرض وجملة يأكل الناس صلة والانعام عطف على الناس . (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازَّيَّنت) حتى حرف غاية وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب وهو أتاها وجملة أخذت مضافة اليها والارض فاعل وزخرفها مفعول به وازينت عطف على أخذت . (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) وظن عطف أيضاً وأهلها فاعل ظن وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي ظن وقادرون خبر أن وعليها جار ومجرور متعلقان بقادرون .(أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً) أتاها جواب إذا والهاء مفعول به وأمرنا فاعل وليلاً ظرف متعلق بأتاها وأو حرف عطف ونهاراً معطوف على ليلاً . (فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس) الفاء عاطفة وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به أول وحصيداً مفعول به ثان وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة لم تغن خبرها وبالأمس جار ومجرور متعلقان بتغن وأراد بالأمس مطلق الزمان الماضي لا خصوص اليوم الذي قبل يومك ولذلك أعربه وأدخل عليه « أل » ولو قال أمس للزم البناء على الكسر والتجرد من أل . (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) كذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق ونفصل الآيات فعل وفاعل مستتر ومفعول به والجار والمجرور متعلقان بنفصل وجملة يتفكرون صفة لقوم . (والله يدعو الى دار السلام) والله مبتدأ وجملة يدعو خبر والى دار السلام متعلقان بيدعو وسيأتي الفرق بين الدعاء والأمر في باب الفوائد . (ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) ويهدي عطف على يدعو ومن مفعول به وجملة يشاء صلة والى صراط متعلقان بيهدي ومستقيم صفة.

البلاغـة :

١ ـ في هـذه الآية تشبيه تمثيلي ومركب وهو هنا يحتمـل شيئـين :

آ ـ انه شبه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع ثم الانقطاع •

ب ـ انه شبهها بالنبات في جفافه وذهابه حطاماً بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه •

٢ ـ وفي قوله « أخذت الأرض زخرفها » استعارة مكنية حيث جعلت الأرض في زينتها بما عليهـا من أصناف النبات كالعروس التي أخذت من أنواع الزينة والثياب فتزينت بها •

الفوائـد :

الفرق بين الـدعاء والأمر أن الأول طلب الفعـل بما يقع لأجله والداعي الى الفعـل خلاف الصارف عنه وهو لا يكون إلا من الأدنى الى الأعلى أما الأمر فهو ترغيب في الفعل وزجر عن تركه وهو يقتضي أن المأمور دون الآمر في الرتبة •

* لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ (٢٦) وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟

ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾

اللغـــة :

(يرهق) وجوههـم أي يغشاها والرهق الغشيان يقال رهقـه يرهقه من باب طرب أي غشيه بسرعة ومنه « لا ترهقني مــن أمــري عسراً » و « فلا يخاف بخساً ولا رهقاً » يقال رهقته وأرهقته مثـل ردفته وأردفته ففعل وأفعل بمعنى ، ومنه أرهقت الصلاة إذا أخرتها حتى غشي وقت الأخرى أي دخل وقال بعضهم الرهق المقاربة ومنه غلام مراهق أي قارب الحلم وقال آخرون :الرهق لحاق الأمر ومنه راهق الغلام إذا لحق بالرجال ورهقه في الحرب أدركه وقال الأزهري : الرهق اسم من الارهاق وهو أن يحمـل الانسان على مالا يطيقه ومنه سأرهقه صعوداً . وللراء مع الهاء خاصة غريبة فهما لا تفيدان معنى واحـداً وانما تفيدان إحداث التأثير وقد أحصيناها فلم تختـل هذه القاعدة المطردة ، فرهيأ الحمـل جعل أحد العـدلين أثقل من الآخر ، وترهْيأت السحابة تمخضت بالمطر ، ورهبته خفت منه وفي قلبي منه رهبة وهو رجل مرهوب ، عدوه منه مرعوب قالت ليلى :

وقد كان مرهوب السنان وبيّن اللـــ
ـسان ومِجْـذام السُّرى غيـر فاتر

وهو راهب بين الرهبانية وهؤلاء رهبان ورهبة ورهابين ورهابنة قال رجل من الضـّباب :

قد أدبر الليلُ وقضّى أرَبَه° وارتفعت في فلكيها الكوكبَه°

كأنها مصباح دير الرهبَه

ورماه فأصاب رُهابته وهي عُظيم في الصدر مطلٌ على البطن كأنه طرف لسان الكلب • ومن المجاز أرهب الابل عن الحوض : ذادها ، وأرهب عنه الناس بأسه ونجدته ، قال رجل من جَرْم :

إنـّا إذا الحرب نُساقيها المال°

وجعلت تلقح ثم تحتال

يُرهبُ عنا الناسَ طعن إيغال

شزر كأفواه المزاد الشلشال

أي ننفق عليها المال وهو من فصيح الكلام وانما فصّحه ملح الاستعارة ، والرهج الغبار ولا يخفى ما يحدثه من أثر ، وأرهج الغبار: أثاره وأرهجت حوافر الخيل ومن المجاز أرهج فلان نار الفتنة بين القوم ، وله بالشر لهج ، وله فيه رهج ، ورهز وارتهز لأمر كذا تحرك له واهتز ونشط ، ونشط من الرهز وهو الحركة في الجماع وغيره ومن أقوالهم : فلان للطمع مرتهز ولفرصه منتهز ، ورهص أصلح باحكام وإذا بنيت جداراً فأحكم رهصه وهو عرقه الأسفل ومن المجاز أرهص الشيء أثبته وأسسه ، وكان ذلك إرهاصاً للنبوة ، ورهصه لامه وهو من الرَّهْصَة وتقول فلانٌ ما ذكر عنده أحد إلا غمصه ،

وقدح في ساقه ورهصه ، وفلان أ سد رهيص أي لا يبرح مكانه كأنما رُهِص ، والرهط من الثلاثة الى العشرة وأثرهم واضح في اجتماع الشمل ، وانتظام العمل ، واحراز النصر قال الوليد بن عقبة أخو عثمان ابن عفان حين قتل وبويع علي بن أبي طالب وأمر بقبض ما في الدار من السلاح وغيره :

بني هاشم إنا وما كان بيننا
كصَدْع الصّفا لا يرأب الدهر شاعبه

ثلاثة رهط : قاتلان وسالب
سواء علينا قاتلاه وسالبه

ورهف سيفه رقّ حده وسيف رهيف ومرهف الحد ورجل مرهف الجسم دقيقه وقد شحذت علينا لسانك وأرهفته ، وفيه رَهَل أي انتفاخ ، وروضه مرهومة ممطورة . قال ذو الرمة :

أو نفحة من أعالي حَنوة مَعَجَتْ
فيها الصّبا موهناً والروض مرهوم

والرهن معروف وقبض الرّهن والرّهون والرّهان والرُّهن واسترهنني فرهنته ضيعتي ومن المجاز فيه : جاءا فرسيْ رهان أي متساويين وإني لك رهن بكذا أي أنا ضامن له ورجلي رهينة أي مقيدة قال السمهري بن أسد العكلي :

لقد طرقت ليلي ورجلي رهينة فما راعني في السجن إلا سلامها

وفلان رهن بكـذا ورهين ورهينة ومرتهن به : مأخوذ به ، قال تعالى « كل امرىء بما كسب رهين » و « وكل نفس بما كسبت رهينة » والرهو السكون قال تعالى « واترك البحر رهواً » أي ساكناً وعيش راهٍ أي ساكن ، ومـر باعرابي فالج فقال : سبحان الله رَهوٌ بين سنامين ، ويقال طلع رهواً ورَهْوَةً وهو نحو التل قال ذو الرمة :

يُجلّي كما جلّى على رأس رهوة

من الطير أقنى ينفض الطلَّ أزرقُ

وجاءت الخيل رهواً أي متتابعة وأتاه بالشيء رَهْواً سَهواً أي عفواً سهلاً لا احتباس فيه قال :

يمشين رهواً فـلا الأعجاز خاذلة

ولا الصدور على الاعجاز تتكـل

وهذا من عجيب أمر هذه اللغة الشريفة .

(القَتَر) : والقترة الغبار معه سواد يقـال قتر كفرح ونصر وضرب ومنه قول الفرزدق :

متوح برداء الملك يتبعـه موج ترى فوقه الرايات والقترا

وقيل القتر : الدخان ومنه غبار القدر وقيل القتر القدر القليل والاقتار في المعيشة ويقال قترت الشيء واقترته أي قللته ومنه « وعـلى المقتر قـدره » .

(القِطَع) : جمع قطعة من الليل فيها ظلمة والقطع بكسر القاف وسكون الطاء الجزء من الليل الذي فيه ظلمة وقد قرىء بهما •

الاعراب :

(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) للذين خبر مقدم وجملة أحسنوا صلة والحسنى مبتدأ مؤخر وزيادة عطف على الحسنى أي ما يزيد على المثوبة • (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) يجوز في الواو أن تكون مستأنفة لتعدد النعميات على المحسنين ويجوز أن تكون عاطفة وجملة يرهق وجوههم معطوفة على الحسنى ولا بد حينئذ من تقدير أن فإن شئت نصبت وان شئت رفعت على حد قول ميسون :

ولبس عباءة وتقر عيني أحب إليّ من لبس الشفوف

ولا نافية ويرهق وجوههم فعل مضارع ومفعول به وقتر فاعل ولا ذلة عطف على قتر (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أولئك مبتدأ وأصحاب خبر والجنة مضاف اليه ، وهم مبتدأ وفيها متعلقان بخالدون وخالدون خبر والجملة حالية • (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) يجوز أن تكون الواو عاطفة والذين معطوفة نسقاً على الذين الأولى أي للذين أحسنوا الحسنى وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها فيتعادل التقسيم وهذا أسهل الوجوه التي ذكرها المعربون والنحاة ويجوز أن تكون الواو استئنافية والذين مبتدأ خبره جزاء سيئة بمثلها وهو قول سهل أيضاً لا تكلف فيه وهناك أقوال

أضربنا عنها لأنها تكلف لا حاجة اليه • وكسبوا السيئات الجملة من الفعل والفاعل والمفعول به صلة الموصول وجزاء مبتدأ ثان وسيئة مضاف اليه وبمثلها خبر جزاء أي مقدر بمثلها • (وترهقهم ذلة) قيل هذه الجملة عطف على كسبوا وفيه ضعف من وجهين أولهما أن المستقبل لا يعطف على الماضي وثانيهما أنه فصل بينهما بجملة مطولة ، وقيل الواو حالية وجملة ترهقهم ذلة حالية ولا يخفى ما فيه من تكلف، وقيل الواو معترضة والجملة اعتراضية ، ولكن الاعتراض غير وارد هنا لأنه بصدد تعداد أحوال عذابهم ، ونرى أن تكون الواو مستأنفة والجملة استئنافية ، كأنما هو يعدد أصناف العذاب لهم تهويلاً ، وكذلك قوله : (مالهم من الله من عاصم) ما نافية أو حجازية ولهم خبر مقدم ومن الله جار ومجرور متعلقان بعاصم ومن زائدة وعاصم مبتدأ مؤخر أو اسم ما مؤخر عند من يجيز تقدم خبرها • (كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً) وهذه جملة مستأنفة استوفت المصائر الثلاثة لهم وهي الجزاء المعادل والذلة التي رهقتهم وغشيان وجوههم قطعاً من الليل ، وكأنما كافة ومكفوفة وأغشيت فعل ماض مبني للمجهول ووجوههم نائب فاعل وقطعاً مفعول به ثان ومن الليل صفة لقطع ومظلماً صفة ثانية لقطعاً بكسر القاف وسكون الطاء • وعلى قراءة قِطَعاً يشكل أن تكون مظلماً صفة فتعرب حالاً من الليل والعامل فيه إما أغشيت من قبل من أن الليل صفة لقوله قِطَعاً فكان افضاؤه الى الموصوف كإفضائه الى الصفة وإما أن يكون معنى الفعل في قوله من الليل • (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذه جملة مستأنفة رابعة تتم فيها المصائر المحتومة لهم ، وأولئك مبتدأ وأصحاب النار خبر وهم فيها خالدون جملة اسمية حالية منهم •

الفوائـد :

قول ابن هشام في « والذين كسبوا » :

قال ابن هشام في هذه الآية : جملة « وترهقهم ذلة » معطوفة على « كسبوا السيئات » فهي من الصلة وما بينهما اعتراض بيَّن بـه قدر جزائهم وجملة « ما لهم من الله من عاصم » خبر قاله ابن عصفور وهو بعيد لأن الظاهر أن « ترهقهم » لم يؤت به لتعريف « الذين » فيعطف على صلته بل جيء به للاعلام بما يصيبهم جزاء على كسبهم السيئات ثم انه ليس بمتعين لجواز أن يكون الخبر « جزاء سيئة بمثلها » فلا يكون في الآية اعتراض ويجوز أن يكون الخبر جملة النفي كما ذكر وما قبلها جملتـان معترضتان وأن يكون الخبر « كأنمـا أغشيت » فالاعتراض بثلاث جمل أو « أولئك أصحاب النار » فالاعتراض بأربع جمل ويحتمل وهو الاظهر ان « الذين » ليس مبتدأ بل معطوف على « الذين » الأولى أي « للـذين أحسنوا الحسنى وزيادة » وللـذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ، فمثلها هنا في مقابلة الزيادة هناك ونظيرها في المعنى قوله تعالى « من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الـذين عملوا السيئات إلا ماكانوا يعملون » وفي اللفظ قولهم في الدار زيد والحجرة عمرو وذلك من العطف على معمولي عاملين مختلفين عند الأخفش وعلى اضمار الجار عند سيبويه والمحققين، ومما يرجح هذا الوجه أن الظاهر أن الباء في « بمثلها » متعلقة بالجزاء فإذا كانَ « جزاء سيئة » مبتدأ احتيج الى تقدير الخبر أي واقع ، قاله أبو البقاء أو « لهم » قاله الحوفي وهو أحسن لإغنائه عن تقدير رابط بين هذه الجملة ومبتدئها وهو الذين وعلى ما اخترناه يكون « جزاء »

عطفاً على « الحسنى » فلا يحتاج الى تقدير آخر ، وأما قول أبي الحسن وكيسان أن « بمثلها » هو الخبر وأن الباء زيدت في الخبر كما زيدت في المبتدأ في « بحسبك درهم » فمردود عند الجمهور ، وقد يؤنس قولهما بقوله « وجزاء سيئة سيئة » .

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

اللغــــة :

(زيلنا) : فرقنا .

(تبلو)تختبر .

الاعراب :

(ويوم نحشرهم جميعاً) الظرف متعلق بمحذوف مفهوم من الآية السابقة أي نفعل ذلك كله يوم نحشرهم ، وجملة نحشرهم مضاف اليها

وجميعاً نصب على الحال (ثم نقول للـــذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم) ثم حرف عطف وتراخ ونقول معطوف على متعلق الظرف أي نفعل ذلك كله ثم نقول أو معطوف على نحشرها وللذين متعلقان بنقول وجملة أشركوا صلة ومكانكم اسم فعل أمر معناه الزموا وسيأتي بحثها في باب الفوائد ، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع تأكيد للضمير في مكانكم ، وشركاؤكم عطف عليه (فزيلنا بينهــم وقال شركاؤهــم ما كنتم إيانا تعبدون) الفاء استئنافية وزيلنا فعل وفاعل وبينهم ظرف متعلق بزيلنا وقال شركاؤهم فعل وفاعل وما نافية وكنتم كان واسمها وإيانا ضمير منفصل مفعول مقدم لتعبدون وجملة تعبدون نصب خبر كنتم . (فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم) الفاء استئنافية وكفى فعل ماض والباء حرف جــر زائد والله فاعل محلاً ، وشهيداً : قال الزجاج منصوب عــلى التمييز إن شئت وإن شئت عــلى الحال فإن كان الاسم جامداً فالنصب على التمييز كقول بشار :

ومن ذا الــذي ترضى سجاياه كلها

كفى بالمرء نبلاً أن تعـــد معايبه

(إن كنا عن عبادتكم لغافلين) إن مخففة من الثقيلة وليست نافية كما قال أحد الأئمة وهي مهملة كما تقدم وكنا كان واسمها وعن عبادتكم متعلقان بغافلين واللام الفارقة وهي التي أبعــدت إن النافية ، وغافلين خبر كنا . (هنالك تبلو كلُّ نفس ما أسلفت) هنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية وهو متعلق بتبلو واللام للبعد والكاف للخطاب وتبلو كل نفس فعل مضارع وفاعل وما اسم موصول مفعول به وجملة أسلفت صلة . (وردوا الى الله مولاهم الحق) الواو عاطفة

وردوا فعل ماض مبني للسجهول والواو نائب فاعل والى الله جار ومجرور متعلقان بردوا ومولاهم صفة أو بدل من الله والحق صفة لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة • (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضل الواو عاطفة وضل معطوف على ردوا وعنهم متعلقان بضل وما اسم موصول فاعل وكانوا كان واسمها وجملة كانوا يفترون صلة وجملة يفترون خبر كانوا •

الفوائد :

(مكانكم) كلمة جرت مجرى الوعيد والعرب تتوعد فتقول مكانك وانتظرني والصحيح عند المحققين أن مكانك ودونك من أسماء الأفعال ونقول أن أسماء الأفعال قسمان مرتجلة ومنقولة فالمرتجلة هي ما وضعت من أول أمرها أسماء أفعال وهي ثلاثة أقسام : اسم فعل ماض كهيهات ، واسم فعل مضارع كأف ، واسم فعل أمر كآمين ، وقد تقدمت الاشارة الى ذلك • والمنقولة هي ما استعملت في غير اسم الفعل ثم نقلت اليه والنقل يكون :

١ ـ إما عن جار ومجرور مثل : عليك نفسك أي الزمها وإليك عني أي تنح •

٢ ـ وإما عن ظرف مثل : دونك الكتاب أي خذه ومكانك وقد تقدمت •

٣ ـ وإما عن مصدر مثل : رويد أخاك أي أمهله وبله الشر أي دعه واتركه •

٤ ـ وإما عن تنبيه مثل : ها الكتاب أي خذه و « هاؤم اقرءوا كتابيه » •

٥ ـــ وإما معدولة كنزال وحذار •

تنبيهـــات :

١ ـــ الكـاف التي تلحق اسم الفعـل المنقول تتصرف بحسب المخاطب إفراداً وتثنية وجمعاً وتذكيراً وتأنيثاً وهي حرف خطاب لا محل لها من الاعراب لأنها بمثابة جزء من الكلمة لا إعراب له •

٢ ـــ اسم الفعـل المنقول والمعدول لا يأتي إلا للأمر ولا يأتي لغيره بعكس المرتجل كما تقدم •

٣ ـــ المرتجل والمنقول سماعيان لا يقاس عليهما •

٤ ـــ المعدول قياسي وهو بني على وزن فعال من كل فعل ثلاثي مجرد تام متصرف •

وسيأتي مزيد منه في أثناء هذا الكتاب •

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

الاعراب :

(قل من يرزقكم من السماء والارض) من اسم استفهام مبتدأ وجملة يرزقكم خبر ومن السماء جار ومجرور متعلقان بيرزقكم والأرض معطوفة • (أم من يملك السمع والابصار) أم حرف عطف وهي منقطعة لأنها ليست مسبوقة بهمزة الاستفهام ولا بالتسوية ومن اسم استفهام مبتدأ وجملة يملك خبر والسمع مفعول به والابصار عطف على السمع • (ومن يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر) عطف أيضاً وما بعده عطف • (فسيقولون الله) الفاء استئنافية ويقولون فعل وفاعل والله خبر لمبتدأ محذوف أي هو الله أو مبتدأ والخبر محذوف والتقدير يفعل هذه الأشياء كلها والجملة مقول القول • (فقل أفلا تتقون) الفاء الفصيحة وقل فعل أمر والهمزة للاستفهام والفاء حرف عطف ولا نافية وتتقون فعل مضارع وفاعل • (فذلكم الله ربكم الحق) الفاء عاطفة وذلكم مبتدأ والله خبر وربكم بدل من الله أو صفة والحق صفة لربكم ويجوز أن يعرب الله مبتدأ ثانياً وربكم خبره والجملة خبر اسم الاشارة • (فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون) الفاء عاطفة وماذا تقدم أن فيها وجهين الأول أن تكون كلها اسماً واحداً لتركبهما وغلب الاستفهام على اسم الاشارة وصار معنى الاستفهام هنا النفي ولذلك أتى بعده بإلا وهو في محل رفع مبتدأ والثاني أن يكون ذا موصولا خبراً لما الاستفهامية وبعد ظرف متعلق بمحذوف حال وإلا أداة حصر والضلال بدل من ذا والاستفهام بمعنى النفي أيضاً ، والفاء عاطفة وأنى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب حال من فاعل تصرفون وتصرفون بالبناء للمجهول فعل مضارع ونائب فاعل (كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا

أنهم لا يؤمنون) الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف والاشارة بذلك الى المصدر المفهوم أي مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار به في قوله «فسيقولون الله» أو الاشارة الى الحق، وحقت كلمة ربك فعل وفاعل وعلى الذين جار ومجرور متعلقان بحقت وجملة فسقوا صلة وأن وما في حيزها بدل من كلمة ربك أي حقيق عليهم أنهم لا يؤمنون وجملة لا يؤمنون خبر ان .

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

الاعراب :

(قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) هل حرف استفهام ومن شركائهم خبر مقدم ومَنْ موصول مبتدأ مؤخر وجملة يبدأ الخلق صلة وثم حرف عطف على يبدأ . (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون) الله مبتدأ وجملة يبدأ الخلق خبره والجملة الاسمية مقول القول ثم يعيده عطف على يبدأ والفاء عاطفة وأنى اسم

استفهام بمعنى كيف في محل نصب على الحال وتؤفكون فعل مضارع بالبناء للمجهول والواو نائب فاعل • (قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق) احتجاج آخر على ما ذكر ومن شركائكم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر ويهدي فعل مضارع يتعدى الى اثنين ثانيهما إما باللام أو بإلى وقد يحذف حرف الجر تخفيفاً وقد جمع في هذه الآية بين التعديتين بحرف الجر فعدى الأول والثالث بإلى وعدى الثاني باللام وحذف المفعول به الاول من الأفعال الثلاثة والتقدير هل من شركائكم من يهدي غيره الى الحق قل الله يهدي من يشاء للحق أفمن يهدي غيره الى الحق ؟ وسيأتي السر في مخالفة حروف الجر في باب البلاغة • (قل الله يهدي للحق) تقدم اعراب نظيرها • (أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع) الهمزة للاستفهام الانكاري وهو ثامن سؤال لم يذكر جوابه وهو هنا الله ومن مبتدأ وأحق خبره وأن حرف مصدري ونصب ويتبع بالبناء للمجهول والمصدر المؤول مضاف لأحق بعد نصبه بنزع الخافض أي أحق بالاتباع • (أم من لا يهدي إلا أن يهدى) أم عاطفة ومن مبتدأ وجملة لايهدي صلة وإلا أداة حصروأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض والجار والمجرور في محل نصب حال فالاستثناء مفرّغ من أعم الأحوال أي لا يهدي أو يهتدي في حال من الأحوال إلا في حال اهدائه أي اهداء الآخرين إياه والخبر محذوف تقديره أحق ولك أن تنسق من على الاولى فلا تحتاج الى الخبر • (فما لكم كيف تحكمون) الفاء استئنافية وما استفهامية مبتدأ ولكم خبره أي فأي شيء ثبت لكم في اتخاذ هؤلاء العاجزين عن هداية أنفسهم فكيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله أنداداً وشركاء ؟ (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً) كلام مستأنف مسوق لبيان السر في عدم اكتناههم الحق وفهمهم لمضمون البرهان وما نافية ويتبع أكثرهم فعل وفاعل وإلا أداة حصر

وظنا مفعول به • (إن الظن لا يغني من الحق شيئاً) كلام مستأنف مسوق لبيان العلة في إخفاقهم في الفهم وعدم الاكتناه ، وإن واسمها وجملة لا يغني خبرها ومن الحق حال مقدمة وشيئاً مفعول مطلق أي شيئاً من الاغناء أو مفعول به بتضمين يغني معنى يدفع • (إن الله عليم بما يفعلون) ان واسمها وخبرها وبما متعلقان بعليم وجملة يفعلون لا محل لها لأنها صلة ما سواء كانت موصولة أو مصدرية •

البلاغــة :

مخالفة حروف الجر :

وهذا باب تقدمت الاشارة اليه في الأنفال وهو ينطوي على السر في مخالفة حروف الجر وأكثر الناس يضعون هذه الحروف في غــير مواضعها ويجهلون الدقائق الكامنة في وضعها حيث وضعت وهنا عدى فعل هدى الى الحق بإلى مرتين وفي الثالثة عداه باللام ، والنحاة يغفلون عن هذا السر ويقولون إن مايصح جره بإلى يجوز جره باللام التي تفيد الغاية مثلها ولا عكس فلا يقال في قلت له : قلت اليه ، ويقولون الماء في الكأس لأن في للظرفية ويجيزون التعــدي بالباء لأنهــا تخلفها في الظرفية ولا يجوز أن يقال في مررت به : مررت فيه ، إذا تقرر هذا نقول ، والله أعلم ، ان هناك سراً وراء الصورة فالهداية لمّا أسندت اليهم وجبت تعديتها بإلى التي تفيد البعد كأنها ضمناً بعيدة عنهم ولكنها لما أسندت الى الله تعالى وجب تعديتها باللام التي تفيد القرب كأنها من خصائصه وحده وملك يمينه وهو المنفرد بها على وجه الديمومة والكمال وستأتي نماذج من هذه المخالفة السامية •

وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾

الاعراب :

(وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) الواو استئنافية وما نافية وكان واسمها والقرآن بدل من هذا وان وما في حيزها خبر كان أي افتراء . (ولكن تصديق الذي بين يديه) الواو عاطفة ولكن مخففة مهملة وتصديق معطوف على افتراء المؤولة ووقعت لكن أحسن موقع لأنها بين نقيضين وهما الكذب والصدق ولهـذا لا حاجة الى الاوجه التي تكلفها بعض الأئمة وهي سائغة ومقبولة ولكن ما أوردناه أولى بالتقديم والذي مضاف لتصديق وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة

الموصول ويديه مضاف لبين بمعنى أمامه • (وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين)وتفصيل عطف على تصديق ولا نافية للجنس وريب اسمها مبني على الفتح وفيه خبر لا ومن رب العالمين حال وجملة لا ريب فيه معترضة وهو الظاهر بين تفصيل ومن رب العالمين والتقدير ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب كائناً من رب العالمين وجنح الزمخشري الى جعل لا ريب فيه حالاً داخلاً في حيز الاستدراك كأنه قيل ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً منتفياً عنه الريب كائناً من رب العالمين ولك أن تعلق من رب العالمين بتفصيلاً ويكون لا ريب فيه اعتراضاً • (أم يقولون افتراه) أم عاطفة منقطعة فهي بمعنى بل حتى لقد وردت قراءة شاذة بها فهي للاضراب الانتقالي ، والهمزة للاستفهام الانكاري للواقع واستبعاده ويجوز أن تكون متصلة وحينئذ فلا بد من حذف جملة ليصح التعادل والتقدير أيقرون به أم يقولون افتراه وجملة افتراه مقول القول • (قل فأتوا بسورة مثله) الفاء الفصيحة أي قل تبكيتاً لهم إن كان الأمر كما تقولون فأتوا وأتوا فعل أمر وفاعل وبسورة جار ومجرور متعلقان بأئتوا ومثله صفة • (وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) وادعوا عطف على فأتوا والواو فاعل ومن اسم موصول مفعول به وجملة استطعتم صلة ومن دون الله حال وإن شرطية وكنتم فعل الشرط والتاء اسم كان وصادقين خبر كان وجواب الشرط محذوف أي فأتوا وادعوا •(بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله) بل حرف اضراب وعطف وكذبوا فعل وفاعل وبما متعلقان بكذبوا وجملة لم يحيطوا صلة ما والواو للحال ويجوز أن تكون عاطفة أي بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وبما لم يأتهم تأويله ، أو هذه الجملة في محل نصب على الحال أي كذبوا به حال كونهم لم يفهموا ما كذبوا به ولا بلغته عقولهم ، ولما حرف جازم ويأتهم مضارع مجزوم بلما والهاء

مفعول به وتأويله فاعل يأتهم ويجوز أن تكون الواو للعطف والجملة معطوفة على لم يحيطوا فتكون داخلة في حكم الصلة ولمجيء « ما » سر ستقف عليه في باب البلاغة . (كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الكاف نعت لمصدر محذوف أي كذلك التكذيب كذبوا رسلهم ، وكذب الذين فعل وفاعل ومن قبلهم صلة الذين ، فانظر : الفاء عاطفة على محذوف أي فأهلكنا فانظر وكيف اسم استفهام في موضع نصب على أنه خبر كان ولا يصح أن يعمل فيه الفعل فانظر لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه وعاقبة اسمها والظالمين مضاف اليه . (ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين) ومنهم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة يؤمن به صلة وجملة ومنهم من لا يؤمن عطف على الجملة السابقة وربك مبتدأ وأعلم خبر وبالمفسدين جار ومجرور متعلقان بأعلم .

البلاغة :

لـ « لما » في قوله تعالى « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » سر عجيب أفاد الكلام معنى لم يكن ليتأتى لولا دخولها لأنها تفيد التوقع بعد نفي الإحاطة بعلمه فقد أفادت الأمور التالية :

١ ــ انهم كذبوا على البديهة قبل أن يتدبروه ويكتنهوا مطاويه.

٢ ــ الإصرار على التقليد الأعمى ومساوقة آبائهم الذين طبعوا على اللجاج والسفسطة وإنكار الحق رغم ظهوره ونصاعته .

٣ ــ ان التكذيب قبل الاحاطة بالعلم ربما يوهم لهم عذراً فجاءت كلمة « لما » حاسمة مشعرة بأنهم قد أحاطوا بعلمه قطعاً لحججهم وتحقيقاً لشقائهم .

وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٤١) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٢) وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (٤٣) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٤)

الاعراب :

(وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم) الواو عاطفة وإن شرطية وكذبوك فعل وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط ، فقل الفاء رابطة لأن ما بعدها جملة طلبية وقل فعل أمر ولي خبر مقدم وعملي مبتدأ مؤخر ولكم عملكم عطف وجملة لي عملي في محل نصب مقول القول . (أنتم بريئون مما أعمل) أنتم مبتدأ وبريئون خبر ومما متعلقان ببريئون وجملة أعمل صلة الموصول . (وأنا بريء مما تعملون) عطف على ما تقدم والاعراب ظاهر . (ومنهم من يستمعون إليك) الواو عاطفة ومنهم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر ويستمعون صفة لمن اذا كانت نكرة موصوفة أي ناس يستمعون وصلة إذا كانت موصولة وأعاد الضمير جمعاً مراعاة لمعنى من والأكثر مراعاة لفظه كقوله « ومنهم من ينظر اليك » وقد تقدمت الاشارة الى ذلك مراراً واليك

متعلقـان بيسمعون • (أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) الهمزة للاستفهـام الانكاري والفاء عاطفـة للتعقيب وفيه الوجهـان المشهوران من اعتبار الحذف للمعطوف عليه أو اعتبار التقديم والتأخير وقد تقدمت الاشارة اليهما والواو عاطفـة ولـو وصلته وكانوا كان واسمها وجمـلة لا يعقلون خبرها • قال الزجـاج : معناه ولو كانوا جهالاً بالاضافة الى الصمم وإذا اجتمـع سلب السمع والعقل فقد تم الأمر وفقد الانسان كل خصائص انسانيته • (ومنهم من ينظر اليك) عطف على سابقتها ومثيلتها ولكنه حمل الضمير هنا على لفظ من والفرق بين الموضعين أن الغالب على المستمعين أن يكونوا جماعة والغالب على الناظر أن يكون مفرداً • (أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون) عطف على ما تقدم والمعنى ولو انضم الى عـدم البصر عـدم البصيرة وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة قوله أفأنت تسمع الصم وقوله أفأنت تهدي العمي وكـل منهما معطوف على جملة مقـدرة مقابلة لها وكلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق أي أفأنت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلـون ، أفأنت تهـدي العمي لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون أي لاتسمعهم ولا تهديهم على كل حال وسيأتي المزيد من هـذا التشبيه في باب البلاغة • (إن الله لايظلم الناس شيئاً) إن حرف مشبه بالفعل والله اسمها وجملة لا يظلم خبرها والناس مفعول به وشيئاً مفعول مطلق أي شيئاً من الظلم ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً ليظلم بمعنى لا ينقص الناس شيئاً من أعمالهم • (ولكن الناس أنفسهم يظلمـون)الواو حالية ولكن حرف استدراك ونصب والناس اسمها وأنفسهم مفعول مقدم ليظلمون وجملة يظلمون خبر لكن •

البلاغــة :

١ ـ الاستعارة التمثيلية :

في قوله تعالى « ومنهم من يستمعون اليك » الى آخر الآية استعارة تمثيلية وقدم تقدم القول ان الاستعارة التمثيلية هي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة فقد شبههم في عدم الاهتداء بالصم والعمي بل هم أعظم فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولأن الأصم العاقل ربما استعان بالفراسة على الاستدلال والأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنّن وقد جاء المشبه به مركباً لأن المشبــه مركب أيضاً ولو أنه لجأ الى التشبيه لضؤل الأثر الفني ولم تكن له تلك القيمة التي نلاحظها في الاستعارة لان الاستعارة وان تكن مبنية على المشاهدة إلا أن تركيبها يحملنا على تناسي التشبيه ويدعونا لتخيل صورة جديدة وهي من ناحية اللفظ ـ كما ترى في الآية ـ تترك التعبير الثنائي أي المشبه والمشبه به وتستعمل التعبير الأحادي الذي يدعي أن ليس هناك إلا شيء واحد تتحدث عنه ويبقى للابتكار أثره في عقد الاستعارة الموفقة وفي هذا المضمار تتجلى عبقرية الفنانين والمبدعين .

هذا وقد رمق أبو الطيب سماء هذه البلاغة بقوله :

واذا خفيت عــلى الغبي فعاذر ... أن لا تراني مقلــة عميــاء

يريد أنه اذا خفي مكانه على الغبي وهو الجاهل الذي لا يعرف شيئاً ولم يعرف قدري ولم يقر بفضلي فأنا أعذره لأن الجاهل كالأعمى،

والمقلة العمياء إن لم تر فهي في عـذر لعماها وكذلك الجاهل الـذي يجهلني ويجهل قدري ومن قبل المتنبي قيل :

وقد بهرت فما أخفى على أحد   إلا عـلى أكمه لا يعرف القمرا

٢ ـ التهذيب :

وفي هذه الآيات المتقدمة فن بديعي يقـال له فن التهـذيب وقد أطال فيه علماء هـذا الفن ويمكن تلخيصه بأنه وصف يعـم كل كلام منتخل وهو ترداد النظر في الكلام بعد عمله ، وامعان الفكر في تهذيبه وتنقيحه نظماً كان أو نثراً ، وكشف ما يشكل من عويص معانيه وغريب إعرابه وطرح ما يتجافى عـن مواطن الرقة من لفظ قاس وكلمة نابية جافية وقد عبر عنه أبو تمام في وصيتة للبحتري ، نقل عن أبي عبادة قال : « كنت في حداثتي أروم الشعر وأرجع فيه الى طبع سليـم ولم أكن وقفت له على تسهيل مأخذ ووجوه اقتضاب حتى قصدت أبا تمام وانقطعت اليه فكان أول ما قال لي : يا أبا عبيدة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم ، واعلم أن العادة في الأوقات اذا قصد الانسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار وقت السحر ولا تعمل نظماً ولا نثراً عند الملل فإن الكثير منه قليل والخواطر ينابيع إذا رفقت بها جمت ،واذا عنفت عليها نزحت ، وترنم بالشعر وقت عمله فإنـه يعين عليه وقد يتخيـل الشاعر الشعر الجيد فيمكنه مرة ولا يمكنه أخرى وإياك وتعقيـد المعاني واجعـل المعنى الشريف في اللفظ اللطيف لئلا يتنف أحـدهما الآخر ومتى عصى الشعر اتركـه ومتى طاوعك عاوده وروّح الخاطر اذا كلّ واعمل في أحب المعاني اليك وفي كل ما يوافقه طبعك فالنفوس تعطي على الرغبة ولا تعطي على الاكراه واعمل الأبيات

متفرقة على ما يجود به الخاطر ثم انظمها في الآخر وحصل المبدأ والمقطع والمخرج فهو أصعب ما في القصيدة وميّز بفكرك محطّ الرسالة ومصبّ القصيدة فإنه أسهل عليك وانظمها أولاً وهذبها آخراً » .

التهذيب في الآية :

أما الآية التي نحن بصدد البحث فيها ، فهي قوله تعالى « ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ، ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون » فإن لقائل أن يقول : ما فائدة الفاصلتين وقد أغنى عنهما ما قبلهما ؟ فيقال في الكلام تقديم وتأخير اذا علم سقط معه السؤال وهو أن يقال : « ومنهم من ينظر اليك ولو كانوا لا يبصرون أفأنت تهدي العمي » والاخرى كذلك ، ويرد على ذلك قول من يقول : فما الداعي الى وضع الكلام على التقديم والتأخير الذي هو أحد أسباب التعقيد ؟ قلت : الداعي اليه توخي الاتيان بمقاطع الكلام متماثلة مع ما قبلها ومع ما بعدها من الفواصل فإن قبلها : « وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون » . وبعدها « إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم كانوا يظلمون » ومعظم فواصل السورة على هذه الزنة والتقفية .

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ (٤٥) وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ

شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾

الاعراب :

(ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار) الظرف متعلق بيتعارفون على أصح الأقوال وجملة يحشرهم مضاف اليها وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة لم يلبثوا خبر كأن وجملة كأن لم يلبثوا جملة حالية من الهاء في يحشرهم وإلا أداة حصر وساعة ظرف متعلق بيلبثوا ومن النهار صفة لساعة • (يتعارفون بينهم) الجملة حالية من الواو في يلبثوا فتكون حالاً متداخلة أو من الضمير في يحشرهم فتكون حالاً مترادفة ، وبينهم ظرف متعلق بيتعارفون والمعنى بعد هذا الاعراب إن الخلق يعرف بعضهم بعضاً في ذلك الوقت كما كانوا في الدنيا وكأنهم لم يمكثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا العذاب ويتبرأ بعضهم من بعض ، وهناك أعاريب أخرى يضيق عن استيعابها المجال وما أوردناه أقربها • (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين) قد حرف تحقيق وخسر الذين فعل وفاعل وجملة كذبوا صلة وبلقاء الله جار ومجرور متعلقان بكذبوا وجملة قد خسر مستأنفة والواو عاطفة وما نافية وكان واسمها ومهتدين خبرها وهي معطوفة على قد خسر أو على صلة الذين لأن من كذب بالله غير مهتد • (وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينّك) إن شرطية وما زائدة ونرينك فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم فعلُ

الشرط والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به وبعض مفعول ثان والـذي مضاف اليه وجملة نعدهم صلة وأو حرف عطف وتتوفينك عطف عـلى نرينك • (فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد عـلى مايفعلون) الفاء رابطة والينا خبر مقدم ومرجعهم مبتدأ مؤخر والجملة جواب الشرط ثم حرف عطف لا للترتيب الزماني بل لترتيب الأخبار والله مبتدأ وشهيد خبر وعلى ما يفعلون متعلقان بشهيد وجملة يفعلون صلة • (ولكل أمة رسول) لكل خبر مقدم وأمة مضاف لكل ورسول مبتدأ مؤخر (فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) الفاء عاطفة على صفة رسول أي يُبعث إليهم فإذا ، واذا ظرف مستقبل وجملة جاء رسولهم مضاف إليها وجملة قضي لا محل لها وبينهم ظرف متعلق بقضي وبالقسط حال من فاعل قضى وهم الواو حرف عطف أو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يظلمون خبر •

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ

ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾

الاعراب :

(ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) الواو استئنافية ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل ومتى استفهام عن الزمان متعلق بمحذوف خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر والوعد بدل وهذا التعبير بمثابة استبعاد لما وعدوه من عذاب وان شرطية وكنتم فعل الشرط والتاء اسم كان وصادقين خبرها والجواب محـذوف أي فمتى هذا الوعد ؟ (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله) جملة لا أملك مقول القول ولنفسي متعلقان بأملك وضراً مفعول به ولا نفعـاً عطف عـلى ضراً وإلا أداة استثناء أو حصر لوجود النفي وما اسم موصول مستثنى قيل الاستثناء متصل وقيل منقطع وإذا كانت « إلا » حصراً فما بدل من ضراً ونفعاً وجملة شاء الله صلة • (لكل أمة أجل) تتمة مقول القول ولكل خبر مقدم وأمة مضاف اليه وأجل مبتدأ مؤخر • (إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) إذا ظرف مستقبل وجملة جاء مضاف اليها وأجلهم فاعل جاء والفاء رابطة ولا نافية وجملة يستأخرون لا محل لها لأنها جواب إذا وساعة ظرف متعلق بيستأخرون ولا يستقدمون عطف على فلا يستأخرون • (قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً) قل فعل أمر وفاعله أنت أي محمد وجملة أرأيتم مقول القول وقد تقدم الكلام في سورة الأنعام على أرأيتم وقلنا هناك أن العرب تضمن أرأيت معنى أخبرني وانها تتعدى اذ ذاك الى مفعولين وان المفعول الثاني يكون غالباً جملة استفهام ينعقد منها

مع ما قبلها مبتدأ وخبر تقول العرب أرأيت زيد ما صنع والمعنى أخبرني عن زيد ما صنع ، اذا ذكرت هذا فأرأيتم هنا المفعول الاول لها محذوف ولا يصح أن تقع جملة الشرط موقعه والمسألة من باب التنازع تنازع أرأيتم وإن أتاكم في قوله عذابه وإعمال الثاني هو المختار فلما أعمل حذف من الاول والمعنى قل لهم يا محمد أخبروني عن عذاب الله إن أتاكم أي شيء تستعجلون منه وليس شيء من العذاب يستعجله عاقل لأن العذاب كله مرّ المذاق سيء المغبة موجب للنفور منه ، وإن شرطية وأتاكم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والجواب جملة الاستفهام على تقدير الفاء في الجملة الاسمية وبياتاً منصوب على الظرف متعلق بأتاكم ، أو نهاراً عطف عليه • (ماذا يستعجل منه المجرمون) ما يجوز أن يكون في موضع رفع وذلك إذا كان ذا بمعنى الذي والمعنى ما الذي يستعجل منه المجرمون فيكون ما مبتدأ والذي خبره ويجوز أن يكون في موضع نصب وذلك اذا جعلت ما وذا اسماً واحداً والمعنى أي شيء يستعجل منه المجرمون فيكون مفعول يستعجل والمجرمون فاعل يستعجل • (أثم إذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون) أثم الهمزة للاستفهام الانكاري وثم حرف عطف وإذا ظرف مستقبل وما زائدة وجملة وقع في محل جر بالاضافة اليها وجملة آمنتم به صلة والظرف متعلق بآمنتم وآلآن الهمزة للاستفهام الانكاري والآن ظرف متعلق بمحذوف يفهم من سياق الكلام تقديره آلآن به تؤمنون والواو حالية وقد حرف تحقيق وكنتم كان واسمها وبه جار ومجرور متعلقان بتستعجلون وجملة تستعجلون خبر كنتم • (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون) ثم حرف عطف وقيل فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر وللذين متعلقان بقيل وجملة ظلموا صلة وجملة ذوقوا مقول القول وعذاب

مفعول به والخلد مضاف اليه وهل حرف استفهام وتجزون فعل مضارع ونائب فاعل وإلا أداة حصر وبما متعلقان بتجزون وجملة كنتم صلة وجملة تكسبون خبر كنتم .

البلاغة :

في قوله : بياتاً ونهاراً ، وضراً ونفعاً طباق تكرر فسمي مقابلة ، واستعارة مكنية في قوله ذوقوا عذاب الخلد وقد تقدمت الاشارة الى ذلك كله .

* وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٥٣) وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٤) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٥) هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦)

اللغة :

(الاستنباء) : طلب النبأ الذي هو الخبر .

(الافتداء) ايقاع الشيء بدل غيره لدفع المكروه به يقال فداه يفديه فدية وفداء وافتداه وفاداه مفاداة ، وافتدي يجوز أن يكون متعدياً وأن يكون لازماً فإذا كان مطاوعاً لمتعد كان لازماً تقول فديته فافتدى وإن لم يكن مطاوعاً يكون بمعنى فدى فيتعدى لواحد والفعل هنا يحتمل الوجهين فإن جعلناه متعدياً فمفعوله محذوف تقديره لافتدت به نفسها .

(أسروا الندامة) : قيل أسر من الأضداد يستعمل بمعنى أظهر ويستعمل بمعنى أخفى وهو المشهور في اللغة وهو في الآية يحتمل الوجهين .

الاعراب :

(ويستنبئونك أحقٌ هو قل إي وربي) ويستنبئونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به وأحق : الهمزة للاستفهام الانكاري المشوب بالاستهزاء وحق خبر مقدم وهو مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب مفعول به لستنبئونك وقيل الجملة في محل نصب بيقولون وتكون يستنبئونك متعدية لواحد وأصل استنبأ أن يتعدى الى مفعولين أحدهما بـ « عن » تقول استنبأت زيداً عن عمرو أي طلبت منه أن ينبئني عن عمرو . وقل فعل أمر وإي حرف جواب وسترد أحرف الجواب في باب الفوائد وربي الواو للقسم وربي مجرور بواو القسم والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف . (إنه لحق وما أنتم بمعجزين) إن واسمها واللام المزحلقة والواو حرف عطف على جواب القسم أو استئنافية مسوقة لبيان عدم خلوصهم من عذاب الله بوجه من الوجوه وما حجازية وأنتم اسمها والباء حرف جر زائد ومعجزين خبرها في

محل نصب محلاً ومجرور بالياء الزائدة لفظاً • (ولو أن لكل نفس ظلمت مافي الأرض لافتدت به) الواو استئنافية ولو شرطية امتناعية على ما هو الكثير فيها وأن حرف مشبه بالفعل ولكل خبر أن المقدم ونفس مضاف اليه وجملة ظلمت صفة لنفس وما اسم موصول في محل نصب اسم أن وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف أي لو ثبت ذلك، وفي الارض صلة ما واللام واقعة في جواب لو وافتدت به جملة فعلية لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم • (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) الواو عاطفة وأسروا الندامة فعل وفاعل ومفعول به ولما رابطة أو حينية وجملة رأوا مضاف اليها أو صلة والواو فاعل والعذاب مفعول به والمعنى أنهم بهتوا وشدهوا لرؤيتهم ما لم يكن يدور لهم بخلد أو يخطر لهم علـى بال فانطووا عـلى مضض وحاذروا بوحة المتجلد ولم يملكوا سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب وقيل أسروا الندامـة أظهروها من قولهم أسر الشيء واشره إذا أظهره قال هـذا أبو عبيدة والجبائي وأنكر الأزهري أن يكون بمعنى الاظهار وقـال إنه غلط محض لأن ما يكون بمعنى الاظهار يكون بالشين المثلثة • (وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) يجوز أن يكون الكلام مستأنفاً وأن يكون معطوفاً ، وقضي فعل ماض بالبناء للمجهول ونائب الفاعل مستتر وبينهم ظرف متعلق بقضي وبالقسط حال وهم الواو عاطفـة وجملة لا يظلمون خبر • (ألا إن لله مافي السموات والأرض) ألا كلمة تستعمل في التنبيه ويفتتح بها الكلام فتسمى استفتاحية وأصلها لا ، دخل عليها حرف الاستفهام تقريراً وتذكيراً فصارت تنبيهاً وكسرت إن بعد ألا لأن ألا يستأنف ما بعدها لينبه بها على معنى الابتداء ولذلك يقع بعدها الأمر والدعاء كقول امرىء القيس :

ألا عم صباحاً أيّها الطّلـــل البالي
وهل يعمن من كان في العصــر الخالي

ولله خبر إن المقدم وما اسمها المؤخر وفي السموات والارض صلة (ألا إن وعــد الله حق) ألا تأكيد لألا الأولى وقد صدرت الجملتان بحرفي التنبيه للدلالة على التحقيق والتسجيل لمضمونهما وإن واسمها وحق خبرها • (ولكن أكثرهم لا يعلمون) الواو حالية أو ستئنافية ولكن واسمها وجملة لا يعلمــون خبرها • (هو يحيي ويميت واليه ترجعون) هو مبتــدأ وجملة يحيي خبر وجملة يميــت عطف واليه جار ومجرور متعلقان بترجعون •

الفوائــد :

حروف الجواب :

حروف الايجاب أو الجواب أو التصديق هي : نعم وبلى وأجل وجير وإي وإن ، وقد تقدم القول في بعضها ونتكلم هنا عن إي وإن ؛ فأما إي فحرف إيجاب لا يستعمل إلا في القسم قال الله تعالى « قل إي وربي لتبعثن » وهمزتها مكسورة والياء فيها ساكنة قال الزمخشري : « وسمعتهم يقولون إيوَ فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده » وقال غيره : « ومنه قول الناس في الجواب إي والله وقولهم « إيوه » فالواو للقسم والهاء مأخوذة من الله » فقول العامة « إيوه » صحيح لا غبار عليه •

حروف التنبيه :

هي : ها وألا وأما ، ومعنى هــذه الحروف تنبيــه المخاطب الى

ما تحدثه به فإذا قلت هذا عبد الله منطلقاً فالتقدير اظر اليه منطلقاً أو انتبه عليه منطلقاً فأنت تنبه المخاطب لعبد الله حال انطلاقه وقال النابغة :

ها إنّ تَا عِذْرة إن لم تكن نفعت

فإن صاحبها قد تاه في البلد

فأدخل ها التي للتنبيه على إن والعذر والمعذرة والعذرى واحد والعذرة بالكسر كالركبة والجلسة بمعنى الحالة قال آخر :

تقبّلَ عِذرتي وحَبا بِدُهمٍ

يُصمّ حنينها سمعَ المنادي

وأكثر ما تدخل ها على أسماء الاشارة والضمائر كقولك هذا وهذه وهأنذا وها أنت ذا وهاهي ذه وما أشبه ذلك وإنما كثر التنبيه في هذه الأسماء المبهمة لتحريك النفس على طلب بعينه إذ لم تكن علامة تعريف في لفظه والفرق بين ألا وأما أن أما للحال وألا للاستقبال فتقول أما ان زيداً عاقل تريد أنه عاقل على الحقيقة لا على المجاز فأما قول الهذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي

أمات وأحيا والذي أمره الأمر

فأدخل أما على حرف القسم كأنه ينبه المخاطب على استماع قسمه وتحقيق المقسم عليه وقد يحذفون الألف عن أما فيقولون أم والله وفي كلام هجرس بن كليب « أم وسيفي وزريه ، ورمحي ونصليه ، وفرسي وأذنيه ، لا يدع الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه » .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

الإعراب :

(يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم) قد حرف تحقيق وجاءتكم موعظة فعل ومفعول به وفاعل ومن ربكم صفة لموعظة وتكون من للتبعيض ، أو متعلقة بجاءتكم فتكون للابتداء . (وشفاء لما في

الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) وشفاء عطف على موعظة وشفاء هو في الأصل مصدر جُعل وصفاً للمبالغة أو هو اسم لما يشفى به ويتداوى، ولما في الصدور يجوز أن يكون صفة لشفاء فيتعلق بمحذوف وان تكون اللام زائدة في المفعول به وفي الصدور صلة ما ، وهدى ورحمة معطوفان أيضاً وللمؤمنين صفة • (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) الباء متعلقة بمحذوف وأصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته فبذلك ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة الحصر ثم أدخلت الفاء لإفادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ثم قال فبذلك فليفرحوا للتأكيد والتقرير ثم حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه والفاء الأولى جزائية والثانية للسببية ثم قالوا الفاء الداخلة على بذلك زائدة وبذلك بدل من بفضل والأَوْلى أن تكون عاطفة وبذلك عطف على بفضل الله وذلك أصح من جعلها زائدة أما الفاء الداخلة على فليفرحوا فهي الفصيحة لأنها داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء فليخصوها بالفرح فانه ليس ثمة ماهو أدعى الى الفرح وأثلج للصدور منهما وهو مبتدأ وخير خبر ومما متعلقان بخير ويجمعون صلة ما •(قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) أرأيتم تقدم القول انها بمعنى أخبروني وما أنزل الله : ما اسم موصول مفعول لأرأيتم أو لأنزل وجملة أنزل صلة والعائد محذوف أي أنزله الله ويجوز أن تكون ما استفهامية في محل نصب بأنزل وهي حينئذ معلقة لأرأيتم عن العمل ويجوز أن تكون استفهامية في محل رفع بالابتداء وجملة آلله أذن لكم خبر ولكم متعلقان بأنزل ومن رزق حال • (فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون) فجعلتم عطف على أنزل وجعلتم فعل وفاعل ومنه متعلقان بجعلتم وحراماً مفعول جعلتم وحلالاً عطف ، آلله الهمزة للاستفهام الانكاري والله

مبتدأ وجملة أذن خبره ولكم متعلقان بأذن ، أم منقطعة بمعنى بل أو متصلة أي آلله أذن لكم أم تكذبون عليه ولعل اتصالها أظهر وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيفترون • ﴿ وما ظن الـذين يفترون عـلى الله الكذب يوم القيامة ﴾ الواو عاطفة وما استفهامية مبتدأ وظن خبرها والـذين مضاف اليه وجملة يفترون صلة وعـلى الله متعلقان بيفترون والكذب مفعول به ويوم القيامة ظرف متعلق بالظن والمعنى أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم أنه صانع بهم فمفعولا الظن سدت مسدهما أن المقدرة وما بعدها • ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾ إن واسمها واللام المزحلقة وذو فضل خبرها وعلى الناس متعلقان بفضل ولكن الواو حالية أو استئنافية ولكن واسمها وجملـة لا يشكرون خبرها • ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ﴾ الواو عاطفة وما نافية وتكون فعل مضارع ناقص واسمها مستتر أي أنت ، وفي شأن خبر تكون ، وما : الواو عاطفة وما نافية تتلو فعـل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت ومنه متعلقان بتتلو والضمير يعود الى القرآن أو الى الشأن فتكون من تعليلية أي من أجل الشأن الذي كنت مسترسلاً فيه ومن زائدة وقرآن مفعول به محلاً أي وما تتلون من التنزيل من قرآن لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم • ﴿ ولا تعملون من عمـل إلا كنا عليكـم شهوداً إذ تفيضون فيه ﴾ ولا تعملون عطف على ما تقدم ومن حرف جر زائد وعمل مفعول به محلاً أو مفعول مطلق وإلا أداة حصـر وكنا كان واسمها وعليكـم متعلقان بقوله شهوداً أي شاهدين وشهوداً خبر كنا ، وشهود جمع شاهد وكذلك اشهاد، وإذ ظرف لما مضى متعلق بشهوداً وجملة تفيضون مضافة للظرف وفيه متعلقان بتفيضون • ﴿ وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ﴾ الواو حرف عطف وما نافية وعن ربك

جار ومجـرور متعلقان بيعزب ومن حرف جر زائد ومثقال ذرة فاعل يعزب محلاً وفي الارض حال من مثقـال ذرة أو صفة ولا في السماء عطف . (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبـين) الواو أستئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما تقدم ولا نافية للجنس وأصغر اسمها ومن ذلك متعلقان بأصغر ولا أكبر عطف على ولا أصغر وإلا أداة حصر وفي كتاب مبين خبر لا ومبين صفة لكتاب .

وعبارة ابن هشام في المغني : « وأما قوله تعالى : وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولافي السماء ولاأصغر من ذلك ولاأكبر» فظاهر الأمر جواز كون أصغر وأكبر معطوفين على لفظ مثقال أو على محله وجوز كون لا مـع الفتح تبرئة ومع الرفـع مهملة أو عاملة عمل ليس ويقوي العطف انه لم يقرأ في سورة سبأ في قوله سبحانه وتعالى : « عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة » الآية إلا بالرفع لما لم يوجد الخفض في لفظ مثقال ولكن يشكل عليه ثبوت العزوب عند ثبوت الكتاب كما انك إذا قلت ما مررت برجل إلا في الدار كان إخباراً بثبوت مرورك برجل في الدار واذا امتنـع هذا تعين ان الوقف على انسماء وان وما بعدها مستأنف واذا ثبت ذلك في سورة يونس قلنا به في سورة سبأ وان الوقف على الارض وانه انما لم يجيء فيه الفتح اتباعاً للنقل وجوز بعضهم العطف فيهما على أن لا يكون معنى يعزب يخفى بل يخرج الى الوجود .

البلاغـة :

في قوله تعالى « وما يعزب عن ربك من مثقـال ذرة في الأرض ولا في السماء » تقديم الأرض في الذكر على السماء ومن حقها التأخير

لأن الأرض جزء من السماء وما فيها من أفلاك ونجوم سوابح وهو جزء ضئيل جداً من حقه التأخير ولكنه جنح الى تقديمه لأنه في معرض حديثه عن الأرض وذكر شهادته على شئون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم ومعايشهم ووصل ذلك بقوله وما يعزب ، لاءم بينهما ليلي المعنى المعنى فإن قيل قد جاء تقديم الأرض على السماء في الذكر في مواضع كثيرة من القرآن قلنا : إذا جاءت مقدمة في الذكر فلا بد لذلك من سبب اقتضاه وإن خفي ذلك السبب وقد يستنبطه بعض الباحثين دون بعض وسيأتي من غرائب التقديم والتأخير ما يدهش العقول في مواضعه من هذا الكتاب •

الفوائد :

في قوله تعالى « إلا في كتاب مبين » إشكال واضح ، إذ ما حقيقة هذا الاستثناء ؟ وهل هو متصل أو منقطع؟ إن في جعله متصلاً إشكالاً لأنه يصير المعنى إلا في كتاب فيعزب وهو فاسد فالأولى جعله منقطعاً وإلا بمعنى لكن والمعنى لا يعزب عن ربك شيء لكن جميع الأشياء في كتاب وقد حاول الفخر الرازي جعله متصلاً بعبارة طويلة محصلها أنه جعله استثناء مفرغاً من أعم الاحوال فقال وهو حال من أصغر وأكبر وهو في قوة المتصل ولا يقال فيه متصل ولا منقطع •

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا

يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٥)

اللغــــة :

(الولي) ضد العدو فهو المحب ومحبة العباد لله طاعتهم له ومحبته لهم إكرامه إياهم وعلى الأولى يكون فعيل بمعنى فاعل وعلى الثاني بمعنى مفعول فهو مشترك بينهما ، هذا وقد تقصينا جميع التراكيب في الكلمات التي فاؤها وعينها ولامها واو ولاماً وياء ، فرأيناها تنحصر في الدلالة على معنى القرب والدنويقالوَ لِيَه وَلْياً : دنامنه وأوليته إياه:أدنيتهمنه وَكلْ مما يليك وجلست مما يليه وسقط الوَلْيّ وهو المطر الذي يلي الوسمي وقد وُلِيت الأرضُ وهي مَوْلِيّة ووليَ الأمرَ وتوّلاه وهو وليه ومولاه وهو وَلِيّ اليتيم ووليُّ القتيل وهم أولياؤه ووَلِي ولايةً ، وهو والي البلد وهم ولاته ، ورحم الله ولاة العدل ، واستولى عليه وهــذا مولاي : ابن عمي ، وهــم مواليَّ ، ومولاي : سيدي وعبدي ، ومَوْلًى بيّن الولاية سيدٌ ناصر وهو أولى به ووالاه موالاة، ووالى بين الشيئين وهما على الولاءوتقول العرب : والِ غنمك من غنمي أي اعزلها وميزها وإذا كانت الغنم ضأناً ومعزىً قيل والها قال ذو الرمة :

يوالي إذا اصطكّ الخصوم أمـــامه

وجـــوه القضايا من وجـــوه المظالم

وولاه ركنه « فولّ وجهك شطر المسجد الحرام » وتوليته : جعلته ولياً « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » وتولاك الله بحفظه ووضع الوليّة على الراحلة وهي البرذعة قال أبو زبيد :

كالبلايا رؤسها في الولايا مانحات السّموم حرّ الخدود

وولّى عني وتولى و « أولى لك » ويل لك ، واستولى على الغاية وهذا من الغريب بمكان .

الاعراب :

(ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون) ألا حرف تنبيه يستفتح بها الكلام مركبة من الهمزة ولا النافية مغيرة عن معناها الأول إلى التنبيه ، وإن أولياء الله إن واسمها ولا نافية خوف مبتدأ وساغ الابتداء به لنفيه وعليهم خبر ولا الواو حرف عطف ولا نافية وهم مبتدأ وجملة يحزنون خبر .

(الذين آمنوا وكانوا يتقون) الذين آمنوا يحتمل موضعه ثلاثة أوجه متساوية الأرجحية الأول النصب على أنه صفة أولياء الله والثاني الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هم الذين آمنوا والثالث الرفع على الابتداء والخبر جملة لهم البشرى الآتية ، وجملة آمنوا صلة وكانوا يتقون عطف على الصلة وجملة يتقون خبر كانوا .

(لهم البشرى في الحياة الدنيا) لهم خبر مقدم والبشرى مبتدأ مؤخر وفي الحياة متعلق بمحذوف حال من البشرى والعامل في الحال الاستقرار في لهم والدنيا صفة للحياة وجملة لهم البشرى إما مستأنفة وإن جعلت الذين مبتدأ كانت في محل رفع خبر .

(وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله) وفي الآخرة عطف على في الحياة الدنيا ولا نافية للجنس وتبديل اسمها ولكلمات الله خبر لا .

(ذلك هو الفوز العظيم) ذلك مبتدأ وهو مبتدأ ثان والفوز خبر هو والجملة خبر ذلك والعظيم صفة الفوز والجملتان معترضتان (ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم) الواو حرف عطف ولا ناهية ويحزنك فعل مضارع مجزوم بلا والكاف مفعول به وقولهم فاعل وإن واسمها وكسرت همزتها لأن الجملة مستأنفة بمعنى التعليل لعزة الله ولا يجوز أن تكون كسرت لأنها وقعت بعد القول لأنه يصير حكاية عنهم وان النبي صلى الله عليه وسلم تحزّن لذلك وهذا كفر ولله خبر إن وجميعاً حال من العزة ويجوز أن يكون توكيداً ولم يؤنث بالتاء لأن فعيلاً يستوي فيه المذكر والمؤنث وهو مبتدأ والسميع خبره الأول والعليم خبره الثاني •

أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾

اللغة :

(يخرصون) أصل معنى الخرص الحزر أي التخمين والتقدير ويستعمل بمعنى الكذب لغلبته في مثله وفي المصباح : خرصت النخل خرصاً من باب قتل حزرت ثمره والاسم الخرْص بالكسر وخرَص الكافر خرْصاً كذب فهو خارص وخرّاص •

الاعراب :

(ألا إن لله مَن في السموات ومن في الأرض) ألا حرف تنبيه وقد تقدمت الاشارة إليه وإن حرف مشبّه بالفعل ولله خبرها المقدم ومن اسمها المؤخر وخص العقلاء بالذكر تضخيماً لأنهم اذا كانوا له وداخلين في ملكه فما وراءهم مما لا يعقل أولى أن لا يكون له نداً وشريكاً وفي السموات صلة من ومن في الأرض عطف على من في السموات •

(وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) ما نافية ويتبع الذين فعل مضارع وفاعل وجملة يدعون صلة ومن دون الله حال من شركاء لتقدمه عليه وشركاء مفعول به ليتبع ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى والتقدير وما يتبع الذين من دون الله آلهة شركاء أي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمّونها شركاء لأن شركة الله في الربوبية محال إن يتبعون إلا ظنهم أنهم شركاء ، ويجوز أن تكون ما استفهامية وتكون حينئذ منصوبة بما بعدها أي ما يتبع والى هذا الاعراب جنح أبو البقاء ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه يقول ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم ويجوز أن تكون ما الموصولة هذه في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف تقديره والذي يتبعه المشركون باطل فهذه أربعة أوجه أوردناها لتقاربها في الأرجحية وإن كان الأول أسهلها •

(إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون) إن نافية ويتبعون فعل وفاعل وإلا أداة حصر والظن مفعول به وإن نافية أيضاً وهم مبتدأ وإلا أداة حصر وجملة يخرصون خبر هم •

﴿ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ﴾ هو مبتدأ والذي خبر وجملة جعل صلة الموصول ثم الجعل إن كان بمعنى الابداع والخلق نصب مفعولاً واحداً وان كان بمعنى التصيير نصب مفعولين وعلى كل لكم متعلق بجعل والليل مفعول به لتسكنوا اللام للتعليل وتسكنوا منصوب بأن مضمرة والجار والمجرور إما مفعول لأجله أو مفعول به ثان وفيه متعلق بتسكنوا والنهار عطف على الليل ومبصراً إما حال وإما مفعول به ثان كما تقدم ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبر مقدم لإن واللام المزحلقة وآيات اسم إن المؤخر ولقوم صفة لآيات وجملة يسمعون صفة القوم .

البلاغة :

في قوله « والنهار مبصراً » مجاز عقلي فان إسناد الابصار الى النهار غير حقيقي وقد تقدم أن المجاز العقلي هو اسناد الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له على حد قول أبي تمام :

تكاد عطاياه يجنّ جنونها   إذا لم يعوذها بنغمة طالب

ويجوز أن يجري على أنه استعاره مكنية اذا قصد التشبيه ، ومنه قول جرير :

لقد لمتنا يا أم غالب في السّرى   ونمت وما ليل المطيّ بنائم

قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا

تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)

الاعراب :

(قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه) قالوا فعل وفاعل واتخذ الله ولداً فعل وفاعل ومفعول به والجملة مقول القول وسبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف .

(هو الغني له ما في السموات وما في الأرض) هو مبتدأ والغني خبره وله خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وفي السموات صلة وما في الأرض عطف على ما في السموات .

(إن عندكم من سلطان بهذا) إن نافية وعندكم ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد وسلطان مبتدأ مؤخر مرفوع محلاً مجرور لفظاً وبهذا صفة لسلطان (أتقولون على الله ما لا تعلمون) الهمزة للاستفهام الانكاري وتقولون فعل مضارع وفاعل وعلى الله متعلق بتقولون وما مفعول به وجملة لا تعلمون صلة .

(قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) قل فعل أمر وفاعله أنت وإن الذين إن واسمها وجملة يفترون صلة الذين وعلى الله متعلق بيفترون والكذب مفعول به وجملة لا يفلحون خبر إن .

(متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) متاع خبر لمبتدأ محذوف أي ذاك أو هو وفي الدنيا صفة ويجوز أن يكون متاع مبتدأ وخبره محذوف والتقدير لهم متاع وساغ الابتداء به لوصفه وثم حرف عطف وتراخ وإلينا خبر مقدم ومرجعهم مبتدأ مؤخر ثم حرف عطف أيضاً ونذيقهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول والعذاب مفعول به ثان والشديد صفة وبما الباء حرف جر للسببية وما مصدرية أي بسبب كونهم كافرون والجار والمجرور متعلقان بنذيقهم .

* وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾

اللغـــة :

(فأجمعوا) يقال أجمع الأمر وأزمعه اذا نواه وعزم عليه قال

المؤرج : أجمعت الأمر أفصح من أجمعت عليه وقال أبو الهيثم أجمع أمره اذا جعله جمعاً بعد ما كان متفرقاً (الغمة) ضيق الأمر من غمة إذا ستره ومنها قوله (صلى الله عليه وسلم) : « ولا غمة في فرائض الله » وغم الهلال إذا حال من دونه غيم يحجب رؤيته •

الاعراب :

(واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه) واتل فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله أنت وعليهم متعلقان باتل ونبأ مفعول به ونوح مضاف اليه وإذ ظرف لما مضى من الزمن في محل نصب بدل من نبأ بدل اشتمال أو متعلق به ، ولا معنى لقول أبي البقاء انه حال من نبأ كما لا يجوز تعليقه بالفعل وهو اتل لفساد المعنى لأن أتل مستقبل والظرف ماض وجملة قال لقومه مضافة للظرف (ياقوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت) يا حرف نداء وقوم منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وقد تقدم بحثه وان شرطية وكان فعل الشرط واسمها ضمير الشأن المحذوف وجملة كبر عليكم مقامي خبرها والمراد بتكبير المقام تعاظم الشقة ، والمقام بالفتح المنزلة والمكانة قال تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » والمقام بالضم الاقامة والقيام على الدعوة خلال مدة اللبث لأنه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وتذكيري عطف على مقامي وبآيات الله متعلقان بتذكيري فعلى الله الفاء رابطة والجار والمجرور متعلقان بتوكلت •

(فأجمعوا أمركم وشركاءكم) الفاء الفصيحة وأجمعوا فعل أمر والواو فاعل وأمركم مفعول به لأنه يتعدى بنفسه وبالحرف كما

تقدم في باب اللغة وشركاءكم الواو للمعية وشركاءكم مفعول معه نص على ذلك سيبويه وأنشد :

فكونوا أنتم وبني أبيكم مكان الكليتين من الطحال

وقال النحاس : في نصب الشركاء على قراءة الجمهور ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى وادعوا شركاءكم قاله الكسائي والفراء أي ادعوهم لنصرتكم فهو على هذا منصوب بفعل مضمر •

الثاني : وقال محمد بن يزيد المبرد هو معطوف على المعنى كما قال الشاعر :

ياليت زوجك في الوغى متقلداً سيفاً ورمحاً

والرمح لا يتقلد به لكنه محمول كالسيف •

الثالث : وقال الزجاج : المعنى مع شركائكم فالواو على هذا واو مع وأما على قراءة أجمعوا بهمزة وصل فالعطف ظاهر أي أجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم وأما توجيه قراءة الرفع فعلى عطف الشركاء على الضمير المرفوع في أجمعوا وحسن هذا العطف مع عدم التأكيد بمنفصل كما هو المعتبر في ذلك •

(ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) ثم حرف عطف وتراخ ولا ناهية ويكن مجزومة بلا وأمركم اسم يكن ويكن حال لأنه كان صفة في الاصل وتقدمت وغمة خبر يكن (ثم اقضوا إلي ولا تنظرون) ثم حرف عطف كما تقدم واقضوا فعل أمر وفاعل وإلي متعلق به ولا : الواو

عاطفة ولا ناهية وتنظرون أصله تنظرونني مجزوم بلا حذفت النون للجازم وحذفت ياء المتكلم للفواصل أي لا تمهلوني •

(فإن توليتم فما سألتكم من أجر) الفاء استئنافية وإن شرطية وتوليتم فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة وما نافية وسألتكم فعل وفاعل ومن زائدة وأجر مفعول به محلاً •

(إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) إن نافية وأجري مبتدأ وإلا أداة حصر وعلى الله خبر ، وأمرت : الواو عاطفة وأمرت فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل ، وأن أكون : أن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي بأن أكون . (فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف) الفاء عاطفة على ما تقدم وكذبوه فعل وفاعل ومفعول به ، فنجيناه عطف على كذبوه ومن اسم موصول معطوف على الهاء والظرف متعلق بمحذوف هو الصلة أي استقروا معه في السفينة وفي الفلك جار ومجرور متعلقان بنجيناه أو في الاستقرار الذي هو الصلة أي والذين استقروا معه في الفلك وجعلناهم خلائف فعل وفاعل ومفعولاه• (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) وأغرقنا عطف على نجيناه ونا فاعل والذين مفعول به وجملة كذبوا بآياتنا صلة وبآياتنا متعلقان بكذبوا • (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الفاء استئنافية وانظر فعل أمر وفاعله مستتر وكيف اسم استفهام خبر كان مقدم وعاقبة اسمها والمنذرين مضاف اليه •

البلاغة :

١ ــ المجاز العقلي في قوله تعالى « كبر عليكم مقامي » فقد أسند الكبر الى المقام والمقام هو كناية عن النفس لأن المكان من لوازمه •

٢ ـ الاستعارة المكنية في قوله تعالى « ثم اقضوا إلي » أي نفذوا ذلك الأمر أو أدوا الى ذلك الأمر ، شبه الأمر المحذوف بالدين ثم حذف المشبه به وأخذ شيئاً من خصائصه و هو القضاء يقال قضى فلان دينه أي أداه .

ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

الاعراب :

(ثم بعثنا من بعده رسلاً الى قومهم) عطف على قصة نوح ، وبعثنا وفاعل ومن بعده حال ورسلاً مفعول به والى قومهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة . (فجاءوهم بالبينات فما كانوا

ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) الفاء عاطفة وجاءوهم فعل وفاعل ومفعول به وبالبينات متعلقان بجاءوهم والفاء عاطفة وما نافية وكان واسمها واللام لام الجحود ويؤمنوا منصوب بأن مضمرة بعدها واللام ومدخولها خبر كان وبما متعلقان بيؤمنوا وجملة كذبوا صلة وبه متعلقان بكذبوا ومن قبل حال وبنيت قبل على الضم لانقطاعها عن الاضافة لفظاً لا معنى . (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) الكاف في محل نصب صفة لمصدر محذوف أي مثل ذلك الطبع نطبع وعلى قلوب المعتدين جار ومجرور متعلقان بنطبع . (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملئه بآياتنا) عطف قصة على قصة أيضاً من باب عطف الخاص على العام ، ومن بعدهم حال وموسى مفعول به لبعثنا وهارون معطوف على موسى والى فرعون متعلقان ببعثنا وملئه عطف على فرعون وبآياتنا متعلقان بمحذوف حال أي ملتبسين بآياتنا التسع التي سيصرّح بها في سورة « الإسراء » وهي قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » وقد تقدم منها ثمانية في سورة « الاعراف » اثنتان في قوله « فألقى موسى عصاه » وقوله : « ونزع يده » وواحدة في قوله « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين » وخمسة في قوله « فأرسلنا عليهم الطوفان » وستأتي التاسعة في هذه السورة في قوله « ربنا اطمس على أموالهم » أي امسخها حجارة كما سيأتي في حينه . (فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين) الفاء عاطفة واستكبروا فعل وفاعل وكانوا كان واسمها وقوماً خبرها ومجرمين صفة . (فلما جاءهم الحق من عندنا) الفاء عاطفة ولما حينية أو رابطة وجملة جاءهم مضافة أو لا محل لها والحقّ فاعل ومن عندنا متعلقان بجاءهم . (قالوا : إن هذا لسحر مبين) جملة قالوا لا محل وإن واسمها واللام المزحلقة وسحر خبر إن ومبين صفة . (قال موسى : أتقولون للحق لما جاءكم أسحر

هذا ولا يفلح الساحرون) قال موسى فعل وفاعل والهمزة للاستفهام وتقولون فعل مضارع وفاعل وللحق جار ومجرور متعلقان بتقولون ولما حينية وجملة جاءكم مضافة ، أسحر الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وسحر خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر والجملة مقول القول ولا الواو للحال ولا نافية ويفلح الساحرون فعل مضارع وفاعل والجملة حالية . (قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) قالوا فعل وفاعل والهمزة للاستفهام البياني الذي يستفرغ فيه المكابر المعاند حججه المتهافتة ليبرر إصراره على اللجاج والمواربة والعناد وجملة أجئتنا مقول القول وهو فعل وفاعل ومفعول به ولتلفتنا اللام للتعليل وتلفت فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وعما متعلقان بتلفتنا وجملة وجدنا صلة وعليه متعلقان بمحذوف حال تقديره عاكفين وآباءنا مفعول به . (وتكون لكما الكبرياء في الأرض) الواو عاطفة وتكون فعل مضارع ناقص ولكما خبرها المقدم والكبرياء اسمها المؤخر وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي ممتدة والكبرياء مصدر على وزن فعلياء ومعناها العظمة وقيل الملك لأن الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ، قال بشار بن برد :

إذا الملك الجبار صعّر خده ... مشينا إليه بالسيوف نعاتبه

ووصفوا بالصيد والشوس ولذلك وصف ابن الرقيات مصعباً في قوله :

ملكه ملك رأفة ليس فيه ... جبروت منه ولا كبرياء

ينفي ما عليه الملوك من ذلك .

(وما نحن لكما بمؤمنين) الواو عاطفة وما حجازية ونحن اسمها وبمؤمنين الباء زائدة ومؤمنين خبر ما محلاً •

الفوائـد :

قال ابن هشام في صدد حديثه عن حذف المفعول : « ومن غريبه حذف المقول وبقاء القول نحو : قال موسى : أتقولون للحق لما جاءكم ، أي هو سحر بدليل أسحر هذا » •

وهذا القول فيه شيء كثير من الغموض وقد تعقبه الدسوقي فقال : « ما ذكره المصنف أحد أوجه ذكرها في الكشاف وعبارته : فإن قلت : هم قطعوا بقولهم : إن هـذا لسحر مبين على أنـه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا ؟ قلت فيه أوجه أن يكون معنى قولـه أتقولون للحق : أتعيبونه وتطعنون فيه وكـان عليكـم أن تذعنـوا له وتعظموه ، من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الـذكر في قولـه : سمعنا فتى يذكرهم ثم قال : أسحر هذا فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول أتقولون وهو مـا دل عليه قولهم إن هذا لسـحر مبين كأنه قيل : أتقولون ماتقولون يعني قولهـم أن هذا لسحر مبين ثـم قيل أسحر هذا وان يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح » انتهى ما قاله الزمخشري وقد تصرف به الدسوقي تصرفاً مخلاً ولهذا آثرنا نقل ما قالـه الزمخشري بنصه من الكشاف ومـع ذلك لا يخلو من غموض ، وايضاحه : ان القول على الوجه الاول وقع كناية عن العيب فلا يتقاضى مفعولاً وفي الثاني على انه يطلب مفعولاً والذي نراه أن سؤال ابن هشام غير وارد واعتراض الزمخشري وتكلفه الاجابة عنه

غير وارد أيضاً ولهذا ضربنا صفحاً في الاعراب عن هذا كله وأحسن من الجميع عبارة أبي السعود وهي : « قال موسى : أي قال جملاً ثلاثاً الأولى أتقولون للحق لما جاءكم والثانية أسحر هذا والثالثة ولا يفلح الساحرون وقوله للحق أي في شأنه ولأجله وقوله : لما جاءكم أي حين مجيئه إياكم من أول الأمر من غير تأمل وتدبّر وهذا مما ينافي القول المذكور وقوله : انه لسحر هذا مقول القول فحذف لدلالة ما قبله عليه واشارة الى انه لا يتفوه به وقوله : أسحر هذا مبتدأ وخبر وهو استفهام إنكار مستأنف من جهته عليه السلام تكذيباً لقولهم وتوبيخاً إثر توبيخ وتجهيلاً بعد تجهيل وقوله ولا يفلح الساحرون جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول من قال : « جاء الشتاء ولست أملك عدة » أي أتقولون للحق إنه لسحر والحال انه لا يفلح فاعله أي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره عن مثلي من المؤيدين من العزيز الحكيم ».

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

الاعراب :

(وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم) الواو عاطفة لتتساوق

فصول القصة وقال فرعون فعل وفاعل وائتوني فعل أمر وفاعل ومفعول به وبكل متعلقان بائتوني وساحر مضاف اليه وعليم صفة . (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) الفاء عاطفة على محذوف أي فأتوا بالسحرة ، وجملة قال لهم موسى لا محل لها وألقوا فعل أمر وفاعل وما اسم موصول مفعول به وأنتم مبتدأ وملقون خبر والجملة الاسمية صلة الموصول وجملة ألقوا مقول القول . (فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر) ما اسم موصول مبتدأ وجملة جئتم به صلة والسحر خبر وفي قراءة آلسحر بهمزتين همزة استفهام وهمزة أل فتكون ما استفهامية في محل رفع مبتدأ وجئتم به الخبر والتقدير أي شيء جئتم به كأنه استفهام انكار وتقليل لما جاءوا به والسحر بدل من اسم الاستفهام لذلك أعيدت معه أداته أو يكون السحر خبراً لمبتدأ محذوف أي أهو السحر (إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين) إن واسمها وجملة سيبطله خبرها وإن واسمها وجملة لا يصلح خبرها وإن الثانية للتعليل وعمل المفسدين مفعول به . (ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) الواو عاطفة ويحق الله فعل وفاعل والحق مفعول به وبكلماته متعلقان بيحق ولو الواو حالية ولو وصلية وكره المجرمون فعل وفاعل .

فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم

مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾

الاعراب :

(فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه) الفاء عاطفة على محذوف يفهم من السياق ومما فصّل في مواضع أخر أي فألقى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون وما نافية وآمن فعل ماض ولموسى متعلق به وإلا أداة حصر وذرية فاعل ومن قومه صفة . (على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم) على بمعنى مع وهي مع مجرورها في محل نصب على الحال، ومن فرعون جار ومجرور متعلقان بخوف وملئهم عطف على فرعون وانما أعـاد الضمير اليه جمعاً لأنه بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر ، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون بأمره ، وأن يفتنهـم أن وما في حيزها بدل اشتمال من فرعون أي على خوف من فتنة فرعون أو مفعول لأجله بعد حذف اللام.(وإن فرعون لعال في الأرض وانه لمن المسرفين) الواو اعتراضة وهذه الجملة والتي بعدها اعتراض تذييلي وان واسمها واللام المزحلقة وعال خبر ان مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين وفي الارض جار ومجرور متعلقان بعال وانه الواو اعتراضية أيضاً وان واسمها واللام المزحلقة ومن المسرفين خبر إن . (وقال موسى : يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) يا قوم يا حرف نداء وقوم منادى مضاف لياء المتكلم وقد تقدم حكمه ونزيد هنا أن حذف الياء أقوى من اثباتها لقوة النداء على التغيير وإن شرطية وكنتم في محل جزم فعل الشرط والتاء اسم كان

وجملة آمنتم خبر كنتم وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنتم ، فعليه :
الفاء رابطة لجواب الشرط وعليه متعلقان بتوكلوا وتوكلوا فعل أمر
وفاعل وإن شرطية وكنتم مسلمين كان واسمها وخبرها وجواب الشرط
محذوف وكرر الجملة توكيداً وسيأتي في باب الفوائد تحقيق تعليق
الحكم بشرطين • (فقالوا على الله توكلنا) الفاء للعطف وقالوا فعل
وفاعل وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتوكلنا وتوكلنا فعل وفاعل
(ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) ربنا منادى مضاف وحرف النداء
محذوف ولا ناهية وتجعلنا فعل مضارع مجزوم بلا ونا مفعول به أول
وفتنة مفعول به ثان وللقوم صفة والظالمين صفة لقوم• (ونجنا برحمتك
من القوم الكافرين) الواو عاطفة ونج فعل أمر مبني على حذف حرف
العلة ونا مفعول به وبرحمتك متعلقان بمحذوف حال ومن القوم
متعلقان بنجنا والكافرين صفة لقوم •

الفوائد :

متى لم يترتب الشرطان في الوجود فالشرط الثاني شرط في الأول
ولذلك لم يجب تقديمه على الاول وقد بنى الفقهاء على ذلك حكماً
طريفاً وهو أن يقول الرجل لامرأته : إن دخلت الدار فأنت طالق إن
كلمت زيداً فمجموع قوله إن دخلت الدار فأنت طالق مشروط بقوله :
إن كلمت زيداً والمشروط متأخر عن الشرط وذلك يقتضي أن يكون
المتأخر في اللفظ متقدماً في المعنى وأن يكون المتقدم في اللفظ متأخراً
في المعنى فكأنه يقول لامرأته حالما كلمت زيداً إن دخلت الدار فأنت
طالق فلو حصل هذا المعلق قبل إن كلمت زيداً لم يقع الطلاق وفي الآية
التي نحن بصددها قوله : إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم
مسلمين ، يقتضي أن يكون كونهم مسلمين شرطاً لأن يصيروا مخاطبين

بقوله إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فكأنه تعالى يقول للمسلم حال إسلامه إن كنت من المؤمنين بالله فعلى الله توكل والأمر كذلك لان الاسلام عبارة عن الاستسلام وهو الانقياد لتكاليف الله وترك التمرد والايمان عبارة عن معرفة القلب بأن واجب الوجود لذاته واحد وما سواه محدث تحت تدبيره وقهره فاذا حصلت هاتان الحالتان فعند ذلك يفوض العبد جميع أموره الى الله تعالى ويحصل في القلب نور التوكل على الله .

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

اللغـــة :

(تبوءا) : تبوأ المكان : اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه

وطناً وبوأت له بيتاً أي اتخذته وقال أبو علي : إن تبوأ فعل يتعدى الى مفعولين .

(اطمس) : الطمس : إزالة أثر الشيء بالمحو وطمست الريح آثار الديار والطمس تغير الى الدثور والدروس قال كعب بن زهير :

من كل نضّاخة الذّفرى إذا عرِقت
عرْضتها طامس الأعلام مجهول

الاعراب :

(وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً) الواو استئنافية وأوحينا فعل وفاعل والى موسى جار ومجرور متعلقان بأوحينا وأخيه عطف على موسى وأن يجوز أن تكون مفسرة لأنه قد تقدمها ما هو بمعنى القول دون حروفه وهو الايحاء ويجوز أن تكون مصدرية على بابها وهي مع مدخولها في موضع نصب مفعول أوحينا أي أوحينا إليهما التبوّء ولقومكما متعلقان بتبوأا وباعتبارها مفعولاً ثانياً وبمصر حال وبيوتاً مفعول تبوأا وجوز أبو البقاء أن يتعلق بتبوأا . (واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين) واجعلوا عطف على تبوأا وبيوتكم مفعول اجعلوا الاول وقبلة مفعول اجعلوا الثاني وأقيموا الصلاة عطف وهو فعل أمر وفاعل ومفعول به وبشر المؤمنين عطف أيضاً وسيأتي في باب البلاغة سر تنويع الخطاب . (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا) قال موسى فعل وفاعل وربنا منادى مضاف حذف منه حرف النداء وإن وسمها وجملة آتيت لخبر إن وفرعون مفعول به وملأه عطف على فرعون وزينة مفعول

به ثان وأمــوالاً عطف عــلى زينــة وفي الحياة الدنيــا صفة لزينــة (ربنا ليضلوا عن سبيلك) ربنا منــادى مضاف وأعيــد للتوكيــد واللام لام الصيرورة والعاقبة أي آتيتهــم النعم المذكورة ليشكروها ويتبعوا سبيلك فكان عاقبة أمرهم أنهــم كفروها وضلوا عن سبيلك ويجوز أن تكون لام العلة والمعنى أنك آتيتهــم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج فكان الايتاء لهــذه العلة وقال الحسن البصري : هي لام الدعاء عليهم بأن يبقوا على ماهم عليه من الضلال ، وعــن سبيلك جار ومجرور متعلقــان بيضلوا (ربنا اطمس عــلى أموالهم واشدد على قلوبهم) اطمس فعل أمر وفاعله أنت وعلى قلوبهم جار ومجرور متعلقان باطمس واشدد على قلوبهم عطف على اطمس على أموالهم • (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) يحتمل يؤمنوا النصب والجزم فالنصب بأن مضمرة بعد فاء السببية العاطفة أو العطف على قوله ليضلوا فلا يؤمنوا واختاره المبرد وعلى هذا يكون قوله : ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم اعتراضاً ، والجزم على وجه الــدعاء عليهم على أن لا التي يسميها النحاة ناهية وهي بالنسبة الى الله تعــالى لام الــدعاء ومثله بيت الأعشى •

فلا ينبسط من بــين عينيك ما انزوى

ولا تلقــني إلا وأنفك راغـــم

وحتى حرف غاية وجر ويروا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والواو فاعل والعذاب مفعول به والأليم صفة • (قال قد أجيبت دعوتكما) جملة قــد أجيبت مقول القول ودعوتكما نائب فاعــل • (فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) الفاء الفصيحة واستقيما فعل أمر والالف فاعل ولا تتبعان الواو عاطفة ولا ناهية وتتبعان فعل

مضارع مجزوم بلا وعـلامة جزمه حذف النون وألف الاثنين فاعـل والنون المشددة هي نون التوكيد الثقيلة وكسرت لوقوعها بعد ألف الاثنين وقرأ حفص تتبعان بتخفيف النون مكسورة مع تشديد التاء فتحتمل أن تكون لا للنفي وأن تكون للنهي فإن كانت للنفي كانت النون نون رفع والجملة اسمية أي وأنتما لا تتبعان أو انه خبر محض مستأنف لا تعلق له بما بعده ، وإن كانت للنهي كانت النون للتوكيد وهي الخفيفة ، وسبيل مفعول به والذين مضاف اليه وجملة لا يعلمون صلة •

البلاغـة :

التنويع في الخطاب ، فقد نوع سبحانه في خطابهم فثنى أولاً ثم جمع ثم وحد آخراً والسر في ذلك أن موسى وهارون خوطبا بأن يتبوأا لقومهما بيوتاً ويختاراها للعبادة ثم سيق الخطاب عاماً لهما ولقومهما باتخاذ المساجد للصلاة فيها لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص آخراً موسى بالبشارة التي هي الغرض الاسمى تعظيماً لها وللمبشـر بها •

* وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ

ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ (٩٢)

اللغــة :

(وجاوزنا) : هو من جاوز المكان اذا تخطاه وخلفه وراءه .

(فأتبعهم) : في المختار تبعه من باب طرب وسلم إذا مشى خلفه أو مرّ به فمضى معه وكذا اتّبعه وهو افتعل وأتبعه على أفعل اذا كان قد سبقه فلحقه . وقال الأخفش : تبعه وأتبعه مثل ردفه وأردفه وحكى أبو عبيدة عن الكسائي : أنه قال : إذا أريد بهم انه اتبعهم خيراً أو شراً قالوا بقطع الهمزة وإذا أريد به أنه اقتدى بهم واتبع أثرهم قالوا بتشديد التاء ووصل الهمزة .

(بغياً) : البغي : طلب الاستعلاء بغير الحق .

(عدواً) : في الصحاح للجوهري: عدا عَدْواً وعُدُوّاً وعَداء، وفي القاموس والتاج وعُدوانا وعِدوانا وعَدْوى عليه ظلمه ويقال : « ما عدا مما بدا » أي ما الذي صرفك عني بعد ما بدا منك .

(تنجيك) : من النجـوة وهي الأرض التي لا يعلوهـا السيل وأصلها من الارتفاع .

الاعراب :

(وجاوزنا ببني إسرائيل البحر) الواو استئنافية والجملة مستأنفة

مسوقة لبيان ما آل اليه أمر فرعون وقومه ، وجاوزنا فعل وفاعل وبني اسرائيل متعلقان بجاوزنا والباء للتعدية أي جعلناهم مجاوزين البحر والبحر مفعول به • (فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً) فأتبعهم الفاء عاطفة وأتبعهم فعل ومفعول به وفرعون فاعل وجنوده عطف على فرعون وبغياً مفعول لأجله وعدواً معطوف عليه ويجوز أن يكونا مصدرين في موضع الحال أي باغين معتدين • (حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) حتى حرف غاية لاتباعه واذا ظرف مستقبل وأدركه الغرق فعل ومفعول به وفاعل والجملة في محل جر بالاضافة وجملة قال لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة آمنت مقول القول وأن وما في حيزها في موضع نصب بنزع الخافض والجار والمجرور صلة آمنت ولا إله إلا الذي تقدم القول فيها مشبعاً وجملة آمنت صلة الذي وبه متعلقان بآمنت وبنوا اسرئيل فاعل آمنت وأنا الواو عاطفة وأنا مبتدأ ومن المسلمين خبر (آلآن وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين) آلآن الهمزة للاستفهام والآن ظرف متعلق بمحذوف وتقديره آلآن آمنت ، وقد الواو للحال وقد حرف تحقيق وعصيت فعل وفاعل وقبل ظرف مبني على الضم لانقطاعه عن الاضافة لفظاً لا معنى وكنت من المفسدين عطف على عصيت وكنت كان واسمها ومن المفسدين خبرها • (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) الفاء استئنافية واليوم ظرف متعلق بننجيك وببدنك حال من الكاف أي مصاحباً لبدنك وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغة ولتكون اللام للتعليل وتكون منصوب بأن مضمرة واسم تكون مستتر تقديره أنت وآية خبرها ولمن خلفك حال والظرف متعلق بالاستقرار الذي هو صلة الموصول • (وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون) الواو اعتراضية والجملة اعتراض تذييلي

جيء به عقب الحكاية وان واسمها ومن الناس صفة لكثيراً وعن آياتنا متعلقان بغافلون واللام المزحلقة وغافلون خبر إن .

البلاغة :

في الآية تورية إذا فسر البدن بالدرع أما إذا فسر بالجسم فيكون المعنى ننجيك في الحال التي لا روح فيك وانما أنت بدن أو ببدنك كاملاً سوياً لم ينقص منه شيء أما تفسير البدن بالدرع فيدل عليه قول عمرو بن معدي كرب :

أعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلّص سلس القياد

وكانت لفرعون درع من ذهب يعرف بها ، وعندئذ صح في البدن التورية وهي ان البدن في القريب الظاهر بمعنى الجسم وفي البعيد الخفي بمعنى الدرع ومراده البعيد الخفي فان نجاة فرعون أي خروجه من البحر بعد الغرق بدرعه أعجب آية من خروجه مجرداً والتورية في القرآن قليلة وسترد مواضعها في حينها ونتحدث عنها هنا باختصار فنقول :

تعريف التورية : التورية هي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان : قريب ظاهر غير مراد وبعيد خفي هو المراد . وتنقسم الى أربعة أقسام :

١ ــ التورية المجردة وسميت بذلك لتجردها من اللوازم وهي قسمان أيضاً :

آ ــ المجردة التي ذكر معها لازم المورّى به وهو المعنى القريب ولازم المورّى عنه وهو المعنى البعيد كقول مجير الدين بن تميم :

وليلة بتُّ أسقى في غياهبهـا راحاً تسلّ شبابي من يد الهرم
ما زلت أشربها حتى نظرت الى غزالة الصبح ترعى رجس الظلم

فالصبح مـن لوازم الغزالة الشمسية والرعي من لوازم الغزالة الوحشية .

ب ـ المجردة التي لم يذكر معها لازم من لوازم المورّى به ولا لازم من لوازم المورّى عنه كقول بعضهم في سنة كان فيها شهر كانون معتدلاً فأزهرت الأرض :

كأن نيسان أهدى من ملابسه لشهر كانون أنواعاً من الحلل
أو الغزالة من طول المدى خرفت فما تفرق بين الجدي والحمل

فالتورية هنا مجردة اذ لم يذكر الشاعر شيئاً من لوازم المورى به أو لوازم المورى عنه .

٢ ـ التورية المرشحة : وهي التي ذكر فيهـا لازم من لوازم المورى به كقول القائل :

ياسيداً حـاز لطفـاً له البرايا عبيـد
أنت الحسين ولكـن جفـاك فينـا يزيد

فإن ذكر الحسين لازم لكون يزيد اسماً علماً بعد احتماله للفعل المضارع الذي هو معناه المقصود المورّى عنه ولابن خطيب داريا في حمص :

مدينة حمص كعبـــة الحسن أصبحت
يطوف بهـا دان ويسعى بهـــا قاصي

له حلـة مـن نبتهـــا سـندسية
تعلق في أذيال أستارهـــا العاصي

فإن ذكر التعلق بأذيال الكعبة هنا على سبيل الاستعارة ترشيح للعاصي من العصيان كما سبق ، وقد رد بعضهم على ابن خطيب داريا فقـــال :

مدينة حمص لم تكن قط كعبة يطوف بهادان ويسعى بهاقاصي
ولكنها للّهو والقصف حانة ألم تنظروها كيف جاورها العاصي

٣ ـ التورية المبينة : هي التي ذكر فيها لازم من لوازم المورى عنه ومن أمثلتها ما يحكى أن نقيب الأشراف ببغداد كان يهوى غلاماً اسمه صدقة أخذه ابن المنير الطرابلسي يوماً وأضافه وجلسوا في طبقة وإذا بالشريف أتى اليهم مستخفياً وقال لهم :

يا من هـــم في الطبقة هل عندكم مـن شفقة ؟
قد جاءكـــم متيّم يطلب منكم « صدقه »

فأجابه ابن المنير في الحال :

يا مـن أتانا ســرقه بمهجـــة محترقـــة
جدّك يا ذا لـــم يجز أخـذك منا « صدقه »

فخجل وذهب عنهما والشاهد في قول الشريف « متيم » يرشح المعنى المورى عنه في صدقة وهو اسم محبوبه والمعنى الثاني ظاهر وهو الصلة للفقراء .

٤ ـ التورية المهيئة : وهي التي لا يتهيأ معها في الكلام تورية إلا باللفظ قبله أو الذي بعده كقول الدماميني :

يا عذولي في مغنٍ مطرب حرّك الأوتار لما سفرا
لم تهز العطف منه طرباً عندما تسمع منه وترا

فإن لفظة تسمع هيأت قوله « وتراً » للتورية بالرؤية وهو المعنى البعيد وأما المعنى القريب فأحد الأوتار للطنبور .

الفوائد :

(الآن) ظرف زمان للوقت الذي أنت فيه مبني على الفتح ويجوز أن يدخله من حروف الجر من والى وحتى ومذ ومنذ مبنياً معهن على الفتح ويكون في موضع الجر .

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ

ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

اللغـــة :

(مبوأ صدق) اسم مكان أيْ مكان صدق والمعنى وأنزلناهم منزلاً محموداً ويجوز أن يكون مصدراً .

(الامتراء) طلب الشك مع ظهور الدليل وهو من مــرى الضرع وهو مسحه ليدرّ .

الاعراب :

(ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوّأ صدق) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان النعم التي أفاضها الله على بني اسرائيل بعــد انجائهم واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وبوأنا فعل وفاعل وبني اسرائيــل مفعول به ومبوأ صدق مفعول به ثان لبوأ أو مفعول مطلق إن كانت مبوأ مصدراً (ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) ورزقناهم عطف على بوأنا وهو فعل وفاعل ومفعول به ومن الطيبات متعلقان برزقناهم ، فما : الفاء عاطفة وما نافية واختلفوا

فعل وفاعل وحتى حرف غاية وجر وجاءهم العلم فعل ومفعول به وفاعل والمراد بالاختلاف ما تعاورهم من شكوك بعد مجيء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتضافر معجزاته (إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) إن واسمها وجملة يقضي خبرها وبينهم متعلقان بيقضي ويوم القيامة ظرف متعلق بيقضي أيضاً وفيما متعلقان بمحذوف حال أي فاصلاً فيما ، وجملة كانوا صلة ما وكان والواو اسمها وفيه متعلقان بيختلفون وجملة يختلفون خبر كانوا (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك) الفاء استئنافية وإن شرطية وكنت كان واسمهاوالفعل في محل جزم فعل الشرط وفي شك خبرها وممامتعلقان بمحذوف صفة لشك وجملة أنزلنا اليك صلة ما (فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) الفاء رابطة واسأل فعل أمر وفاعله أنت والذين مفعول به وجملة يقرءون الكتاب صلة ومن قبلك حال (لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) اللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وجاءك الحق فعل ومفعول به وفاعل ومن ربك متعلقان بجاءك والفاء عاطفة ولا ناهية وتكونن مجزوم بلا محلاً لأنه مبني واسمها مستتر تقديره أنت ومن الممترين خبرها (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) تقدم اعرابها (فتكون من الخاسرين) الفاء سببية وتكون مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية ومن الخاسرين خبرها وسيأتي في باب الفوائد ما قاله العلماء في هذه الآية (إن الذين حقّت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) إن واسمها وجملة حقت صلة وعليهم متعلقان بحقت وكلمة فاعل وربك مضاف لكلمة وجملة لايؤمنون خبر إن (ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) الواو حالية ولو شرطية وجاءتهم كل آية فاعل وحتى غاية النفي ويروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والواو فاعل والعذاب مفعول به والرؤية

عينية ولذلك نصبت مفعولاً واحداً فقط والاليم صفة وجـواب لو محذوف أي فلا ينفعهم ايمانهم حينئذ كما لم ينفع فرعون .

الفوائـد :

قال الزجاج : إن هذه الآية قد كثر سؤال الناس عنها وخوضهم فيها وفي السورة ما يدل على بيانها فان الله سبحانه يخاطب النبي وذلك الخطاب شامل للخلق فالمعنى فان كنتم في شك فاسألوا ، والدليل عليه قوله في آخر السورة : « يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم » الآية فأعلم الله سبحانه أن نبيه ليس في شك ومثل هذه قوله « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء » فقال طلقتم والخطاب للنبي (صلى الله عليه وسلم) وحده قال أبو عمرو ومحمد بن عبد الواحد الزاهد : سمعت الإمامين ثعلباً والمبرد يقولان : معنى فإن كنت في شك أي قل يا محمد للكافر فإن كنت في شك .

وقال الفراء : إن الخطاب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وان لم يشك وعلم الله أنه غير شاك ولكن الكـلام خرج مخـرج التقرير والإفهام كما يقول الابن لأبيه ، إن كنت والدي فتعطف علي أو لولده إن كنت ابني فأطعني يريد بذلك المبالغة وربما خرجوا في المبالغة الى ما يستحيل كقولهم : بكت السماء لموت فلان أي لو كانت السماء تبكي على ميت لبكت عليه وكذلك يكون هاهنا المعنى لو كنت ممن يشك فشككت فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك .

وقال الزمخشري : إن أمر رسول الله (صـلى الله عليه وسلم) مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وحجة نبوة محمد عليه السلام ويبالغ في ذلك فقال : فإن وقع لك شكٌّ فرضاً وتقديراً ـ وسبيل من خالجته شبهة في الدين أن يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وأدلّته وإما بمقادحة العلماء المنبّهين إلى الحق ـ فَسَلْ علماء أهل الكتاب .

وقال أبو حيان : « والذي أقوله : أنّ إن الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء ولا تستلزم تحتيم وقوعه وامكانه بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً كقوله تعالى : « قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا أول العابدين » ومستحيل أن يكون له ولد فكذلك هذا مستحيل أن يكون في شك وفي المستحيل عادة كقوله : « فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية » أي فافعل ، لكن وقوع « إن » للتعليق على المستحيل قليل وهذه الآية من ذلك ولما خفي هذا الوجه على أكثر الناس اختلفوا في تخريج هذه الآية » .

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

الاعراب :

(فلو لا كانت قرية آمنت) الفاء استئنافية ولولا تحضيضيّة وهذا التحضيض فيه معنى التوبيخ والنفي وقد تقدمت الاشارة الى حروف التحضيض ، وكانت قرية فعل وفاعل لأن كان هنا تامة وجملة آمنت صفة لقرية (فنفعها إيمانها إلا قوم يونس) الفاء عاطفة ونفعها معطوف على الصفة عطف المسبب على السبب وايمانها فاعل نفعها والجملة قد تقوم مقام الصفة للنكرة وإلا قوم يونس استثناء متصل واقع على المعنى لا على ظاهر اللفظ فكأنه قال : هلاّ آمن أهل قرية والجميع مشتركون في العقاب وقوم يونس مستثنى من الجميع ومثل هذا الاستثناء قوله تعالى : « فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم » وقال الزجاج إلا قوم يونس استثناء منقطع وتقديره لكن قوم يونس لما آمنوا ومثله قول النابغة:

وقفت فيها أصيلاً كي اسائلها عيّت جواباً وما بالربع من أحد

إلا الأواري لأياً ما أبيّنها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

ويونس مضاف اليه ممنوع من الصّرف للعلمية والعجمية (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) لما حينية أو رابطة وآمنوا فعل وفاعل وجملة كشفنا لا محل لها وعنهم متعلقان بكشفنا وعذاب الخزي مفعول به وفي الحياة متعلقان بمحذوف حال والدنيا صفة ومتعناهم عطف على كشفنا وإلى حين متعلقان بمتعناهم (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) الواو استئنافية ولو شرطية وشاء ربك فعل وفاعل لآمن واللام واقعة في جواب لو وجملة

آمن لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومن فاعل آمن وفي الأرض صلة من وكلهم توكيد لمن وجميعاً نصب على الحال من « من » (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) الهمزة للاستفهام والفاء عاطفة وأنت مبتدأ والجملة بعده خبر وقد مر معنا أن الهمزة مقدمة على العاطف أو ثم جملة محذوفة ، وحتى حرف تعليل وجر ويكونوا منصوب بأن مضمرة بعد حتى ومؤمنين خبر يكونوا (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله) الواو عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولنفس خبرها المقدم وأن المصدرية وما في حيزها اسمها المؤخر وإلا أداة حصر وبإذن الله متعلقان بتؤمن (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) ويجعل معطوفة على مقدر كأنه قيل فيأذن لبعضهم في الايمان ويجعل ، ويجعل مضارع والرجس مفعوله وعلى الذين متعلقان بيجعل وجملة لا يعقلون صلة .

قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

اللغــــة :

(النظر) : طلب الشيء من جهة الفكر كما يطلب إدراكه بالعين والمعنى تأملوا تأمل اعتبار .

(النذر) : جمع نذير وهو صاحب النذارة .

الاعراب :

(قل انظروا ماذا في السموات والارض) قل فعل أمر وجملة انظروا مقول القول وماذا يحتمل أن تكون ما استفهامية مبتدأ وذا اسم موصول خبروتكون الجملة في محل نصب لتعليق العامــل وهو انظروا عنها بالاستفهام ويحتمل أن تكون ماذا بتمامها استفهاماً في محل رفع مبتدأ وفي السموات خبره وعــلى الأول يكون الجار والمجرور متعلقين بمحذوف هو الصلة للموصول أي ما الذي استقر في السموات والارض . (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) هذه الجملة إما حالية من الواو في انظروا كأنــه قيل انظروا والحــال أن النظر لاينفعكم ، وإما معترضة وما نافية أو استفهامية في محل نصب على أنها مفعول مطلق لتغني أي : أي غناء تغني ، والآيات فاعل والنذر عطف على الآيات وعن قوم جار ومجرور متعلقان بتغني وجملة لا يؤمنون صفة لقوم . (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) الفاء استئنافية وهل حرف استفهام وينتظرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وإلا أداة حصر ومثل مفعول ينتظرون وأيام مضاف اليه والذين مضاف لأيام وجملة خلوا صلة ومن قبلهم متعلقان بخلوا أو بمحذوف حال . (قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين) قل فعــل

أمر والفاء الفصيحة وانتظروا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وإن واسمها ومن المنتظرين خبرها والظرف متعلق بمحذوف حال. (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا) ثم حرف عطف للترتيب والتراخي وننجي فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن والجملة عطف على كلام محذوف تقديره نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية ورسلنا مفعول به والذين عطف على رسلنا وجملة آمنوا صلة. (كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين) الكاف في محل نصب صفة لمصدر محذوف أي انجاء مثل ذلك الانجاء فهي مفعول مطلق والعامل فيه ننجي المؤمنين ولك أن تجعل الكاف في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف وقدّروه بقولهم الأمر كذلك ، وحقاً نصب على المصدر أي يحق حقاً ويجوز أن يعرب نصباً على الحال وإن كان لفظه لفظ المصدر وأورد جامع العلوم الضرير النحوي وجهاً طريفاً وهو أن ينصب على البدلية من كذلك وعلينا متعلقان بحقاً وننجي فعل مضارع والمؤمنين مفعول به.

البلاغـة :

التشبيه التمثيلي في قوله كذلك ننجي الخ فقد شبه نجاة من بقي من المؤمنين بنجاة من مضى في أنه واجب لهم وحق على الله . ووجه الشبه استحقاق كل منهم بالنجاة .

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ

أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

الاعراب :

(قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني) قل فعل أمر ويا أيها الناس تقدم إعرابها كثيراً وإن شرطية وكنتم فعل الشرط وهي كان واسمها وفي شك خبرها ومن ديني صفة لشك . (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) الفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية وأعبد فعل مضارع فاعله أنا والذين مفعول أعبد وجملة تعبدون صلة ومن دون الله حال . (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) الواو عاطفة ولكن حرف استدراك لا عمل لها وأعبد فعل مضارع وفاعله أنا ولفظ الجلالة مفعوله والذي صفة وجملة يتوفاكم صلة . (وأمرت أن أكون من

المؤمنين) الواو عاطفة وأمرت فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل وأن وما في حيزها في موضع نصب بنزع الخافض أي بأن أكون والجار والمجرور متعلقان بأمرت واسم أكون مستتر تقديره أنا ومن المؤمنين خبر أكون • (وأن أقم وجهك للدين حنيفاً) الواو عاطفة وأن وما في حيزها عطف على ما قبلها كأنه قيل : وقيل لي وأقم ، ولكن يشكل اعراب المصدر لأن عطفه على أن أكون فيه إشكال لامتناع عطف الانشاء على الخبر ولكن سيبويه سوغ أن توصل أن بالأمر والنهي وشبه ذلك بقولهم أنت الذي تفعل على الخطاب لأن الغرض وصلها بما تكون معه بمعنى المصدر ، والأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال • وقد لخص البيضاوي ما أفاض فيه سيبويه قال : « وان اقم عطف على أن أكون غير أن صلة أن محكية بصيغة الأمر ولا ضير في ذلك لأن مناط جواز وصلها بصيغ كل الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف إلا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك » وهو تلخيص لما قاله الزمخشري أيضاً وجرى عليه أبو السعود أما غيرهما فاختار أن « أن » المصدرية وما في حيزها في محل رفع بفعل مقدر أي : وقيل لي ، ولا نرى هذا الرأي • أما السمين شهاب الدين الحلبي فقال ما نصه : « قوله و أن أقم يجوز أن يكون على إضمار فعل أي وأوحي إلي أن أقم ثم لك في أن وجهان أحدهما أن تكون تفسيرية لتلك الجملة المقدّرة وفيه نظر لأن المفسر لا يجوز حذفه والثاني أن تكون مصدرية فتكون هي ومافي حيزها في محل رفع بذلك الفعل المقدر •

وأقم فعـل أمر ووجهك مفعول به وللدين متعلقان بأقم وحنيفاً حال من الدين أو من الوجه • (ولا تكونن من المشركين) الواو عاطفة ولا ناهية وتكونن فعل مضارع مبني لاتصاله بنون التوكيد في محل جزم بلا واسم تكونن مستتر تقـديره أنت ومن المشركـين خبرها • (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) الواو عاطفة ولا ناهية وتدع مضارع مجزوم بلا والفاعل أنت ومن دون الله حال وما موصول مفعول به وجملة لا ينفعك صلة وجملة ولا يضرك عطف على لا ينفعك• (فإن فعلت فإنك إذن من الظالمين) الفاء عاطفة وان شرطية وفعلت في محل جزم فعل الشرط والفاء رابـطة وان واسمها واذن حرف جواب وجزاء مهمل ومن الظالمين خبر إن • (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) الواو عاطفة وان شرطية ويمسسك فعل الشرط والكاف مفعول به والله فاعل وبضر جار ومجرور متعلقان بيمسسك والفاء رابطة ولا نافية للجنس وكاشف اسمها مبني على الفتح وله متعلقان بكاشف والخبر محذوف ويجوز أن يكون له هو الخبر أي كائن له وإلا أداة حصر وهو بدل من الخبر المحذوف على ما تقدم في « لا إله إلا الله » • (وإن يردك بخير فلا راد لفضله) الواو عاطفة وان شرطية ويردك فعل الشرط مجزوم والكاف مفعول به وبخير متعلقان بيردك والفاء رابطة ولا نافية للجنس وراد اسمها ولفضله متعلقان براد والخبر محذوف ويجوز أن يكون الجار والمجرور هو الخبر كما تقدم • (يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) جملة يصيب استئنافية والفاعل هو وبه جار ومجرور متعلقان بيصيب ومن مفعول يصيب وجملة يشاء صلة ومن عباده حال ، وهو الواو استئنافية وهو مبتدأ والغفور خبر أول والرحيم خبر ثان • (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) قد جاءكم الحق فعل ومفعول به وفاعل ومن ربكم متعلقان بجاءكم •

(فمن اهتــدى فانما يهتــدي لنفسه) الفاء الفصيحة ومن شرطية أو موصولية مبتدأ واهتدى فعــل الشرط والجملة صلة الموصول والفاء رابطة وانما كافة ومكفوفة ويهتدي فعل مضارع والفاعل هو ولنفسه متعلقان بيهتدي • (ومن ضل فإنما يضل عليها) تقدم اعراب مماثلتها • (وما أنا عليكم بوكيل) الواو استئنافية وما نافية حجازية وأنا اسمها وعليكم متعلقان بوكيل ووكيــل خبر ما الحجازية محلاً • (واتبــع ما يوحى اليك) الواو استئنافية لاستبعاد عطف الانشاء عــلى الخبر واتبع فعــل أمر وفاعله أنت وما مفعول به وجملة يوحى صلة واليك متعلقان بيوحى • (واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) واصبر فعل أمر معطوف على اتبع وحتى حرف غاية وجر ويحكم الله منصوب بأن مضمرة بعد حتى والله فاعله وهو الواو استئنافية وهو مبتدأ وخير الحاكمين خبره •